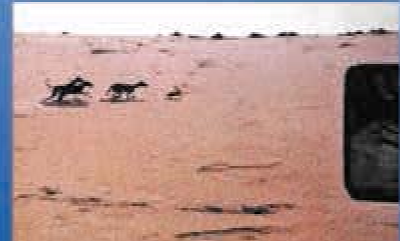


أحداث ومواقف وأشعار وقصص شعبية مصورة

محمد بن سليمان اليوسفي







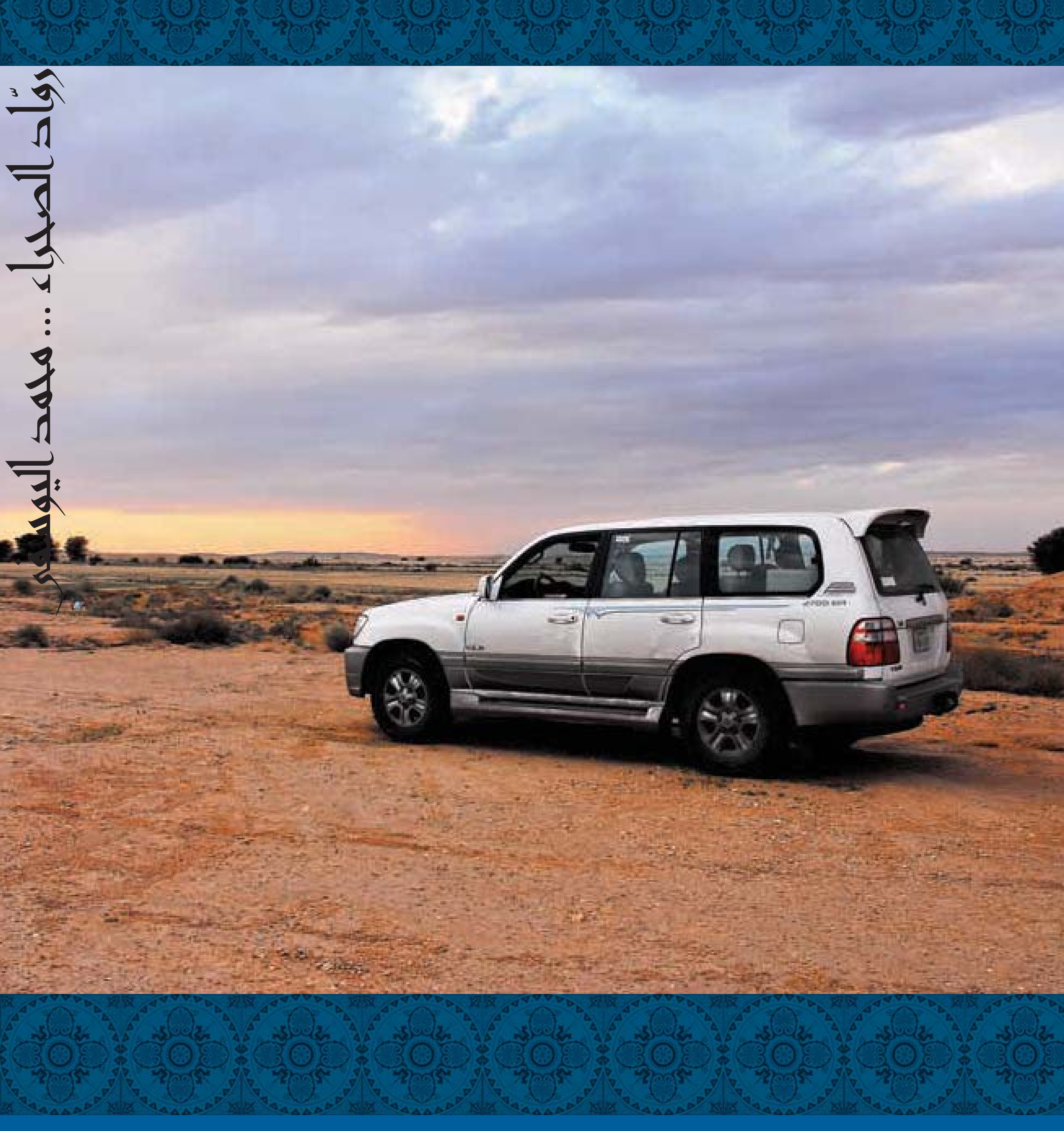
هذا الكتاب يُباع بنسخته الورقية. وتردني اتصالات و إيميلات من مهتمين بموضوعه تفيد بعدم توفره في بعض المدن، ويطلبون نسخة أو نسخاً منه. وجدت مؤخراً إشكالات في إرساله عبر البريد، ولهذه أقدم هذه النسخة الإلكترونية منه، وسيتبعها نسخ مماثلة لكتبي الأخرى. علماً بأن جزء من محتوى وصور الكتب أنشرها عبر حسابي بتويتر وإنستقرام

@MohdAlyousefi

ومدونتي

mohdalyousefi.blogspot.com

محمد بن سليمان اليوسفي



إهداء إلى

زوجتي وأبنائي ..

مع فائق المودة وبالغ التقدير ..

رواد الصحراء ... محمد اليوسفي

ح محمد بن سليمان بن محمد اليوسفي، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اليوسفي، محمد بن سليمان بن محمد

رواد الصحراء: أحداث ومواقف وأشعار وقصص شعبية مصورة

/ محمد بن سليمان بن محمد اليوسفي.- الرياض، ١٤٢٨هـ

٢٩٦ص؛ ١٧×٢٤سم (رواد الصحراء ؛ ٣)

ردمك: ٥-١٨٣-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨

١ - البيئة الصحراوية ٢ - الحيوانات الصحراوية ٣ - النباتات الصحراوية

أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٥٧٤, ٥٢٦٥ ١٤٢٨/٤٦٢٦

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٤٦٢٦

ردمك: ٥-١٨٣-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨

ucv4@yahoo.com

ucv4@hotmail.com

alyuosefi@gmail.com

ص.ب: ٢٤٦٨٣٧

الرياض: ١١٣١٢

الطبعة الأولى

شوال ١٤٢٨هـ / أكتوبر ٢٠٠٧م

تنفيذ

شركة ألوان للطباعة والصناعة المحدودة
الرياض - ت: ٢٤٢٣١٣٠


بسم الله الرحمن الرحيم



أتقدم بالشكر إلى الصديق **فهد بن عبدالله السنتلي** الذي تكبد عناء القيام معي برحلات برية كان هدفي منها البحث والتصوير، وأقدر له الإيثار وتقديم مطالبي على رغباته الخاصة في الاستمتاع بالبحث عن الصيد.

وأشكر الصديقين **الشاعر ثامر بن عبدالله الماضي، والشاعر عبدالكريم بن يوسف اليوسف** في تفضلهما بتلبية طلبي أن يعلقا شعراً على بعض الأحداث والقصص في هذا الكتاب.

وأشكر **الأستاذ عبدالرحمن بن هاجد العتيبي (هاجد) رسام الكاريكاتير في صحيفة الجزيرة**، على تفضلة برسم بعض الأفكار التي طلبت تنفيذها لتضيف أبعاداً ذات دلالة في قصص بداية كل فصل في الكتاب.

كما أشكر كل من زودني بصورة فوتوغرافية سواء نشرت في الكتاب أو لم تنشر. وأشير إلى أن الصور المنشورة في الكتاب قد تمت الإشارة إلى أصحابها عند أحد أركان الصورة، أما الصور التي لا تتضمن إشارة إلى مصدر فهي من تصوير المؤلف. هذا وقد تمت الإشارة إلى المصادر (داخل صفحات الكتاب) وفقاً لما يلي:

مصدر الصورة	الإشارة عند ركن الصورة
المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف	الوطني
الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها	الفطرية
ثامر بن عبدالله الماضي	الماضي
العميد / زيد بن حسن الطريقي	الطريقي
سويّد بن عبد العزيز الباتل	الباتل
صالح بن سعود الحربي	الحربي
عبد العزيز بن سليمان العجروش	العجروش
محمد بن دوخي الجريسي	الجريسي
محمد بن علي المعارك	المعارك
الدكتور / محمد بن يسلم شبراق	شبراق
مصادر امتنعت عن ذكر أسمائها	يحتفظ المؤلف باسم المصدر
جميع الصور التي التقطت بعدسة المؤلف	لا توضع إشارة إلى المصدر

وأشكر الذين تفضلوا بالإجابة عن أسئلة تتعلق بموضوعات الكتاب طرحتها عليهم سعياً إلى تحقيق

تنوع الآراء، وأجابو بما تمت صياغته في حوار أو مقالات في نهاية كل فصل من الكتاب، وأقدر لهم تجاوبهم في ذلك، وهم (وفقاً لأولوية ورود مقالاتهم في الكتاب):

الاستاذ عبدالعزيز بن أحمد السويّد	الكاتب الصحفي في صحيفة الحياة
فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة	المشرف العام على مؤسسة الإسلام اليوم
الشاعر الحميدي بن حمد الحربي	رئيس قسم الأدب الشعبي في صحيفة الجزيرة
معالي الفريق سعيد بن علي القحطاني	مدير الأمن العام
الشاعر علي بن عبدالله المفضي	إعلامي
الأستاذ أحمد بن سليمان الفهيد	إعلامي

والشكر والتقدير موصولان إلى كل من قبل إجراء حوار معه من أجل الخروج بكتابة قصة أو حدث أو واقعة. وكل من زودني بمرجع، أو أعانني على الوصول إلى مصادر المعلومات، وهم:

إبراهيم بن عبد المحسن السرحاني	أحمد بن عبدالله المنيع
الدكتور / إياد بن عبد الوهاب نادر	العقيد بدر بن علي الجميل
الشاعر برّاك الفريسي الجربا	النقيب حمد بن محمد السريّع/ الأمن العام
خالد بن إبراهيم الصانع	خالد بن عبدالله الوعلان
خلف بن فنيسان الشمري	الملازم الأول سطام بن فايز العتيبي/ الدفاع المدني
الشاعر سعود بن عبدالرحمن اليوسف	سليمان بن عبدالله حسن الخربوش
سليمان بن إبراهيم أبا الخيل/ مؤسسة الإسلام اليوم	الشاعر شباط بن عبدالرحمن الطفيري
صالح بن عبدالله الهويريني/ مؤسسة الإسلام اليوم	عبدالرحمن بن شباط الظفيري
عبدالرحمن بن صالح العوجان	اللواء عبدالعزيز بن راضي الراضي
عبدالعزيز بن سوّيد الباتل	عبدالعزيز بن عبدالله الغنام
العميد المهندس/ عبد العزيز بن علي الضلعان	عبدالله بن سعد الفالح
عبدالله بن عثمان الغنام	عبدالمحسن بن عبدالله البدر
عبدالملك بن سليمان المسند	فهاد بن محمد مفرح القحطاني
فيصل بن عبدالعزيز الباتل	مشاري بن عبدالعزيز بن مشعان
محمد بن إبراهيم المنيع	محمد بن سعد الفالح
محمد بن عبدالعزيز السحيمي	محمد بن عبدالله الباتل
العقيد د. محمد بن عبدالله المرعول/ مدير العلاقات والتوجيه بالأمن العام	
ناصر بن عبدالرحمن العوجان	هاني بن صالح العتيق

مع بالغ الامتنان والعرفان

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المؤلّف

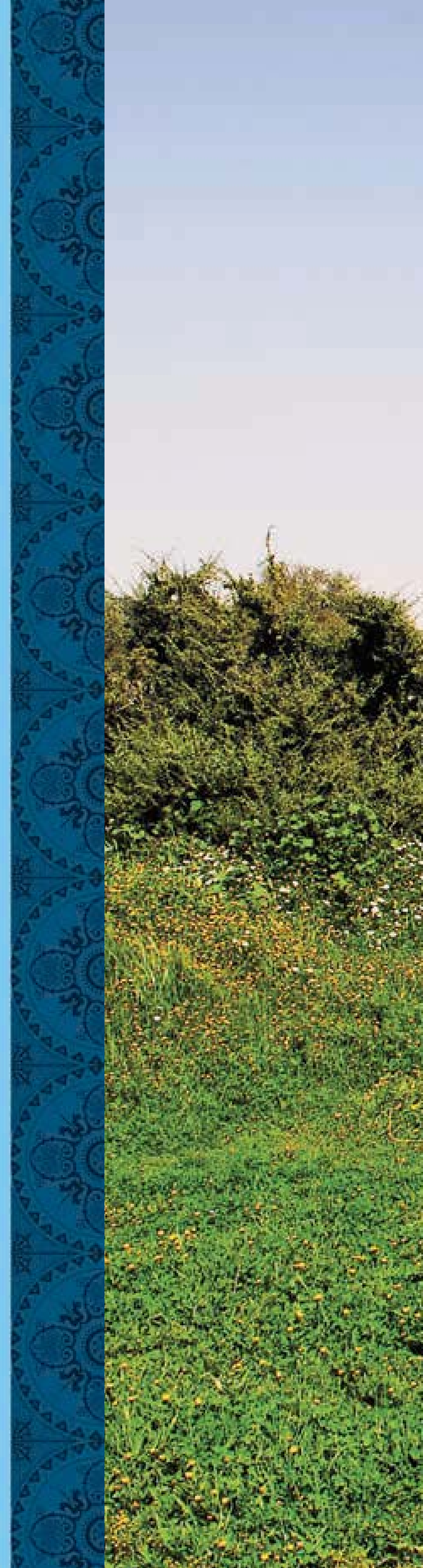
شوال ١٤٢٨هـ الموافق أكتوبر ٢٠٠٧م



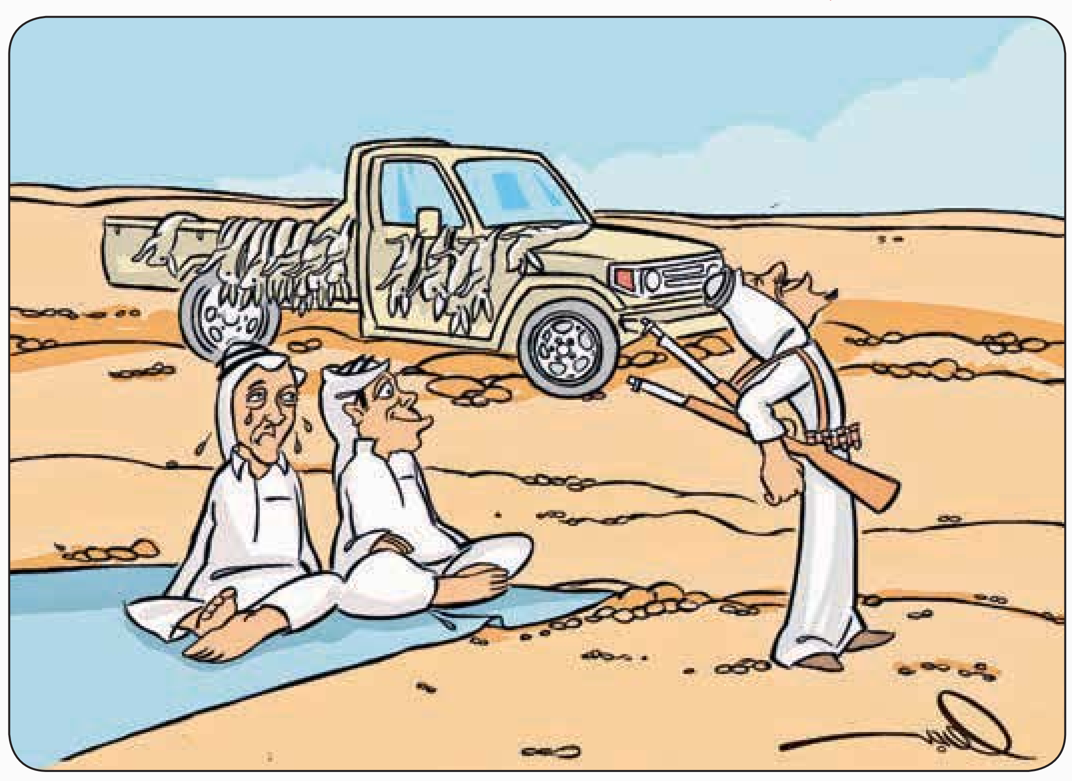
رواد الصحراء... محمد اليوسفي

الصيّاد و(الكشّات)

- السجن ومصادرة السيارة في القريات
- (الصيد ولعة ما على الله كماية)
- أبو سيف يقتحم المحمية
- خريطة المحميات الطبيعية في المملكة
- فراق الابن في رحلة الصيد
- ربيع شباط
- فقد الإبل والطير والصحراء
- ضياع عجيب لصقر مثير
- (صقّار) مختلف
- جوع ومفارقات في الربع الخالي
- رحلة إلى الإبل تنتهي بحادثة تاريخية
- شهادة الضبّ في محكمة الصحراء
- أهذا صيد؟ وما الحكم
- جواب الشيخ سلمان العودة



السجن ومصادرة السيارة في القريات



أبـو سعـد رجل مُسِنٌّ، أمـا صالح فهو شاب في العقـد الثالث من العمر، وتجمـع الاثنين صداقة تحمل المتناقضــات، ففضلاً عن فارق السِــنِّ فإن أبا سعد متقلّب المزاج وحادّ الطبـع وسريع الغضب، أو بمفهوم العـوام (حار)، ولا يعترف بأنصاف الحلول، وما زالت تعشش في رأسه بعض أفكار السابقين عن فروسية الصيـاد ومـا أدراك ما تلـك الفروسية. أما صالـح الشاب فهو هـادئ الطبع، وفي الغالب يبـدو متَّزناً في التفكـير والتصرف، وصاحب مبـدأ يُظهره في أحاديثه؛ حيث يعتقد أن الهوسـ في ممارسة هواية الصيد ينبغـي ألا يصل إلى درجـة الإفراط في قتل طرائد الصيد حتى لو كـثرت، وأن الصياد- قبل غيره- يجب عليه ممارسة هوايته بإدراك ووعي وانضباط يؤدي إلى رعاية أنواع الطيور والحيوانات المهددة بالانقراض حالياً، لا إبادتها، لكن الاثنين يجمعهما التعلق في هواية الرحلات البرية والصيد. وحقيقة الأمر أن صالحاً يرى في الإبقاء على صداقته مع أبي سعد استمراراً للاحتفاظ بذكريات وصداقات أبيه المتوفى.

في يـوم من أيـام شهر سبتمبر؛ حيث تكثر أنـواع الطيور المهاجرة، رافق الاثنين أبـو فواز (وهو الذي سـنروي عنـه بعض القصص في هـذا الكتاب) في رحلـة إلى أحد أوديـة المنطقة الوسطـى لصيد طيور القمـري. وكما هو المعتاد عند صيادي الطيور المهاجرة تبدأ الرحلة من المبيت قرب المكان المحدد للصيد، ثم ينطلقون في البحث عن الطيور ومطاردتها وصيدها ابتداء من قبيل شروق الشمس.



طيور القمري من الطيور المهاجرة التي تعبر أراضي المملكة مرتين في كل عام تعتبر طريدة الصيد الأولى لهاوي الصيد بالبندقية. ولحمها من أطيب لحوم الطيور في المملكة

يقول أبو فواز: في تلك الليلة وبينما كنت أقوم بتجهيز وجبة العشاء أمسك صالح بالبندقية (الشوزن) ليتفحصها ويتأكد من جاهزيتها، ثم أسندها على السيارة في الوقت الذي كان أبو سعد ينشد ويردد:

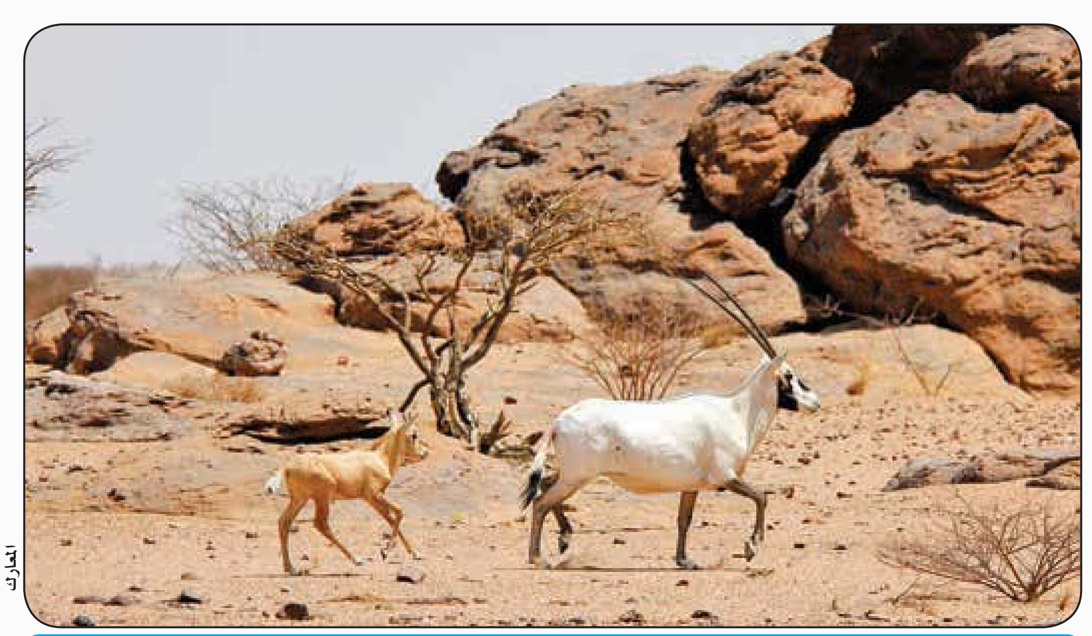
يا الله انا طالبك حمرا هوى بالي	وان روح الجيش طفاح جنايبها

ويستمر في إنشاده إلى أن يصل البيت الذي يتحدث فيه الشاعر عن بندقيته:

حيّ الطويلة وحيّ اللي شراها لي	من واحدٍ جابها للسوق جالبها
اضرب بها الوعل لا جاله تهنفالي	ابو حنيةً كبير الراس شايبها
ذبحت عشرة بعد والظل ما مازالي	والحادية روّحت تلثغ مضاربها

وفجأة صرخ صالح قائلاً: غير معقول يا أبا سعد، أولاً أنت تخلط في الشعر بين ما قاله الشاعر مسعر بن ركاض العامري السبيعي في وصف بندقيته، وأبيات من قصيدة للشاعر فراج بن ريفه القرقاح القحطاني، وبين ما غنّاه المطرب فهد بلان! ثم تعال، هل من المعقول أن يصيد الشاعر عشرة وعول في فترة قصيرة من النهار؟! ماذا صنع بهذه الكمية الهائلة من اللحوم إذا عرفنا أن وزن وعل واحد مكتمل النمو قد يتجاوز خمسين كيلو غراماً؟ وكيف احتفظ هؤلاء باللحم وهم من جيل عاش قبل مائتي سنة تقريباً في وقت لا تتوافر فيه طرق وأجهزة تبريد تحفظ اللحم من الفساد؟ ولا أظنهم صنعوا قديداً من كل هذه الكمية التي تقارب نصف طن، بل قد تصل الكمية إلى بضعة أطنان في يوم واحد لمجموعة محدودة من البشر، فقبل ثلاثمائة سنة تقريباً قالت شاعرة تفتخر بـ(فروسية) رجال قبيلتها:

تسعين عدد صيدنا في عشية	وضيحيةٍ نجعل دلانا جلودها
قناصنا يروح شريقٍ وينثني	يجي بالجوازي داميات خدودها



المعارك

الوضيحي من الحيوانات التي كانت تستوطن الجزيرة العربية، وتوجد بأعداد كبيرة بحالتها الفطرية قبل عشرات السنين، لكنها منقرضة ماعدا وجودها في بعض المحميات الطبيعية وحدائق الحيوانات. وسُمِّيت بالوضيحي لأنها تكتسب اللون الأبيض بينما تكون بلون باهت في الشهور الأولى بعد ولادتها

ثم يتساءل صالح مستنكراً، ألا تعتقد يا أبا سعد أن تلك الأعداد الكبيرة من الوضيحي والوعول تُركت مرمية للسباع والجوارح؟ أليس هذا عبثاً وإسرافاً وفوضى في سلوك الأجيال السابقة؟

يبدو أن مقاطعة صالح أفسدت مزاج المُسِنّ، فكشَّر أبو سعد ونهر صالحاً قائلاً: الله يرحم صديقي الذي لم يحسن تأديبك! كيف تقاطع من هو أكبر منك سناً دون استئذان؟

ومما زاد الطين بلة أن صالحاً رد مباشرة مداعباً: وهل تعتقد أني قاطعت فهد بلان ياشيبة عرعر؟

وهنا ثار أبو سعد، وفي غمرة غضبه وصراخه رفس إطار السيارة، فسقطت البندقية على الأرض و(ثارت)، ونحمد الله أن الطلقة كانت في الاتجاه الآخر. ويمضي أبو فواز في سرد الحادثة: كانت مفاجأة الطلقة كفيلة بأن يصمت الجميع بضعة دقائق، ثم طلب أبو سعد من صالح العودة به إلى منزله، فقال صالح مسترضياً: إن ابن أبي صالح يُقَبّل رأسك ويطلب منك العفو.

وهذه حيلة صالح عندما يستغلّ نقطة ضعف أبي سعد إذا ما أراد إنهاء أي خلاف، فبمجرد أن يأتي ذكر اسم الصديق المتوفى، ينسى أبو سعد الموقف الذي يثيره ويهدأ، وسرعان ما تعود إليه الابتسامة.

ومن عادات أبي سعد إخفاء مشاعره، ولذلك ابتعد إلى مسافة غير بعيدة مدَّعياً ممارسة رياضة المشي، ثم بدأ صالح في فصل جديد من المداعبة فنادى صديقه المُسنّ قائلاً: وراء هذا الوادي يا أبا سعد سيارة فورد (فرت) موديل ٦٦ مهملة، وبعون الله سأسحبها في الصباح وأذهب بها إلى أفضل ورشة وسأطلب تركيب ماكينة وكل لوازم إصلاحها وسأقدمها لك هدية، لكنني أخشى أن تعود بك الذكريات إلى ماضيك وتنسى الحاضر، ثم تذهب بها إلى الحدود القريبة بقصد تهريب التنباك (التتن).

عـاد أبـو سعـد راضياً ومبتسمـاً، وقال: صحيــح، كنا أنا ومن هم علـى شاكلتـي (في الفروسية) قبل عشـرات السنــين نملك (الفروت) ونعمـل في التهريب، لكن حمولتنا لم تكن (تتن) كمـا تقول، بل سلاحاً وبنــادق صيـد، ولو كان أبـو صالح حيّاً يـرزق لأخبرك أن هذا النــوع من التهريب يعتـبر مفخرة في ذلك الزمـان! ولا يستطيـع القيام بـه إلا الرجال الفرسان، وكنـا لا نبيع الأسلحة إلا للفرسـان أمثالنا الذين لا يصيدون إلا (جل الصيد) مثل الوعول والغزلان والوضيحي، أما (دقاق الصيد والطويرات) فكنّا نتركها (للرخوم) أمثالك.

وبعـد محاضـرة أبـي سعد المُغلَّفـة بـ(فروسيـة الماضـي) تَدَخّـل صالـح في حديـث جاد، وقـال: أنـت تحـاول إقناعنـا بمفهومـك للفروسيـة، وأعتقـد أنـه مفهـوم خاطـئ، وكنتـم يا معشـر الآبـاء ترتكبـون أخطاءً فادحة في الفـترة التي تئن فيها صحراؤنـا من شح مصادر المياه وانحسار الغطاء النباتي مع بدء تدهور أعداد الوعول والوضيحي والغـزلان في ذلـك الزمـن لمـا دخلـت السيـارات (كراحلـة) للصياد، وانتشرت بنادق الصيد فقضيتم على (جل الصيد) بداعٍ من فهم خاطئ لفروسية مزيفة.



سيارة فورد (الفرت) أحدى السيارات التي استخدمت قديماً في نقل أسلحة الصيد وفي وصول الصيادين لمناطق تكاثر الغزلان والوعول، وقد رصد بعض الرحالة الغربيين في مشاهداتهم ما يمكن أن يوصف بأنه نعي أنواع الحيوانات التي توشك على الانقراض آنذاك؛ حيث قالوا: إن سرعة الغزلان والحيوانات لم تنقذها أمام سرعة السيارة وتطور بنادق الصيد التي اقتناها أبناء الجزيرة العربية

ويستمر أبو فواز في الحديث: انتهت تلك الرحلة في اليوم التالي بصيد أعداد قليلة من (دقاق الصيد: طيور الدّخل والقمري)، ولا أنسى أنني لم أُخفِ إعجابي الشديد بأفكار صالح، ولذلك منحته من عبارات المـدح والثناء الكثير. وقبل أيـام- للأسف- هاتفني أبو سعد يخبرني بإلقـاء القبض على صالح مع اثنين مـن أصدقائه متلبِّسين باقتحام محمية الحَرّة بشمال المملكة قرب مدينة القريات من أجل صيد مجموعة من الغزلان المحمية.

الواقـع أن هـذا الموقف يلخص ازدواجية تسـود بين الكثيرين – خاصة الصياديـن – فتجد منهم من يتشـدق (في المجالس) بالمثاليات والمحافظة على الأحياء الفطريـة، أما على أرض الواقع فإن عدداً كبيراً من أبناء الأجيال السابقة والحالية يمارسون هواية الصيد بفروسية مصطنعة. وربما ردد بعضهم بهوس فيه من البلاهة الشيء الكثير: (الصيد ولعة ما على الله كماية).

(الصيد ولعة ما على الله كماية)

الشاعر عبدالله بن سبيّل من كبار شعراء نجد (توفي عام ١٣٥٢ هـ) ما زالت بعض أشعاره تتردد على ألسنة الناس بعدما صارت في حُكم الأمثال. ولا يجد المتعلقون بحب رياضة الصيد بالصقور أو الصيد بالبندقية في البادية أو الحاضرة، أجمل من بيت يرددونه عندما يلومهم من لم يفتتن مثلهم في الصيد؛ فلا يرى فيه سوى التعب وصرف المال وإضاعة الوقت والبعد عن الأهل والأصحاب في رحلات داخلية أو خارجية في السنوات الأخيرة ربما تمتد عند بعضهم إلى أيام أو أسابيع متواصلة، لا يلتفتون إلى شيء من اهتماماتهم ومسؤولياتهم سوى الصيد أو القنص، ولا شيء غيره.

وقال ابن سبيّل:

باهل الهوى من شارب الخمر شارات	**وفيهم من اللي يطرد الصيد شاية**
شارات راعي الخمر فاقة وسكرات	**والصيد ولعة ما على الله كماية**



الصيد ولعة ما على الله كماية (وفي اللسان: كمى الشيءَ وتَكَمَّاه أي سَتَرَه)

أبو سيف يقتحم المحمية

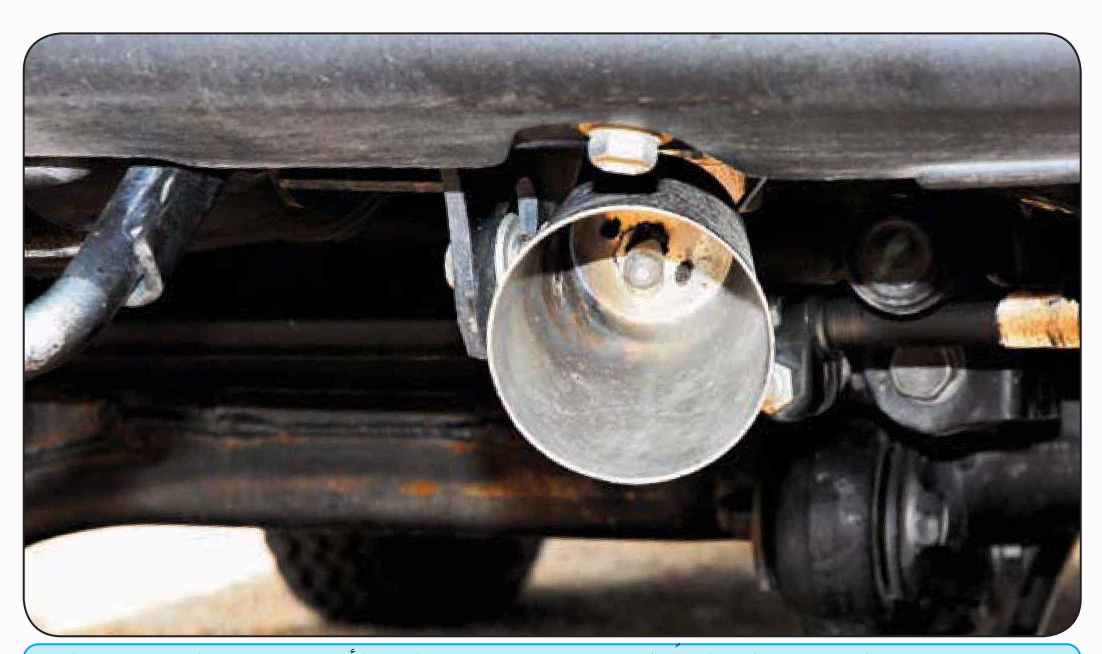
إبراهيم بن عبد المحسن السرحاني (أبو سيف) في العقد الرابع من العمر، ومن سكان مدينة الجوف بشمال المملكة ذو شخصية مرحة، وهو أيضاً من هواة الصيد بكل فنونه منذ طفولته، لكن ممارسته لهذه الهواية- كما أكد لي - اتجهت مؤخراً إلى عدم الإسراف اعتقاداً منه أن المتعة الحقيقية لهاوي الصيد ليست فقط في تتبع أثر الطرائد وملاحقتها وصيدها، بل في احترامه للأنظمة التي تسنُّها الجهات المعنية بحماية الحياة الفطرية والمتعلقة بضوابط وقوانين ممارسة الصيد، وما عدا ذلك فستكون الهواية طائشة وفوضوية خالية من المتعة الحقيقية. ومن تلك الضوابط أن هناك محميات طبيعية في المملكة تكلف مئات الملايين من الريالات أنشئت منذ عشرات السنين من أجل الحفاظ على الأحياء المهددة بالانقراض وإعادة توطينها، ويمنع دخولها لدواعي الصيد.

وفي رحلة صيد مع مجموعة من أصدقائه ارتكب - كما يروي لي السرحاني- هفوة في ساعة غضب أوقعته في كماشة الجوالين؛ وهؤلاء هم موظفون معنيون بمراقبة المحميات الطبيعية المنتشرة في مناطق المملكة، وتقع على عواتقهم أمانة الحماية الميدانية بمنع دخول المحميات والقبض على من يقع متلبِّساً باقتحامها.



يحتفظ المؤلف باسم المصدر

تعاني المحميات من تعنت بعض الصيادين، ومن ممارساتهم التي تدل على نقص في الوعي بأهمية ودور المحميات الطبيعية في الحفاظ على الحيوانات المهددة بالانقراض، أنهم يشرّحون فواكه مثل البطيخ والشمام والفراولة ويضعونها على أسوار المحميات (العقوم) فتنجذب الغزلان لرائحة الفواكه، ومنها غزال الريم (الصورة)، وعندما تقترب من أطراف السور يقتلونها ببنادقهم (ويأخذونها) في غفلة من الجوالين



يقتحم بعض الصيادين المحميات غالباً في الليل لغرض صيد الغزلان والأرانب البرية، وفي الصورة تشاهد واحدة من حيل التمويه (السرّاية)؛ وهي استخدام إضاءة للسيارات لايمكن اكتشافها إلا من مسافة قريبة جداً، وذلك بتثبيت إضاءة في مقدمة السيارة (أسفل الصدام) عبارة عن (كوب) معدني تثبت داخله (شمعة كهربائية) ويتم توصيلها بكهرباء السيارة فتكون الإضاءة باستخدام هذه الطريقة عبارة عن إضاءة مركزة على سطح الأرض ولمسافة قصيرة جداً؛ بحيث لا يراها الجوالون من بعيد ولا يتم اكتشافها، وربما ظهرت مع مرور الوقت حيل غيرها. والواقع أن مثل هذه الحيل والممارسات لن تختفي إلا بوجود آلية واضحة تعترف بالصيد كهواية وتسمح بممارستها في إطار نظامي دقيق وصارم على جميع الصيادين، مع العمل وفق خطط طويلة الأجل تهدف إلى تحقيق الوعي بأهمية المحافظة على الحياة الفطرية وتوسيع قاعدة المحميات الطبيعية وفتحها لعامة الناس لمعايشة ومعرفة الجهود والأعمال التي تبذل داخلها، وربما تطلّب الأمر تغيير وتطوير هياكل الجهات المسئولة عن حماية الحياة الفطرية بشكل يبعدها عن مجرد جهاز بيروقراطي لايحقق نتائج ملموسة على أرض الواقع

يقول أبو سيف: في مساء اليوم الثاني من رحلتنا توقفنا لأداء صلاة العصر في مكان يقع على مقربة من سور محمية الحَرّة في شمال المملكة، وبعد الصلاة قررنا أن نرتاح ونبيت في المكان.

وفي فجر اليوم التالي استيقظنا على صوت سيارة موظفي الحماية (الجوالين) الذين ترجلوا، وطلب منا أحدهم أن نسلمه بطاقاتنا الشخصية ونتبعه إلى مقر مركز الحماية، وسألته عن السبب فقال: إننا تتبعنا أثر سيارة اقتحمت المحمية ليلة البارحة وأوصلنا الأثر إليكم، وعليكم الاعتراف أيّ سياراتكم الثلاث دخلتم بها المحمية.

حاولت في بداية الأمر إقناعه بأننا لم ندخل المحمية ولم نحرك سياراتنا من المكان طوال الليل فلم يصدقني، وأصر على تسليمه البطاقات. وجابهت الإصرار بإلقاء محاضرة مطوَّلة عن تعليمات وزارة الداخلية بأهمية الحفاظ على البطاقة الشخصية وعدم تسليمها كائناً من كان، وكنت أسعى في محاضرتي إلى دفعه للملل والانصراف عنا، ولكنه أصر على تسليمه البطاقات. ولما كنت متأكداً من براءتنا اقترحت عليه أن نُحكّم أكبرنا سنّاً، منا ومنهم فيذهبون لتتبع الأثر من جديد. وتم ذلك وتبين أن هناك سيارة من

غير سياراتنا اقتحمت المحمية ومرت ليلة البارحة في طريق خروجها بقربنا، وكان الأمر سينتهي عند هذا الحد لولا أن الشخص الذي طلب بطاقاتنا الشخصية أثار غضبي بالعودة إلى طلبه، فأسمعته محاضرتي السابقة عن تعليمات الحفاظ على البطاقة، ثم انصرف مهدداً بقوله: (هين.. تجيبكم المقادير).

والحقيقة كما يقول أبو سيف: إن الغضب أوصلني إلى تَعَمُّد دخول المحمية راجلاً - في تحدٍ مني - لغرض (تنفيج) أرنب وإمساكها والخروج بها وانتظار ذلك الرجل الذي طلب البطاقة لأسلمه الأرنب رداً على مقولته (هين.. تجيبكم المقادير).



يقصد الصِيادون بالتنفيج عملية دفع الأرانب إلى الخروج من جحورها. وأصل الكلمة فصيح ففي اللسان نَفَج أو نَفَجَت الأرنَبُ إذا ثارَ. وأنْفَجَها الصائدُ: أثارها من مَجْثَمِها. والأرنب اسم يقع على الذكر والأنثى. ويطلق على ذكر الأرنب اسم (الخزز)؛ وهي كلمة فصيحة جمعها أخِزَّة وخِزَّان، ويسمى الصغير من الأرانب (الخرْنق)؛ وهي أيضاً فصيحة. أما الأنثى فتسمى بالعامية (العْدَنَة)، وجاءَ في اللسان أن القُواعة أنثى الأرنب، والعَكْرِشة والجِحْمَرِش: الأرنب الضخمة. والضِّغيب والضُّغاب: صَوْت الأرنب

ويمضي أبو سيف في سرد تفاصيل الحادثة قائلاً: ولما دخلت في عصر ذلك اليوم وتوغلت في المحمية أغرتني كثرة الأرانب ونسيت بسبب (ولع ملاحقة طرائد الصيد) أنني في المحمية، وبقيت مستمتعاً في (تنفيج) الأرانب وملاحقتها فقط. وقبل مغيب الشمس كنت أعدو وراء (خزز) اتجه إلى صعود تل، وتبعته ولما اعتليت المرتفع شاهدت سيارة أفراد الحماية التي أتت إلينا في الصباح ويقودها الرجل الذي طلب مني البطاقة، ويبدو أنهم كانوا يرصدونني بـ(النواظير)، ووقفت مشدوها أراقبهم وهم ينظرون إلي ويتهامسون وكأنهم يقولون هذا صيد (جابته المقادير). وتذكرت أبنائي وزوجتي الذين سيفتقدونني لأنني سأسجن، وتحسرت على سيارتي التي قد تصادر.

أدركـت خطـأ وخطر الموقف وقررت الهرب و التخلص بالمـرح والمسالمة، وكنت نظمت سابقاً بيتين من الشعر، فاستلقيت على ظهري (أنشد) بصوت مرتفع، ومما قلت:

الصـيد لـه لـذه ومتعـه وترفيـه   ويجلـي عـن النفس الشـقيه عناها

ومع البيت الثاني كنت أشير بسبابة يدي اليسرى إلى صدري، وفي يدي اليمنى أرفع بطاقتي الشخصية مستسلماً وأقول:

والصـيد لـه نـاس تحبـه وتتليـه   وتفهـم قوانينـه علـى مـن سـواها

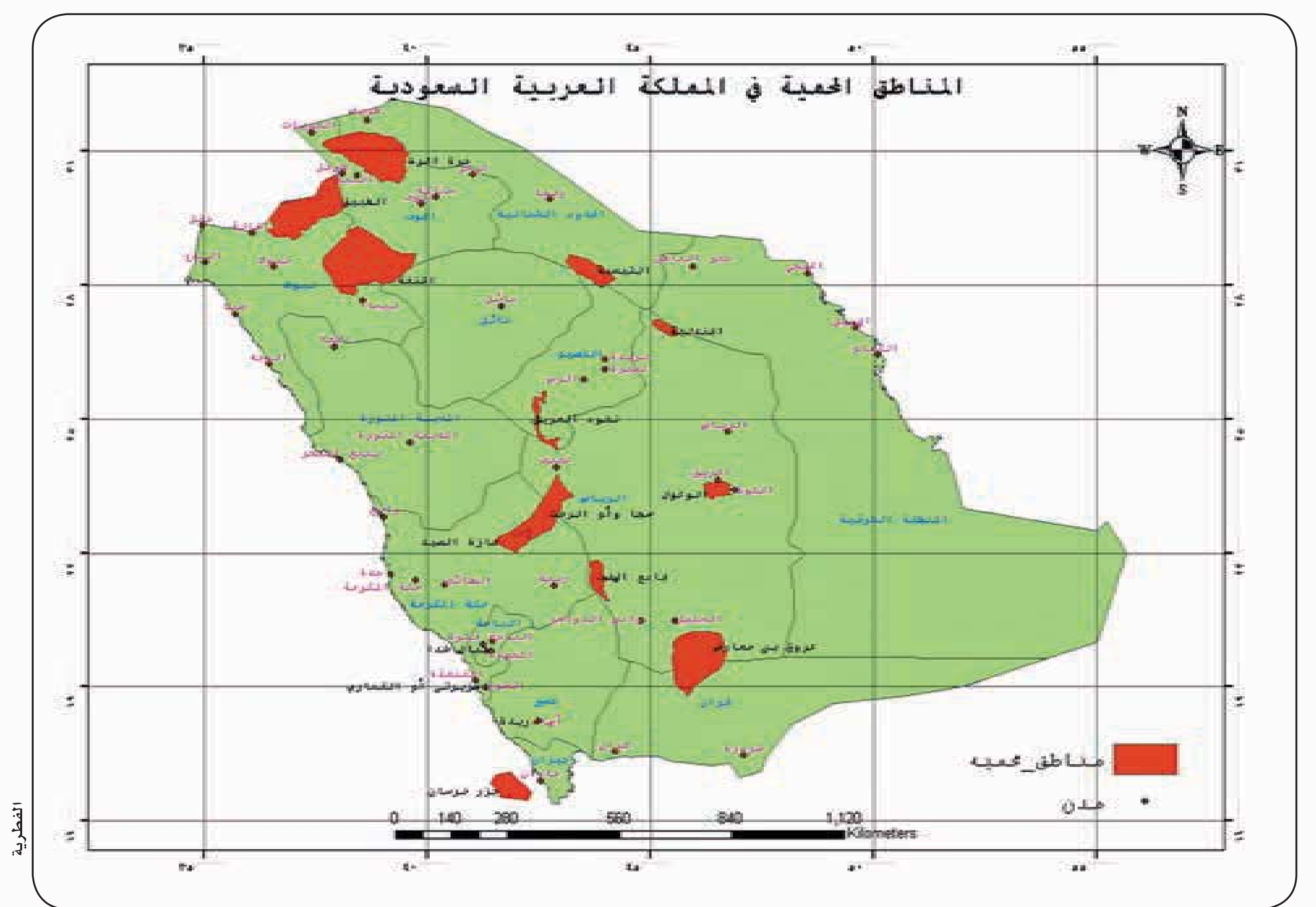
ويبدو أن معاناة الموقف فجرت بقية القصيدة فخرجت بالأبيات التالية:

والليل صيده قط مانعترف فيه   واكبر خطا حرمانها من عشاها

ومن لا يعرف الصيد اليا وقع فيه   يـبـيـدهـا بـس يـتـذمـم خـطـاهـا

والمشـكله مـا يـاخـذ الـلـي يكفيه   يـبـيـدهـا وطــول لـيلـه وراهـا

أقبـل الجوالـون عليّ بعـد القصيدة مبتسمـين، وبعضهم عـاد إلى السيارة من شـدة الضحك، وأخذ السائق مني البطاقة وأمرني بركوب السيارة، وذهبنا إلى المركز وأديت معهم صلاتي المغرب والعشاء، ثم تناولـت معهم وجبـة العشاء، ورغم هذا الكرم لم يفارقني حينها هاجـس السجن ومصادرة سيارتي. ولما أحضر أحدهم الشاي قلت في نفسي فُرجت، وكنت أمنّي النفس بجلسة سمر أستطيع من خلالها إمتاعهم بسـرد كثير من القصص والشعر، لكن أكبرهم حوَّل (السمـرة) إلى محاضرة عن احترام النظام وعدم التهـور في دخـول المحميات، ففهمـت أن الأمر سينتهي بإطـلاق سراحي، ولهذا نهضـت قائلاً: (أكرمكم الله) فـرد علـي أحدهم (حياك الله بعـد التوقيع على التعهد بعدم دخول المحميـة مرة أخرى). ثم عدت لأصدقائي بعد التعهد مدركاً أن الغضب يجب ألا يوصل الرجل إلى ارتكاب الخطأ.



الغرض من إنشاء المحميات الطبيعية هو المحافظة على الأحياء الفطرية المهددة بالانقراض وإكثارها

الفطرية

فراق الابن في رحلة الصيد

من القصص التي تؤكد على أن (الصيد ولعة) تلك التي حدثت بين علي بن عبدالرحمن الجميل وابنه بدر، وإن كان في القصة دروس اجتماعية أخرى.

علي الجميل (من مواليد ١٣٤٩هـ) من أهالي منطقة حائل بشمال المملكة، نشأ محباً للإبل والصيد والصحراء، اكتشف أن بدراً الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره تعلق في الصيد، فبدأ الأب يصطحبه معه في رحلاته. ومع الأيام وتعدد رحلات الابن مع أبيه زاد تعلق بدر في هواية الصيد، وزاد أيضاً تعلق الأب بابنه. ولما كبر بدر وبلغ مرحلة الدراسة الثانوية نمت بين الاثنين علاقة صداقة عززت حب الأب وبر الولد وأصبح الأب بالتدرُّج أكثر ميلاً لرحلات القنص مع ابنه بدلاً من مرافقة أصحابه.

أنهى بدر الدراسة الثانوية والتحق بكلية الملك عبدالعزيز الحربية بالرياض، ففقد الأب صديقه في رحلات القنص إلا في أيام محدودة خلال إجازات الأعياد التي كان يمضيها الابن عند أبيه في حائل. وصار العيد عند الاثنين يعني (حب الولد والأب ولقاء الصداقة والمتعة مع الصيد).

بعد كل عيد، وفي اليوم الذي يعود فيه بدر إلى الرياض لمواصلة دراسته يبدأ الأب يعد الأيام والليالي المتبقية لعودة ابنه مرة أخرى. تخرَّج الملازم بدر وعُينٌ في الرياض وكبرت مسؤولياته وتغير عليه نمط الحياة بمشاغلها بعد الوظيفة والزواج، لكنه استمر حريصاً على قضاء أيام العيد في حائل مع أبيه الذي قارب الستين من العمر، ولم يعد ميَّالاً لرحلات الصيد التي تمتد إلى عدة أيام، بل يفضل تلك الرحلة التي تستغرق يوماً واحداً ومع بدر ولا سواه. واستمر الاثنان على هذ المنوال في السنوات التالية.



الربيع في عام ١٤١٨هـ نادر، ويعتبره كبار السن تاريخياً فقد تعاقب هطول الأمطار الغزيرة منذ بدايات الوسم على معظم مناطق المملكة

في عام ١٤١٨هـ، وهو عام لا ينساه هواة الرحلات البرية والصيد، وحتى كبار السن الذين يعدونه من الأعوام التاريخية، فقد شهدت غالب مناطق المملكة تعاقب هطول أمطار غزيرة وموسم ربيعي يندر حدوثه، كان مجموعة من أصدقاء بدر يستمتعون في رحلة صيد بشمال شرقي المملكة قبل إجازة العيد، وقد تلقى اتصالاً من أحدهم يخبره أنه قطع مسافة طويلة من منطقة المقناص إلى القرية من أجل إبلاغه رسالة أصدقائه من هناك؛ ومضمونها (الصيد وفير، وقد شاهدنا أنواعاً من طرائد الصيد من الطيور تأتي على هيئة أسراب أكثر مما هو معتاد، وإذا كنت ترغب في متعة الصيد الحقيقية فعليك أن تلحق بنا سريعاً ومعك صقورك). وانطلق العقيد بدر مدفوعاً بـ(ولع الصيد) إلى أصدقائه، وأغرته وفرة الصيد ومتعته فأمضى معهم بقية إجازة العيد في (رحلة المقناص).

على الجانب الآخر كان الأب يرفض مرافقة أصحابه في رحلات الصيد طوال أيام إجازة العيد منتظراً قدوم ابنه، وممنياً النفس برحلة لا ينسجم فيها إلا معه، وكان يعتقد أن مهام بدر الوظيفية اضطرته للبقاء في الرياض حسب قول أبنائه في محاولة التخفيف عنه. وتحوّل انتظار الأب الصديق إلى قلق عندما جاء يوم العيد ولم يعد بدر أو يتصل مهنئاً مما دعا الأبناء إلى مصارحته بأن (بدر قانص مع خوياه).

امتزج عند الأب العتب على بدر الذي لايخبره بتحركاته مع مشاعر الصديق الذي ترك مرافقة الآخرين من أجل (الابن الصديق) فبث همّه شعراً حيث قال:

افرج لقلب كن به كهرب اسلاك	لو سج ساعة عاودنه دواكيك
يموج بي كنه بغيبات الادراك	يشبه لطير لولسنه شوابيك

ويخاطب الصديق الغائب:

يا بدر وا قلبي شكا حر فرقاك	يا بدر لا تنسى خوي مخاويك
وكم مرة للبر ناديت، هياك	بالبر بفراشي عن البرد أدفيك
أقصر خطا رجلي على قدر ممشاك	اقصر خطا رجلي على شان اباريك
يا بدر لا تنسى زمان تعداك	يوم انت فوق المتن لا صحت اراضيك
اسهر الى قالوا لي النوم ما جاك	والى رقدت احلم وبالاسم اناديك
اراجع الدكتور وآخذ لك دواك	آخذ قياس الملعقة منه واعطيك
وكم مرة حبيت خشمك وعلباك	خدام لك مثل العبيد المماليك
هذا كلام اللي سهر لاجل يرعاك	لفتة نظر واطلب عسى الله يخليك
لولاك ما خط القلم حرف لولاك	وعز الله اني في حياتي مساويك

بقي أن تعرف أن هذه القصيدة جعلت بدراً يتقدم بعد عودته من (المقناص) بإجازة لعدة أيام ليقيم مع والده، وقبلها أرسل له إهداء (نياق وضح) معتذراً بسبب أن (ولعة الصيد) أصابته طوال أيام الرحلة مع الأصدقاء فغفل عن رغبة الأب الصديق.

ربيع شباط

شباط بن عبدالرحمن الظفيري (مواليد عام ١٩٤٥م)؛ الشاعر الذي عرفته ساحة الشعر الشعبي مع بدايات الاهتمام به عبر برامج إذاعية خاصة في دولة الكويت، من سكان مدينة حفر الباطن؛ تلك المدينة التي تقع فيما يعرف بالدبدبة، وهي منطقة صحراوية في شمال شرقي المملكة تتميز باستواء سطحها فيمتد أفق الناظر إلى حدود البصر دون أن تعترضه جبال أو تلال أو أشجار.



الدبدبة مساحة واسعة ومنبسطة من الصحراء في شمال شرقي المملكة يعتقد الجغرافيون أنها كانت دلتا لنهر عظيم. وقديماً كان يخترقها طريق يُسمَّى (المُنْكَدِر) يصل بين بلاد فارس والعراق وبين نجد والحجاز. وقد سُمِّيت الدبدبة بـ(الدَّو)، وثمة من يرى أن هذه التسمية أَتَت من كلمة (دو) الفارسية وتعني طلب الإسراع في المشي، فإذا قيل بلغتهم (دَوْ.. دَوْ) أي (أسرع.. أسرع). لكن كلمة الدَّوّ تعني في لسان العرب والقاموس المحيط: الفلاة الواسعة، والأرض المستوية، والصحراء التي لا نبات فيها. وتعتبر الدبدبة من أخصب المراعي في المملكة وأكثرها إنباتاً للكمأ (الفقع)

وشاعرنا عاش منذ نعومة أظفاره في أحضان هذه المنطقة عاشقاً لها ومحباً للإقامة في براريها الفسيحة خاصة في فصل الربيع، لكن مع التقدم في العمر وانشغال أبنائه بالوظائف الحكومية والدراسة قل ترحاله في البراري وأصبح مقتصراً بين الفينة والأخرى على إمضاء وقت في ذلك المخيم الذي يقيمه ابنه عبدالرحمن، أو تلك الرحلة التي يأخذ الابن أباه فيها إلى رحلة قصيرة للاستمتاع بربيع الدبدبة.

يعمل الابن عبدالرحمن قرب أبيه بمدينة حفر الباطن في وظيفة عسكرية فتفرض بطبيعتها أحياناً أن يكون جل الوقت بعيداً عن الأهل، فلا يجد فرصة سوى تلبية بعض المطالب الأساسية للأسرة والأبوين. وكان فصل الربيع في عام ٢٠٠٤ م — كما عرفت من عبدالرحمن بن شباط - عام انشغال وظيفي، فانقطع عن متعته في الإقامة أو التجوال في الدبدبة. وربما لم يتنبه الابن إلى رغبة أبيه في القيام برحلة برية، أو

أن الأب الشاعـر لم يعلـن عن رغبته في ربيع عام ٢٠٠٥م الذي صاحبه انشغـال مماثل للابن، فلم تسمح طبيعة العمل وأشغال الوظيفة بإقامة المخيم المعتاد، ولا حتى الاستمتاع برحلات قصيرة يسبقها الإصرار علـى الاستعداد المنظم للقيام برحلة برية، كمـا هي طبيعة وحال العسكريين الهواة للترحال البري، ولهذا مضـت سنتـان والأب الشاعر بين الجدران الإسمنتية في المدينة، وذلـك مما لم يتعوّده في حياته. ومع بدء فصل الربيع عام ٢٠٠٦م الموافق أوائل عام ١٤٢٧هـ وجه الشاعر رسالة في قصيدة يعلن فيها عن رغبته في كسـر رتابـة العامين الماضيين شاكياً إلى ابنه (أبو شباط) من الملل الذي صاحبهما، طالباً منه ألا يتحجج بطبيعـة العمـل دون أن ينسـى الشاعر تضمين القصيدة الرقـة في مخاطبة الابن البـار- كما أعرف عن الاثنين- فقال الشاعر شباط الظفيري:

مربـاع الالفـين وأربـع طافنـي عامه	اللـي لفقعـه يجيبـون الجلاليبـي
مـا شـفت عشـبه ولا وقفـت بارمامه	ولا اخـذت بـه سـجةٍ قبـل اللواهيبي
من شـاف نبته شـكر ربه على انعامه	لـو ان مالـه حـلال ولا مكاسـيبي
مـن غربـي طريـف للثقبـه ودمامـه	قاسـوه بالطـول متعبـة المناجيبـي
واليـوم عـامٍ جديـدٍ حـل مرسـامه	بقدومـه السـيل يجـري بالاداعيبـي
رعـاد سـحبه مـن المنشـا ترزامـه	يشـعب الارض بالأمطـار تشـعيبي
زانـت ليـال الربيـع وزانـت أيامـه	وأنـا اتحـراك يابـو شـباط بالطيبـي
والـدك يـا دحيـم يشـكيلك تحطامه	ملّيـت شـوف المدينه وأنت تـدري بي
حقق لشـايبك في مجهـودك احلامه	واحـرص على ارضـاه في كل المواجيبـي
وكّل زميلـك بزامـك لانتهـى زامـه	واسـرع بنفعتـك لا تنسـى مطاليبـي
عملـك ماهـو ورى جـازان وتهامـه	تشـوف مـن مركـزك بيـت المعازيبـي
لا تنقـل العفـش خـل العفـش وخيامه	يكفينـي اسـبوع في موترك تمشـيبي
خذني على الكامري واقفل علي جامه	أنـا دليلتـك والمصـروف مـن جيبـي
خلـه تـروح تلـوح كنـه الشـامه	تسـابق الطـير مـن روس المراقيبـي
أسبق من اللي بصاف الريش حوامه	شـيهانةٍ سـخرت بـرقٍ مغاليبـي
منـوة غريـبٍ ربيـع القلـب قدامـه	علمـه بشـوفه قبـل عامـين تقريبـي
مـن يوم حـرك طويل الليـل ما نامه	شطب على النوم في مسراه تشطيبي
والله مـا الومـه ولا أيـد واحـدٍ لامـه	يلومـه اللـي غشـيمٍ بالتجاريبـي
كفـاه شـر الحسـود مصلـفح الهامـه	اللـي عيونـه مثـل جمـر المشـاهيبي

فقد الإبل والطير والصحراء

عقـاب بـن مصقال السهلي (توفي عـام ١٤١٤هـ) شاعر وهاوٍ للصيد بالصقـور، تشير قراءة أشعاره إلى أنـه أمضـى طفولته وشبابه يتبع مع أخيه أثر الأمطار والربيع ويرعيان الإبل التي يمتلكانها. أراد أخوه بعـد أن تقـدَّم به العمر توديع الترحال البري واللحاق بركب من غـادروا الصحراء إلى المدنية، فطلب من مصقـال بيع الإبل كي ينـزلا قرية الحفنة الواقعة قرب روضة التنهاة بوسـط المملكة، ووافق الشاعر أخاه ولكنـه لم يُخفِ أن موافقتـه كانت فقط إرضاءً للأخ الأكبر، فقال عندما تـرك الإبل في سوق بيعها مودعاً ناقة ألفها وألفته:

يا فاطـري عـزي لـك اليـوم عـزاه	من ماقف فيه القصاصيب مرزين
أتلـى العهـد بـين ذولا وذولاه	أتلـى العهـد يـوم اقفـى تحنـين
والله يـا لـولا واحـد نتبـع رضـاه	إنـك لسـوق البايعـة مـا تطبـين

وبعـد سنـين من الإقامة بقرية الحفنـة، وفي سنة هطلت فيها أمطار الوسـم وازدانت هضبة الصمان بزهور الربيع أقام مصقال فيها مع بعض أصحابه مخيماً فعاد الشاعر بدوياً يندب حظ من بقي في المدينة فيقول:

البـر زان وزان وقـت المظاهـير	وعـزي لمـن هـو قاعـد مـا مشـى به
القصـر مـا يصلـح ليال المخاضـير	ومسـكين يـا للـي جالس عنـد بابـه
مـا شـاف عشـب زايـف لـه دواويـر	في مربـع عشبـه يغطـي ترابـه



وأقســى وأمـرّ ما يصادف (الصقّار) أن يفقد صقراً تمرس معـه في اقتناص الطرائد، وقال مصقال بعد فقده ذات يوم طيره (صقره) المُسمَّى نصار بعد (الهدد) على حبارى:

هديته عصير واثر طلعه طيار ... طالع خلوج مقفية واقتفاها
وسقت الونيت بساقته حد الاسفار ... والارض ما انظر رملها من حصاها
بس العيون بساقة الطير سمار ... ونظرات عيني شاطحة في سماها
والشمس غابت وحال دونها ستار ... ليل غشا روس الجبال وغطاها
واصبحت في راس الطويلات سبار ... ولا به طويل إلا ونيتي رقاها
واصيح بالملواح واقول: نصار ... واصيح صيحات يجلجل صداها
وانكفت ميس منه من عقب ما صار ... ونصار مدري وين دار نواها
تكفون يا للي مولعين وصقار ... وحروات طيري تضربون بحراها



الصمّان كلمة تعني في مصادر اللغة الأرض الصلبة دون الجبل ذات حجارة إلى جنب رمل. وثمة اختلاف وتباين في المصادر الجغرافية على التحديد الدقيق لحدود هضبة الصمان التابعة لإمارة المنطقة الشرقية. وعرّفت هيئة المساحة الجيولوجية في المملكة (الصلب والصمان) بأنها منطقة مستوية واسعة تضم عشرات الفياض والروضات والخباري التي تغطيها الأشجار، ويحدها من الشمال طريق حفر الباطن-النعيرية، ومن الشرق طريق النعيرية-عريعرة، ومن الجنوب طريق الرياض-الدمام السريع ونفود الدهناء، ومن الغرب نفود الدهناء

وبلغت مرارة الفقد عند عقاب بن مصقال حد أنه لم يعد يرى هضبة الصمان كما عرفها بعد (٣٥) سنة من مغادرتها، فقال عندما عاد ليشاهد الصمان؛ كما هو حال بقية المراتع، قد غادره أهله وتركوه لرعاة أتت بهم سنوات الطفرة:

وصلت وصف وانا عمسان ... ما شفت شي يسليني
وقفت واقول انا غلطان ... لولا رسوم وبراهيني
اعوذ بالله من الشيطان ... تغيرت في نظر عيني
يا دار وين راحو السكان ... سايلك بالله تنبيني
اليوم تسكن بك الرعيان ... من كل دولة رعاويني
لا وا حسايف على الصمان ... راحت فياضة مقاطيني



إحلال العمالة الأجنبية في الصمان - البيت قبل الأخير للشاعر عقاب السهلي - بدلاً من أبناء الصحراء مما أفرزته السنوات التي سُمِّيت (سنوات الطفرة). والواقع أن هذا تغير فرضته متطلبات الحياة، ولن يكون ذلك التغير هو المشكلة الرئيسية، فالمشكلة الأشد أن هضبة الصمان الجميلة ومثلها أماكن أخرى تشهد مؤخراً مزيداً من التلويث، إذ يترك أصحاب المواشي وهواة الرحلات والصيد أطناناً من البلاستيك والزجاج والعلب والأسلاك المعدنية وغيرها من المخلفات الضارة بالبيئة والحياة الفطرية. إن خطورة ترك المخلفات وتلويث المراعي لا يؤدي فقط إلى التأثير على خصوبة الأرض وبالتالي تعرضها للتصحر الكامل على المدى البعيد، إن الخطر الأقرب هو في تأثير هذه الأطنان التي تترك في المناطق البرية حيث تتحلل مكوناتها وعناصرها الضارة في التربة ببطء. وتؤكد دراسات تضمَّنها كتاب متخصص صدر عام ٢٠٠٥م بعنوان (كتاب البيئة) على أن التربة تحتفظ بهذه المكونات الضارة، وقد تصل كسموم إلى أجسام البشر بطريقة ملتوية؛ حيث يتم تلويث الحشائش والأعشاب وعندما ترعاها الحيوانات تنتقل السموم إلى لحومها وبالتالي إلى معدة وجسم الإنسان الذي يأكل اللحم



ضياع عجيب لصقر مثير

قصص ضياع الطيور (الصقور) من أصحابها في رحلات القنص بعضها مثير، ومنها ما رواه رجل الأعمال عبدالعزيز البابطين لمحرر مجلة البواسل مطلق المطلق، والبابطين مارس رياضة الصيد بالصقور منذ صغره وراثة عن أبيه.

وقبل سرد تفاصيل القصة يوضح البابطين ما وصفه بأنه عُرْف أو (سَلْم) عند الصقارين يتعلق بفقدان الطيور، وهذا العرف في حقيقة الأمر يمكن اعتباره أحد بنود أخلاقيات متوارثة أو ميثاق غير مكتوب لممارسة هواية الصيد بالصقور (الصقّارة)، ويقضي هذا (السّلْم) بأنه في حالة ضياع الصقر خلال موسم الصيد (الذي يمتد من شهر أكتوبر حتى شهر مارس)، ثم صار الصقر إلى حوزة شخص آخر؛ سواء بالعثور عليه أو شرائه ممن عثر عليه، فلصاحبه الأول الذي فقده وأعلن عن ذلك بين (مجتمع الصقارين) الحق في استرجاعه دون أن يدفع في ذلك أيّة نقود، ولكن ليس له الحق في استرجاع الصقر إذا صار إلى حوزة شخص آخر عثر عليه أو اشتراه ممن عثر عليه بعد انتهاء موسم الصيد، بحيث تكون (ربطة الصقر) عند المالك الجديد. (وربطة الصقور أو المقيظ) تمتد من شهر مارس حتى شهر سبتمبر، وتكون الصقور بحكم تكوينها الطبيعي خلال هذه الفترة غير مؤهلة للصيد حيث تبدل ريشها في أشهر الصيف.



تبقى الصقور المستخدمة في الصيد في أماكن مغلقة عدة شهور في غير موسم الصيد فيما يعرف بالربطة أو المقيظ. ثم يعاد تدريبها على الصيد بعد اكتمال التبديل الطبيعي لريشها

يعـود تاريـخ هذه القصة إلى عهد الملك خالـد بن عبدالعزيز طيّب الله ثـراه، وكان البابطين قد فقد صقـراً من صقوره الغالية أثر تعقب طيور حبـارى خلال رحلة قنص قرب كربلاء بالعراق في نهاية موسم الصيد، واضطر إلى البقاء مع مرافقيه أياماً أخرى للبحث عن الصقر. وبعد ثلاثة أيام رصدوا ما توقعوا أنه الصقر المفقود، ولكن تبين أنه صقر آخر تتدلى منه (السبوق)، وبالتأكيد هي دلالة على أنه مفقود من صاحبه. و(السبُوق) عبارة عن رباط مصنوع من الجلد أو القطن أو الحرير يربط طرفه في رجل الصقر ويربـط الطرف الآخـر في الجزء المتحرك من (الوكر) الـذي يقف عليه الصقر، ولا توجـد السبوق فيما يعرف بـ(الطيور الوَحَش) أي الصقور التي لم تُعلَّم على الصيد.



(السبوق) هي رباط لا يوجد على (الصقر الوحش) أي الذي لم يُمسَك ويُدرَّب على الصيد

وبقـي هـذا الصقر المكسب عند البابطين مع بداية الربطـة إلى أن مضت أيامها، وبالتالي أصبح ملكاً له، وأطلق عليه اسم فلاح، وجربه في الموسم التالي بعد إعادة تدريبه وتأهيله للصيد، فوجده طيراً عجيباً يتمناه كل صقار.

وفي ذات يـوم حضـر إلى البابطين رجل يدعى علي بن محمد بن حذيان العجمي؛ فيما ظهر من سياق القصـة أنـه من المقربين إلى الملك خالد، ويريد شراء الصقـر. وكان أغلى صقر في ذلك الوقت لا تتجاوز قيمتـه ثلاثـة عشر ألف ريال، وعرض العجمي خمسة وعشرين ألف ريال في محاولـة للظفر بالصقر من البابطـين، لكن الأخير رفض واستغرب من إصـرار العجمي على الشراء وزيادة المبلغ، إلى أن عرض عليه شيكاً بخمسة آلاف دينار كويتي وهو ما يعادل ستين ألف ريال تقريباً. واضطر العجمي أمام رفض البابطين إلى إخباره بأن الملك خالد طلب منه شراء الصقر، وأوصاه ألا يخبر أحداً بذلك. وبعد أن تكشفت الحقيقة

للبابطين قال للعجمي: خذ الصقر وسلّمه هدية مني إلى الملك وإن أصررت على الشراء فسوف أذهب بنفسي للملك وأقدمه له.

خشي العجمي من إهداء البابطين، لأن ذلك سيعني للملك عدم الالتزام بتنفيذ الأمر بحذافيره، وطلب العجمي من البابطين أن ينسى الموضوع برمته. أما البابطين فأصرّ على رفض البيع فيما رأى أن مقام الملك أكبر من أن يُباع له الصقر. وانتهى الأمر إلى بقاء الصقر عند صاحبه.

استخدم البابطين (الصقر فلاح) في القنص طوال الموسمين التاليين. وفي الموسم الثالث في رحلة قنص في مصر فقده بعد إصرار مرافقيه على إطلاقه (هده) في ظروف جوية غير ملائمة متعقباً سرباً يتكون من عشرين حبارى، ولم يفلح البابطين ومن معه بعد عمليات بحث مضنية في العثور عليه.

ومع بداية موسم الصيد التالي، أرسل البابطين شخصاً ليشتري له صقوراً من سوريا تعوضه عن فلاح المفقود، ومن هناك اتصل به المرسول هاتفياً ليخبره بالمفاجأة؛ وهي أن فلاح تم شبكه (الإمساك به) بواسطة تجار على الحدود السورية التركية، وأنهم باعوه لوسطاء للملك خالد، وبمبلغ زهيد جداً مقارنة بالخمسة آلاف دينار!

ولأن مدة الربطة قد فاتت، حسب (السلم) بين كبار الصقارين أنتهى (فلاح) إلى حوزة الملك خالد وبمبلغ زهيد جداً!

وبعد، هذا الشاعر ثامر بن عبدالله الماضي ينظم أبياتاً على لسان العجمي الذي أرسله الملك لشراء الصقر (فلاح) فيقول:

جيت الكويت ويوم انا جيت مرسول ... مرسول من عند الملك قاصد الطير
طير عديم وفي العرض والطول ... وفعله شهر بين الحرار المغاتير
لاجله دفعنا واطلب الزود وتنول ... لكن ما بعتوا عسى فالكم خير
وجابه قدر ربي على الكف منقول ... عند الملك شاريه بابخس دنانير

ثم يتأمل الشاعر عبدالكريم اليوسف - على لسان البابطين - في ضياع الصقر الذي عبر ثلاث قارات ليصل إلى حوزة الملك خالد طيب الله ثراه و بـ(ثمن بخس):

الفكر بعد الطير غادي ومشغول ... روّح ولا بعناه لابن المناعير
غديت كني فاتر الحيل مشلول ... ودعيت ربي بالخلف والتياسير
ارسلت صقار يبخّص لي الزول ... ابي شبيهه في جميع المعايير
جاني يقول الطير من راح له حول ... باعوه لابن سعود هذي مقادير

(صقّار) مختلف



عبدالرحمن بن صالح العوجان (صقّار) تجاوز السبعين من العمر بسنوات (الصورة)، لم تكن الصدفة وحدها التي جمعتني به خلال رحلة برية في وسط الدهناء كافية لأن أصل معك عزيزي القارئ إلى (صورة صقار مختلف) ورث الهواية وتعلق بها من أبيه وجده. زرته وحادثته مراراً، وفي كل مرة أجد أفكاره تحوم حول معاني بيتين للشاعر عبدالله بن صقيه التميمي، الأول:

والله إني امعيفٍ من تلوث زماني   **عايفٍ من زمانٍ صابني منه خيفه**

والآخر:

من توجد على عصر مضى ما يلام   **ياوجودي على جيل فنى يا وجودي**

توصلت بعد عدة لقاءات مع العوجان إلى أن هذه الصورة؛ التي قد تتعدد أوجه قراءتها ودلالاتها، صورة مغايرة لما نجده في التحقيقات واللقاءات الصحفية، أو التلفزيونية التي تبثها بعض القنوات الفضائية (التجارية) التي تدّعي تخصصها في ثقافة الصحراء، وتكرس صورة نمطية لهاوي الصيد بالصقور، فتجدها تكرر صورة ذلك الشاب، أو واحد من (أبناء الذوات) يحمل صقراً أبيض أو أشقر للمفاخرة مع الاستعراض بألوان أخرى من (المباهاة)، ناهيك عن التغني - جاهلاً أو متعمداً- بفوضوية ممارسة الهواية.

تُميز شخصية العوجان بساطته في التعامل وتلقائيته في الحديث وبشاشته التي تغري بمتابعة الحوار معه، وستكتشف من السطور التالية جانباً طريفاً في علاقته بالسيارات، فاهتمامه بها جعله يؤرخ الذكريات أو الأحداث التي تمر عليه بموديلاتها. وسنأخذك عزيزي القارئ إلى الأمس مع العوجان في رحلة كأنه يقول من خلالها ما قاله (شاعر الصقارين) بدر الحويفي:



قالوا تفكر قلت عندي تفاكير	اشوف شي من خطانا وقوعه
قلت الحقيقة يا الوجيه المسافير	قلبي ليانً وشاف شي يروعه



(الصَقَّار) كلمة عامية يقصد بها الشخص الهاوي للصيد بالصقور. و(الصَقَارة) كلمة عامية يقصد بها الهواية ذاتها. بينما صقَارَة هي جمع مفرد طائر الصقر، ويجمع الصقر أيضاً- كما جاء في لسان العرب- على أصْقُر وصُقُور وصُقُورَة. وأنثى الصقر: هي الصقرة. أما الصَقَّار: فهو النَّمَّام واللَّعَّان لغير المُسْتَحقين، وقيل إن الصَقُّور والصَقَّار بمعنى الدَّيُّوث القَوَّاد إلى حُرَمه (وفقاً لما ذكر في لسان العرب). وتعني كلمة صقر في لغة العرب كل طائر من الجوارح يُصاد به ما عدا النسور والعقبان، أي أن طائر الباز يُعدُّ من الصقور. وتعود عملية تعليم الصقور على الصيد أول مرة في العصر الجاهلي إلى رجل يُدعى الحارث بن معاوية بن ثور الكندي، أمسك بصقر علق بشبكة منصوبة لصيد العصافير، فأخذه وكلف شخصاً يطعمه ويدربه على الصيد، وبينما هو معه ذات يوم انقض الصقر على أرنب فصادها وأخذها منه، ثم اتخذت العرب الصيد بالصقور بعده. وثمة من يرجح أن أمماً قبل العرب اتخذت الصيد بأنواع أخرى من الجوارح غير الصقور

أولى هذه الأحداث التي تُعدُّ ضرباً من الخيال عند (صقَّاري اليوم) يؤرخها العوجان في العام الذي صنعت فيه سيارة (فورد موديل ١٩٥١م)، حيث كان ذات رحلة صيد برفقة صيادين من مدينته الزلفي بوسط المملكة، وهم محمد المنصور ومحمد الموسى وسليمان الخميس وعبدالمحسن بن عبدالله السلمان، توقفوا لأداء صلاة العصر في شعيب مرخ، وطار من أمامهم سرب واحد (جول) من طيور الحبارى يتكون من أكثر من (٩٩ حبارى)، تابعوه إلى أن حط بروضة قريبة تسمى (روضة السبَلَة) واصطادوا من السرب ما اصطادوا وتركوا البقية تطير إلى مكان آخر. وفي رحلة أخرى برفقة صديقه سليمان بن ناصر السكران، ومعهما (ونيت فورد موديل ١٩٥٦م في السنة التي صنع فيها موديل ١٩٦٤م) شاهدا في منطقة خنيفسان (قرب الزلفي) أسراباً يقدر عدد السرب الواحد منها بحوالي ٥٠ حبارى.



لم يكن الإعجاب بالوسيلة الجديدة إبان دخول السيارات إلى الجزيرة العربية مقتصراً على استخدامها وسيلة نقل ومواصلات، فقد استعملت السيارات منذ ذلك الوقت وحتى الآن استعمالاً سيئاً حيث وفرت إمكانية وصول من ملكها من هواة الصيد إلى مناطق لم يكن بمقدورهم الوصول إليها من قبل، ويتذكر بعض كبار السن مشاهداتهم لأكوام من الغزلان قتلت في الربع الخالي ومناطق أخرى، وألقيت بعد تعطل السيارات. ويقول الرحالة عبدالله فيلبي في مشاهداته عام ١٩٥٥م إنه شاهد -في رحلة واحدة إلى الربع الخالي- أكياس حصيلة صيد الحبارى في مدة ثلاثة أيام، وقد بلغت تسعة وعشرين كيساً، وفي موضع آخر في كتابه (أربعون عاماً في البرية)، قال: (تراجعت غزلان الصحراء بأعداد يرثى لها)

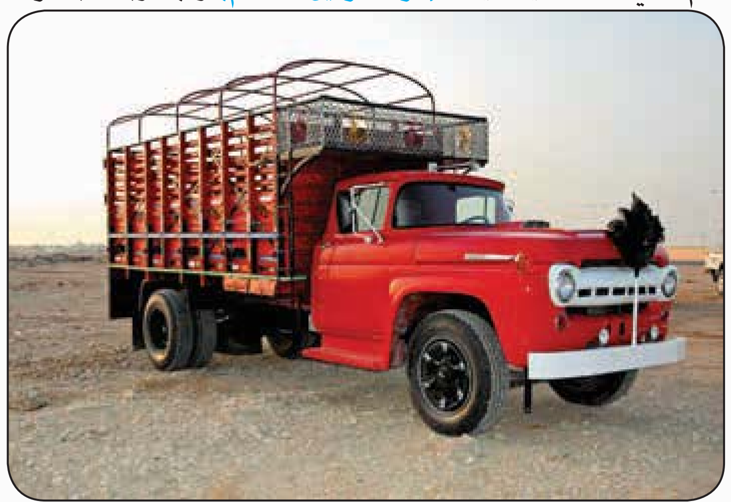
تصور – إذا كنت (صقّاراً) أو مهتماً بالطيور- جمال مشهد تلك الأسراب وإغراء الأرقام التي يتحدث عنها العوجان إذا عرفت أن (الصقّار) يخرج حالياً في عدة رحلات طوال الموسم الواحد وقد يحالفه الحظ بحبارى واحدة فقط، وفي أحسن الأحوال عدد لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة حتى لو جال في صحاري المملكة من أدناها إلى أقصاها. أما مشاهدة الأسراب المقاربة لعدد ٣٠ حبارى فهو مشهد مألوف في رحلات صيد قام بها العوجان، لكن هذه الأرقام بدأت بالتناقص وبشكل ملحوظ للأسف بعد العام الذي صنع فيه (فورد موديل ١٩٦٦م). يقول ذلك العوجان بنبرة حزينة لم يستطع إخفائها ملقياً اللوم على أبناء جيله ومن بعدهم فيما يصفه بـ(ارتكاب عمليات إبادة واسعة لكثير من طرائد الصيد في صحاري المملكة). وممن؟ من أبناء الصحراء أنفسهم الذين لم يفرقوا بين الصيد تلك الهواية الممتعة التي ارتبطت بالفرسان وبين العبث الذي يختص به الطائشون.

يختزن العوجان في ذاكرته من العام الذي صُنعت فيه (سيارة جمس موديل ١٩٧٧م) مشاهد – لاتلفت انتباهه آنذاك – لبيض الحباري بكثرة متكسر بعدما داسته أقدام الإبل والأغنام، ويقارن ذلك بلهفته هو وصديقه محمد بن سعد القحطاني لما رصدا عام ٢٠٠٠م بشعيب الإرطاوي مشهداً نادراً في صحاري المملكة، عبارة عن عش حبارى فيه بيضتين، ثم عادا إليه بعد شهر ليشاهدا الصغيرين وقد فقسا وماتا


بيض الحبارى

وتكوَّمت عليهما أعداد من النمل وحشرات أخرى يفترض أن تكون غذاءً لصغار الحبارى وليس العكس. وبالتأكيد كان موتهما نتيجة لفقد الأم التي لم تفلت من آلاف (الصقارين المتأخرين) الذين لا يميزون بين حبارى مهاجرة وبين حبارى مستوطنة في صحاري المملكة، ولا بين موسم تفريخ وتكاثر وبين وقت يفترض أن تمارس فيه الهواية بانضباط يضع في حسبانه معيار المحافظة على طريدته بعيدة عن شبح الانقراض. أما مفهوم المحافظة على التنوع الأحيائي في صحراء المملكة فهو ضرب من البدع في عرف (صقارين) لازالوا يقتحمون - لغرض الصيد- المحميات الطبيعية التي يُصرف عليها سنوياً مئات الملايين ويُمنع فيها الصيد من أجل حفظ الأنواع المهددة بالانقراض ومنها طيور الحبارى.

يعود العوجان إلى ذكريات العام الذي صنعت فيه سيارة (فورد موديل ١٩٥٨م) وقبله وبعده بسنوات حيث شاهد في منطقتي الصمان والتيسية في وسط المملكة الحبرو (الحبارى العربية)؛ وهو نوع كبير الحجم ربما رآه البعض مؤخراً فقط في الكتب والأفلام الوثائقية، ويسخر العوجان من المفارقة بين مشاهدته آنذاك للحبرو ذلك النوع النادر في العالم حالياً وبين شراء الصقارين مؤخراً للحباري الآسيوية والإفريقية من هواة جمعها أو استيرادها بطرق سرية للمتاجرة بها في سوق سوداء تدار بـ(استراحات


شاحنة (لوري) فورد موديل ١٩٥٨م، مثل هذه السيارة في تلك الحقبة التي يتحدث عنها العوجان كانت وسيلة الذين أدخلوا بنادق الصيد إلى المملكة، فانتشرت البنادق انتشاراً يصفه كبار السن بـ(غير المنظم)، ورافقته فوضى - ولا زالت حتى الوقت الحاضر- في ممارسة هواية الصيد لدى الكثير من الصيادين مما أدى إلى القضاء على العديد من أنواع الطيور والحيوانات المستوطنة في المملكة

الخفاء)، ولا تعترف بتنظيم بيع وشراء الأنواع المهددة بالانقراض، هذا إذا علم هؤلاء بذلك التنظيم! ويسخر العوجان أيضاً من ذلك الصقار الذي يشتري الحبارى بآلاف الريالات ويثبّت عليها جهاز التتبع الإلكتروني كيلا يفقدها ويطلقها أمامه و(يهد) صقره، ويتساءل هل في ذلك متعة أو فروسية حقيقية أم أن فروسية الصياد اتجه بها هؤلاء إلى الترف والمباهاة؟

شبراق

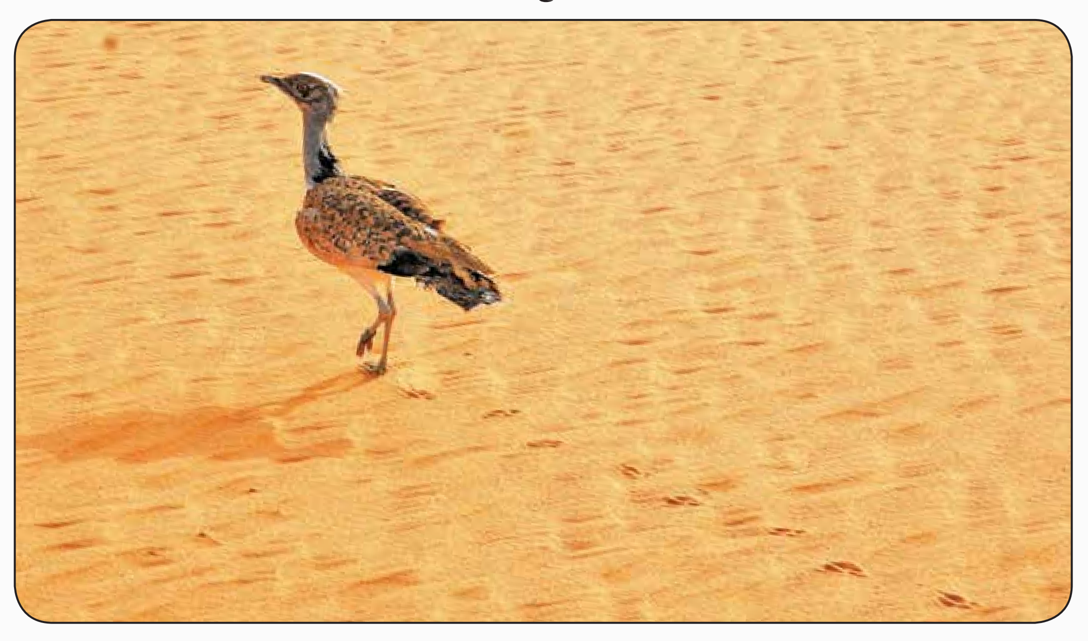
الحبرو أو الحبارى العربية

يتم اقتناء الصقور قديماً - ولا زال - بواسطة (شبكها)؛ والمقصود الإمساك بها بعد نصب فخاخ وفقاً لطريقة خاصة تستخدم فيها غالباً طيور الحمام أو الجرابيع. وقد مارس العوجان عملية شبك الطيور أول مرة وعمره (١٢ سنه)، بل إنه مارس منذ صغره الطريقة الأخرى التي تعرف بجني الصقور والمقصود بها عملية جمعها من أوكارها (مواكرها)، وإلى وقت غير بعيد مارسها في المناطق الجبلية قرب مدينتي الزلفي والغاط، ويتذكر جيداً أنه وغيره بعد أن يتكبدوا عناء صعود الجبال والوصول إلى (المواكر) قد لا يجنون (يأخذون) سوى الفرخ النادر ويتركون البقية مخافة ألا يتوافر لديهم فيما بعد الغذاء (العلف) الذي يبقيها على قيد الحياة. ولك عزيزي القارئ أن تقارن بين روح المسئولية والرفق بالحيوان وهذه الأخلاقيات عند بعض صيادي الأمس وبين الفوضى التي تصل عند الصقارين حالياً إلى العبث والاستمتاع بمشاهدة صقورهم منقضة لقتل طيور لا تُصنف كطرائد صيد في تراثنا الشعبي،



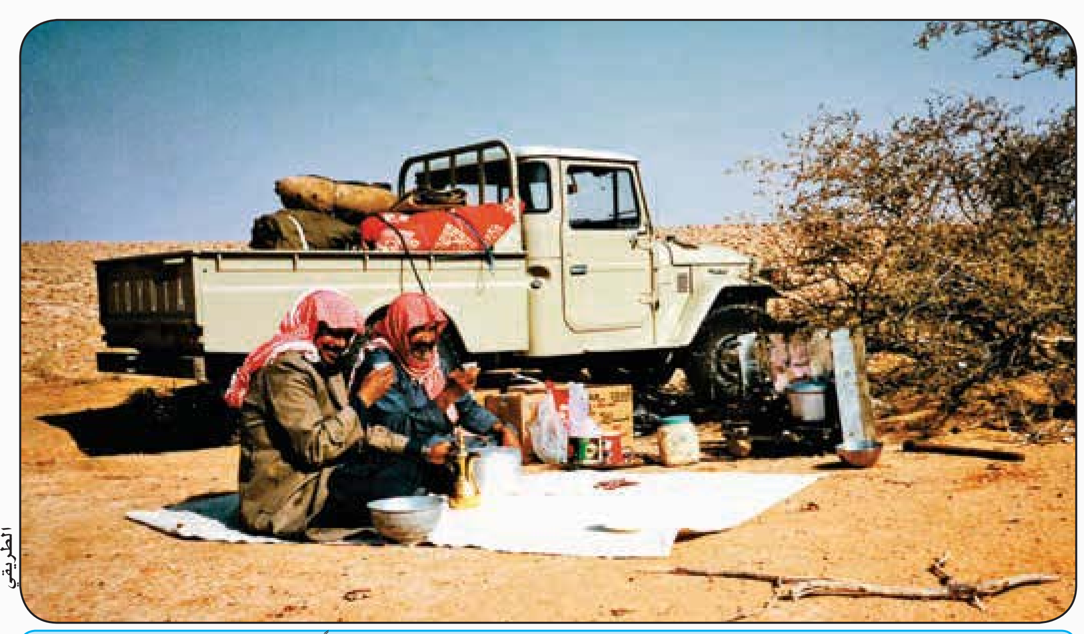
يسخر العوجان من (الصقاقير الجدد) الذين يتعمدون إطلاق صقورهم لقتل البوم وطيور أخرى لا تصنف كطرائد صيد في التراث الشعبي (تابع في نهاية هذا الفصل ما قاله فضيلة الشيخ الدكتور سلمان العودة حول قتل الطيور لغرض التسلية)

ولا يحـل أكلهـا أو العبث بهـا لغرض التسلية، ومـن ذلك طيور البـوم، فيتركونها ميتة بعـد قتلها بواسطة الصقر ليبحثوا عن طير فطري آخر ويرتكبوا نفس الفعل. ويضحك رجل مثل العوجان مستغرباً من أبناء هذا الجيل من الصقارين الذين يتعقبون هذه الأنواع من الطيور.



في ميـدان رحلة القنص عند الصقارين تعتـبر (الجراير) أو الأثر الذي ترسمه أقدام طيور الحباري في مشيهـا علـى الأرض هو الأساس في الاستدلال عليها خاصـة في الوقت الحاضر حيث تقل بدرجة كبيرة أعدادها ويندر مشاهدتها مباشرة، فضلاً عن أن الحباري تندمج بشدة مع طبيعة الأرض ولها القدرة على التمويـه والتخفي عـن الأعداء. ولهذه (الجراير) عند أول مشاهدتها وقـع خاص في نفس الصياد؛ بل إن بعضهـم يصاب بارتباك وخفة نتيجة شدة التعلق بالهواية. والذي يحزن العوجان هو والكثير ممن لازالوا يمارسـون الهواية مـن أبناء جيله أنهم لا يـرون في (صقاقير اليوم) الأخلاقيات التي كانـوا يتبعونها إذا عـثر الواحـد منهم على أثر الحباري مع الشك في أن صيـاداً بقربهم عثر عليه أولاً، فإذا كان الثاني راكباً (الذلـول) فإنه يؤشـر للأول ويدله على الأثر ويمضـي إلى حال سبيله، وحتى بعد دخـول السيارات تكون الإشـارة بالأنوار هي الطريقة لتبليغ هذه الرسالة. أما حالياً فـإن المطاردات والمشاحنات وتبادل الشتائم عـبر أجهزة الاتصال اللاسلكي وربما الشجار بين كثير مـن (الصقارين) هـي السائدة في الميدان، ولهذا لا يجـد هـذا الصقار العتيق مـا يشجعه على القيام برحلات قنص في الميـدان، ولولا (فتقٍ بقلبي) – كما يقول العوجان – وحب للصقور التي لا أستغني عن مشاهدتها يومياً والخروج بها بين وقت وآخر في فضاء الصحراء الفسيح لتخلصت من كل الصقور التي أملكها. وكأنه يتمثل قول الشاعر بدر الحويفي:

هـذا هـوى بـالي وهـذا رصـيـدي	**سـوق النظر بين السهال الجراهيد**
لو كان من طرد الولع ما ستفيدي	**فتـقٍ بقلبـي واعـذروا يالاجاويـد**



الطريقي

العوجان مـع أحد أصـدقائه في (رحلة صـيد) صـورة مختلفة لما نشـاهده مؤخراً أثناء تصـفح مواقـع ومنتديات الإنترنـت الخاصـة ببعض هـواة الصـيد إذ تجدٍ صـور (رحـلات مقناص) في أماكن غير معروفة لأشـخاص غير معروفـين وقـد علقوا على السـيارة عددا كبيراً من الأرانب البرية وطرائد الصـيد الأخرى. لقد أصـبح الصـيد - بعد السـنوات التي أعقبت دخول جيب التويوتا إلى المملكة - في كل المناطق غير عسـير، ولم يرافق تلك البدايات - ولازال - اهتمام رسـمي أو شـعبي بتنظيم ممارسـة هواية الصـيد. ولا زالت الأنظمة غير قادرة على السـيطرة على تبعات الصيد الجائر

مـن المواقف التـي لازالت عالقة بذهن العوجان ذلك الموقف الذي حدث لـه مع بداية انتشار سيارات (جيـب تويوتـا) منذ أكـثر من ثلاثين عاماً وكان برفقـة صديقه هايف بن سافر المطـيري في رحلة قنص بالقرب من بلدة قبة في القصيم. حاصرتهما السيول والشعاب فاضطرا إلى اللجوء مع آخرين داخل أحد الدكاكـين في البلـدة. وفجأة دخل عليهم سرب من حمام الصخور الـذي يعرف في المملكة بأسماء (حمام الدحـول أو الخضاري أو السـوادي). وخرجا من الدكان وشاهدا صقراً غريباً أبيض كبير الحجم لم يريا مثلـه مـن قبل ينقض كالسهم علـى آخر السرب، فانطلقـا يرصدانه ومعهما حمامة نصبـا عليها الفخ أو (الشبكة)، وما هي إلى لحظات حتى نشب الصقر في الفخ لكنه يطير كلما اقتربا منه والشبكة والحمامة لاتزال عالقة في قدمه، وبعد مطاردة علق طرف الشبكة بشجيرة عرفج فأمسكا بالصقر وإذا هو نوع يجمع بـين مواصفات صقر الشاهين والصقـر الحُرّ وجرَّباه في الصيد بعد تدريبه فإذا هو سريع جداً (سبوق)، وفيه كل المميزات التي يتمناها الصقار. وفي تفسيره يقول العوجان لم نكن نعرف إلا مؤخراً بإمكانية وجود طيـور هجين من أبويـن من نوعين مختلفين. ولأنهما متشاركان في رحلـة واحدة اتفق مع صديقه المطيري على التنازل له عن الطير الحر، مقابل أن يكون الطير الجديد ملكاً للعوجان. والمحزن والمفرح في آن واحد أن هذا الصقر مات بعد سنة، فقد زار أحد الأشخاص ذات يوم العوجان وشاهد الصقر الجديد على الوكر وهو ممسك بحمامة يمزقها في قوة عجيبة، وكلما تناول الصقر الحمامه بمنسره التفت الشخص يحملق في الطـير، وبعد مغادرته بساعات مات الصقـر دون سابق علة أو إنذار. أما المفرح فإن صديقه لما علم بموت



صورة لفرخ الحبارى. ومما جاء في لسان العرب والقاموس المحيط ومصادر اللغة الأخرى أن الحُبَارَى طائر يقع على الذكر والأنثى، واحدها وجمعها سواء. والحبرير والحُبرور والحَبرْبَر والحُبرُبور واليَحْبُور: يقصد بها وَلد الحُبَارَى. ومما جاء في تسمية فراخ الحبارى كلمات أخرى هي العُثمان، والنَّهار، والنُّهار، والشُّقذان، والجَنبَر. أما الذكر من الحبارى فهو الخَرب، وجمعه على خِرْبان أو خراب أو أخْراب. وأنثى الحبارى هي القَلوص، وقيل أيضاً القَلوص هي الحُبارى الصغيرة. أما صَوْتُ الحُبَارَى فهو الكَتْكتة، والكَتْكَت، والخفخفة. والبُرائل ما استدار من ريش الطائر حول عنقه، وهو البُرؤلة للديك خاصة، فإذا نَفَشه للقتال قيل بَرْأل.

الصقر أعاد إليه الصقر الحر الذي تنازل عنه في رحلة (قبة) في موقف يدل على شهامته ونبله لكن العوجان قابل الشهامة بمثلها ورفض إعادة الصقر الحر مقدراً لصديقه موقفه.

في ذلك الحين – كما يقول العوجان- لا يهم كثيراً ما نوع الصقر الذي تملكه مادمت مستمتعاً في الصيد به، ولا يعني الآخرين كثيراً لونه أو نوعه مادام صاحبه راضياً به. وقارن ذلك بما اتجه إليه (الصقاقير الشباب) في المباهاة بما يملكون والسخرية والاستخفاف بالآخرين الذين يملكون أو (ينقلون) الطيور غير المميزة في النوع واللون.

حقيقة الأمر أن رحلة الذكريات مع العوجان تحتاج إلى صفحات، وقد ترى أنها مع غيره تبدأ من الأعوام التي دخلت فيها السيارة إلى أرض الجزيرة العربية، وتمتد إلى المراحل التي اتخذ فيها كل الصيادين في المملكة السيارة مركبة (راحلة) تتيح لهم الوصول إلى أي مكان في أي وقت وبلا ضوابط صارمة ودون أي برامج للتوعية بأهمية وضرورة التوازن بين السماح بالصيد وتنظيم ممارسته، وبين الحفاظ على أنواع الطيور والحيوانات المستوطنة في المملكة التي لم يبقَ منها إلا أنواع قليلة لم تسجل في القوائم الدولية للأنواع الفطرية المهددة بالانقراض.

بقي عزيزي القارئ أن نورد تلك الأبيات التي قالها الشاعر ثامر بن عبدالله الماضي؛ وهو واحد من الشباب الذين فُتنوا بهواية الصيد بالصقور، لكنها فتنة لا تخرج عن (نقل الطير) مع همّ الحفاظ على الأحياء الفطرية بعيدة عن شبح الانقراض، أو كما قال في البيت الأخير (الله يستر لا يجي وقت ممحوق)، فقال الماضي على لسان العوجان:

مدري اوالي الطير وانقله وادعيه	والا اتركه بارض خلا ينتهض فوق
لولاي احبه وانطرب له واداريه	واصبحت انا واياه عاشق ومعشوق
حلف علي اني لافكّه واخليه	ولا ينقضب ساقه من اليوم بسبوق
من يوم قلّ الصيد شانت اراضيه	ما عاد لي بالقنص خاطر ولا ذوق
راح الزمان اللي به الصيد اراعيه	جمايل وقطعان والباقي فروق
ويا عيني اللي تذرف الدمع كفيه	الله يستر لا يجي وقت ممحوق

جوع و مفارقات في الربع الخالي

عبدالملك بن سليمان المسند يرافقه ثمانية من أصدقائه، منهم تركي وسعود اليحيى ووليد اليحيى (يرحمه الله) وعبدالرحمن الضبعان و عمرو الرشيد و عبدالكريم الفلاح و إبراهيم المطرودي، وجميعهم في أوئل العشرينات من العمر عندما قرروا بعد عام ١٩٩٠م بسنوات الذهاب في رحلة إلى مجاهل منطقة الربع الخالي.



الربع الخالي الذي يشغل ربع مساحة الجزيرة العربية تقريباً يعتبر أكبر منطقة رملية متصلة في العالم (٦٠٠ ألف كم مربع تقريبا). ورغم بعده هو ومنطقة النفود الكبير في شمال المملكة عن التجمعات السكانية وصعوبة السير فيهما فإن توجه هواة الصيد والرحلات إلى الصيد فيهما آخذ في التنامي في السنوات الأخيرة

دفع كل فرد من المجموعة مبلغ ألف ريال فيما يعرف عند هواة الرحلات البرية بـ (القَطّة)؛ وهي التكاليف المادية المشتركة المتوقعة للرحلة، وتوزعوا المهام التي تقتضي جلب المواد الغذائية والتموينية الأخرى مثل الخزانات الإضافية المعبأة بوقود السيارات وقطع الغيار التي يتوقعون أنهم سوف يحتاجون إليها، إضافة إلى الأجهزة المساعدة مثل هواتف الاتصال اللاسلكي وجهاز الملاحة وحقيبة الاسعافات الأولية. على أن يتولى كل شخص جلب المستلزمات الشخصية من الملابس وأغطية (أكياس) النوم وغيرها.

انطلق أفراد المجموعة من الرياض مستخدمين ثلاث سيارات من نوع (جيب شاص) بحيث يكون كل ثلاثة أشخاص في سيارة واحدة في رحلة سوف تستغرق نصف شهر وتشمل المرور على جميع مناطق الربع الخالي لغرض الاستمتاع في اكتشاف طبيعته والإقامة في أحضانه والصيد بواسطة البنادق والصقور وكلاب الصيد.

وبقـدر مـا كانت رحلة عبدالملك وأصحابه تجربة ممتعة فيما بعـد، إلا أنها حفلت بمفارقات وطرائف تؤكـد أن التخطيـط لرحلة برية ينبغـي أن يكون مدروساً بعنايـة حتى لو كانت الرحلـة أقصر وأقرب من الذهاب إلى منطقة بعيدة مثل الربع الخالي.

أول متاعـب الرحلة الإجهاد والإعيـاء وهذا متوقـع لكنه برز في رحلـة الذهاب ورحلـة العودة حيـث يستغـرق قطـع المسافـة لأول الأماكـن المحـددة مدة يوم ونصف بصورة متواصلة.



عبدالملك وأصدقاؤه أثناء التزود بالمياه في رحلتهم إلى الربع الخالي

مـن طرائـف الرحلـة أن أحدهـم كان مكلفـاً بشـراء التمر؛ وهو مـن الغذاء الأساسي في الرحلـة، وتكليفـه جـاء لأنـه عُرف بينهـم بتميـزه في اختيار أجود أنواع التمور التي تشتهر بها منطقـة القصيـم، ودفعه الاهتمام إلى الاستعانة بوالدته التـي كانت قد طلبت منه في وقت سابق أن يأخذ تمـراً قديماً (حويـل) لا يصلح للاستهلاك الآدمي ليعطيه أصحاب الماشيـة الذين يصادفهم في الرحلة. والخطأ الذي حدث أنه أخذ عبوات التمر (الحويل) فقط على أنه التمر (الفاخر)، ولم يكتشف الأصدقاء هذا (المطبّ) إلا بعد دخول منطقة الربع الخالي.

وثمـة جانب من المهم الإشارة إليه، وستعرف عزيـزي القارئ المفارقة العجيبة التي رافقته، فأحدهم نبـه إلى احتمـال أن كلاب الصيـد وعددها ثمانية سوف تجوع في هذه الرحلـة الطويلة، ولهذا تولى شراء كمية إضافية من الحليب السائل المركز ليكون غذاء لها.

وفي موقـف كاد أن يتسبـب بكارثـة، تنبه بعده أفـراد المجموعة إلى مدى الخطـورة عندما لا يأخذ في الحسبان من يذهب في رحلة بعيدة أنه بعيد أيضاً عن التجمعات السكانية ومراكز الخدمات والمستشفيات، ولهـذا ينبغي أن يكـون هناك توازن بين المرح واللهو وبين وضع الحيطـة والحذر في عين الاعتبار. والموقف يتلخـص في أنهم كانوا يحملون دراجـة نارية استخدموها في مطاردة الأرانب البرية، وبعد عدة مطاردات انقلبـت بأحدهـم وكادت تسقـط على رأسـه وتـؤدي إلى إصابة خطيرة، لكـن الأمر لم يتجـاوز الإصابة بالرضوض والجروح. ولـما فتحوا حقيبة الإسعافـات الأولية لم يجدوا سوى كمية محـدودة من المسكنات والشاش الطبي مما أضطر المصاب إلى استخدام الرمال الناعمة فيفرك بها الجروح بدلاً من استخدام المطهرات الطبية.

وفي اليـوم الخامـس تنبه عبدالملك وأصدقاؤه إلى نقص كمية المـاء التي ستنفد بسرعة، إذا لم يُقنِّنوا عمليـة استخدامها؛ فقـرروا استعمال الماء للشرب والطبخ فقط فلا يغتسلـون ولا يغسلون أواني الطبخ بل

يكتفون بتنظيفها بقطعة قماش، وكلفوا أحدهم بمراقبة تنفيذ ما اتفقوا عليه، ولم يخضع هذا المُعينّ لتوسلات بعضهم الذين اشتكوا في الأيام التالية من (أكل التراب مع الكبسة) بسبب أن الرمل يلتصق بقدر الطبخ ولا تكفي عملية التنظيف الجاف.

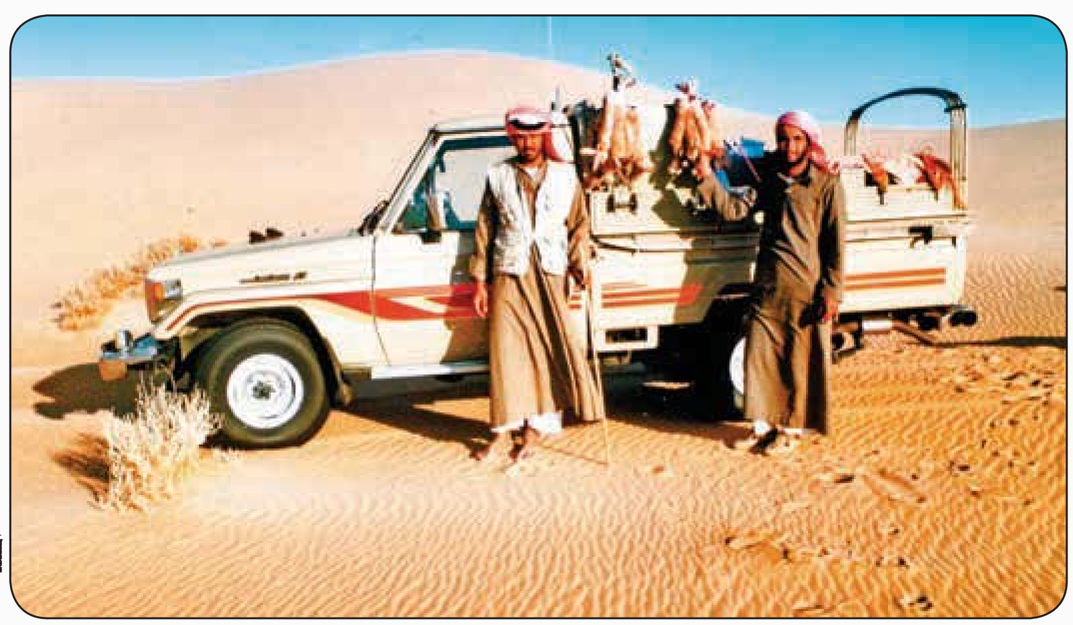
في اليوم السابع بعد أن توغلوا وسط كثبان الربع الخالي تأكدوا أن الطعام الذي بحوزتهم لن يكفيهم لبقية الأيام فكان (التمر الحويل) وجبة فاخرة إذا قورنت بوجبة أحدهم الذي سمع بأن الأبناء كانوا يأكلون سحلية (السقنقور أو الدسيسة أو الدميسة) ويستخدمونها في الطب الشعبي، ولم يتصور في يوم من الأيام – وهو ابن المدينة – أن يأكلها، لكن ظروف شح الطعام اضطرته لتجربة أكلها، وبعد يومين لاحظ أن بعض الأصدقاء يسابقونه في مطاردة السقنقورات فيمسكونها ويذكونها، ويأكلونها مشوية خاصة وأن المسئول عن مراقبة استهلاك التمر لا يصرفه إلا بكميات محدودة.

المستند

مطاردة الأرانب وبدت من بعيد الدراجة النارية



السقنقور، ومن أسمائه الصقنقور، أو الدسيسة، أو الدميسة، أو سمكة الرمال من السحالي التي تستطيع دفن جسمها والغوص في الرمال. وكانت تؤكل وتستخدم فيما يسمى الطب الشعبي الذي يزعم المروجون له أن أكل هذا النوع من السحالي يكسب الرجال (نشاطا خارقا)



في أول أيام الرحلة قبل تأزم الوضع التمويني

كانـت مهمة أحدهم الإشراف على تغذية كلاب الصيد من الحليـب السائل، ولم يكتشف الأصدقاء الثمانيـة إلا في اليـوم الثامـن أنه كلما فتـح عبوة رشف قليلاً مـن الحليب قبل سكبـه في الإناء الخاص بالـكلاب. وفي آخـر الرحلة لما تأكدوا من زيـادة عدد عبوات الحليب عن حاجة الـكلاب فرزوا الزيادة وسلموهـا إلى المسـؤول عن صرف التمر ليتـولى تسليم كل واحد منهم استحقاقـه اليومي من (الحليب المركـز).

لم تمنـع هؤلاء الأصدقاء مصاعب الرحلة من استمتاعهم بالصيد خاصة بالكلاب فكانوا يستيقظون قبيـل الفجـر فيذهـب بعضهم لعمل ما يعـرف بـ(المِجَرّ)؛ وهو اصطـلاح لعملية سحب أحـد الفرش على الرمـال، بحيـث إذا أشرقت الشمس يراقبـون سطح الرمال وإذا عثروا على أثر مشـي الأرانب عرفوا أنه أثـر حديـث فيتتبعونـه إلى أن يصلوا إلى جحورها، فتبـدأ عملية (التنفيج)؛ وهي عمليـة دفع الأرنب إلى الخروج من الجحر لتتم المطاردة بالكلاب، ويتبعونها بالسيارة إذا كانت الأرض سهلة أما إذا كانت وعرة أو إذا كان الأرنب (خزز) فتتم المطاردة بالدراجة النارية. وبعض صيادي المجموعة يختارون رمي الأرانب بالبنـادق.

أما الصقر الوحيد الذي كان معهم فاكتشفوا من أول الرحلة إصابة إحدى عينيه بمرض، وتبين أنه لا يبصر بها، فأصبح هذا (الصقر الأعور) عالة عليهم يغذُّونه (يعلفونه) من لحم الأرانب التي يصيدونها بواسطـة الكلاب، فلا يستفاد منه في الصيـد ولا حتى الاستمتاع في آخر النهار بما يعرف بـ(الدعو)؛ لأنه قد يرتطم بالشجر.



الدعو عملية تهدف إلى تدريب الصقر ورفع لياقته بإطلاق حمامه يتعقبها ثم يقتنصها، أو بربط جناح طائر أوحمامة والتلويح له ودفعه إليها عدة مرات

وبسبب أن هؤلاء الأصدقاء يقضون ساعات النهار في الصيد، وفي الاحتطاب قبيل مغيب الشمس؛ لأن النار هي الوقود الأساسي في الطبخ، فقد كانوا يخلدون إلى النوم بعد صلاة العشاء مباشرة، فلا وقت للاستماع إلى مذياع السيارة، ولم يكن معهم هواتف اتصال فضائي، ولهذا انقطعوا عن العالم الخارجي، وربما كان ذلك أحد أسباب (الجلافة في السلوك والتصرف) في موقف جرى في آخر الرحلة مع صاحب مطعم في حرض، وسنأتي على ذكره فيما بعد.

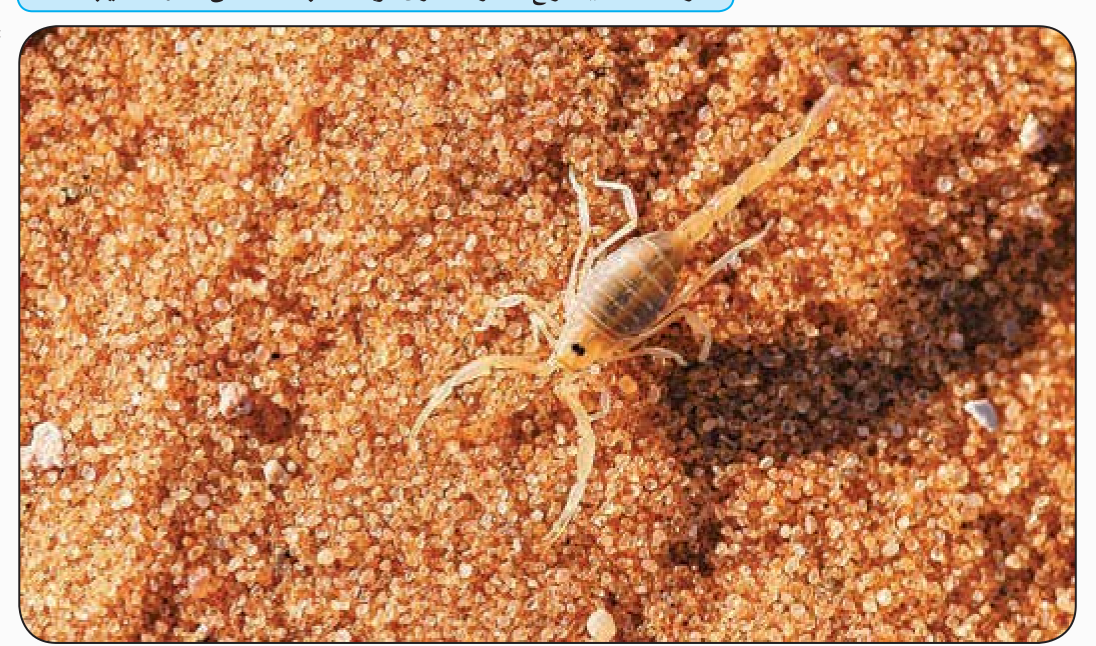
قبل نهاية الرحلة بخمسة أيام اشتكى أحدهم من ألم شديد في أسنانه إلى درجة أن الصديد يخرج من اللثة وينزل على الحنجرة (اللوز)، وبلغت شدة الألم وتدهور الحالة والمعاناة أنه لا يستطيع النزول من السيارة أو الصعود إليها إلا بمساعدة الأصدقاء، ومع ذلك أصر على طلبه بأن يكملوا الرحلة إلى نهاية المدة المتفق عليها مع أن الأمر لم يكن فيه خيار، فلو قرروا العودة مباشرة إلى الرياض من المنطقة التي كانوا فيها قريبين من حدود إحدى الدول المجاورة لاحتاجو إلى ثلاثة أيام لقطع مسافة الطريق. وفي هذه الأثناء نفدت كمية السكر، ولأن عبدالملك وبعض أعضاء الرحلة يمكن أن يتنازلوا عن بعض نصيبهم من الأكل ماعدا الشاي الذي يعتبرونه المشروب الذي لاغنى عنه، ولهذا اضطر عبدالملك ومن معه إلى التجول في السيارة وفي النية البحث عن سكر في الربع الخالي! وبعد ساعات عثروا على عامل يرعى إبلا واشتروا منه كل الكمية التي بحوزته من السكر وهي لا تتجاوز أربعة (كيلو غرامات) تقريباً، وأيضاً أضيفت هذه الكمية إلى قائمة الأكل مقننً الاستخدام.

في أثناء العودة توقفوا في الطريق من أجل محاولة إسعاف الصديق المريض ومساعدته في التخفيف

من آلامه، وهنا حدث ما صرفهم عن الصديق، فلقد لدغت عقرب صفراء عبدالملك فما لبث أن تحول مكان اللسعة إلى موضع ألم لا يُطاق، أو حسب تشبيهه بأنه مسمار غرز في قدمه ويُطرق بقوة، وتحول الأصدقاء بمن فيهم المريض إلى معالجة الملدوغ بالطرق الشعبية السائدة، ويبدو أن كمية السم لم تكن بتلك الخطورة فقد زالت أعراض التسمم بعد ساعات وخفت الآلام.



العقرب الصفراء وتسمى عقرب فلسطين من أخطر العقارب في العالم؛ (وتوجد في المملكة ودول أخرى) يميزها سواد العقلة الخامسة، بينما لا تكون كذلك في أنواع صفراء أخرى. وكان لعبدالملك من سمّها نصيب



قال الشاعر الساخر حميدان الشويعر (توفي في أواخر القرن الثاني عشر الهجري) في هجاء عجوز:

ما خبرنا يساهَر يا كود القريص ... جعلها الله تساهَر على أيّة سبب

وفي هذا البيت إشارة إلى الطريقة التي كانت تتبع قديماً في بعض مناطق المملكة لمعالجة الشخص (القريص)، وهو الذي تعرض لعضة ثعبان أو لدغة عقرب، إذ يساعدونه على السهر بواسطة مجالسته والتحدث إليه وإزعاجه بدق الطبول، ويعتقدون أن عدم نومه لعدة أيام يؤدي إلى شفائه من تأثير السم، وهذا زعم ليس له أثر في المصادر العلمية. ومازال هناك من يلجأ إلى طرق شعبية أخرى لم تثبت علميا صحتها لعلاج وإخراج سموم الثعابين والعقارب من جسد الضحية. وتبقى الأمصال هي وسيلة العلاج الناجحة (بأمر الله)، مع بعض الإجراءات التي تخفف من سرعة سريان السم في الجسد

ولما وصل عبدالملك وأصدقاؤه- في طريق عودتهم - إلى حَرَض وهي بلدة تقع شرق مدينة الخرج؛ وتبقى مدة ساعتان للوصول إلى الرياض، توقفوا لتعبئة السيارات بالوقود. ولك أن تتصور عزيزي القارئ أشخاصاً قدموا من رحلة قنص في الربع الخالي ولم يغتسلوا طوال ١٥ يوماً أمضوها في صحراء ليست كأي صحراء بما صاحب ذلك من نقص في الغذاء يشاهدون مطعماً (للرز البخاري) على مسافة قريبة من محطة الوقود. يقول عبدالملك أطلقت النداء الخاص بجهاز الاتصال اللاسلكي للسيارة التي تليني لأتشاور مع من فيها على مسمع من الأصدقاء في السيارة الثالثة حول اقتراح التوقف لتناول وجبة عشاء في المطعم منبهاً إلى أنني لا أفضل ذلك بسبب حالة المطعم التي بدا لي أنها غير مشجعة لتقديم أكل نظيف وصحي. وأثناء التشاور سبقتنا السيارة الثالثة إلى المطعم وترجل الأصدقاء الثلاثة في موقف فهمنا منه أن الأكل الذي سيقدم سيكون بالتأكيد أفضل من (كبسة التراب) في الربع الخالي.

والموقف الأكثر غرابة كما يوضحه عبدالملك بقوله: لقد دخلنا المطعم دون أن نتنبه إلى هيئتنا الرثة وشعورنا المنكوشة واتجهنا مباشرة للمطبخ، وأمام الشوّاية التي تدور بأسياخ الدجاج المشوي والقدور التي تفوح برائحة الأرز أمسك بعضنا بأطباق التقديم ليغرف بنفسه في الوقت الذي باشر آخرون عملية إطفاء دوران الشوّاية وسحب سيخ الدجاج ووضعه بالكامل على سفرة التقديم، ولم نشعر بشذوذ سلوكنا هذا، ولم نلتفت إلى عمال المطعم الذين يتهامسون وعليهم علامات الدهشة إلا بعد أن شبعنا ودفعنا لهم ثمن الوجبات ومبلغاً إضافياً كتعويض واعتذار. ثم عدنا إلى الرياض وكل منا أخذ درساً مُهمّاً في ضرورة الاستعداد والترتيب للرحلة البرية.


المسند

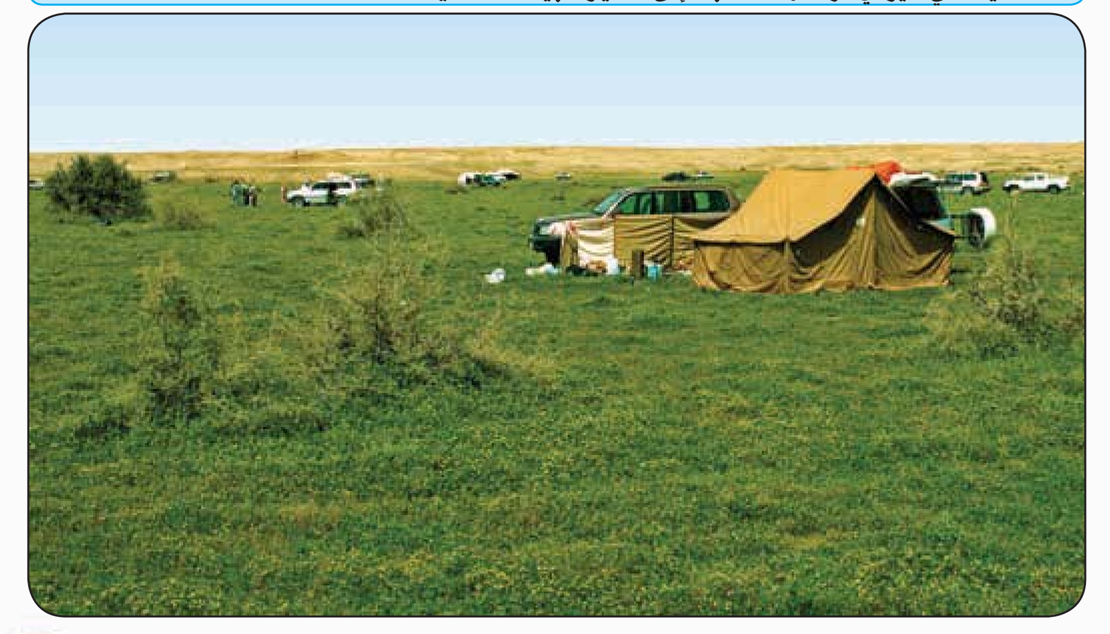
المتعة في مطاردة الصيد قد تسيطر على الصياد فتنسيه الأخذ باحتياطات السلامة

رحلة إلى الإبل تنتهي بحادثة تاريخية

عبدالعزيز بن سوّيد الباتل في العقد السادس من العمر واحد من أعيان مدينة الزلفي بوسط المملكة اختار التقاعد المبكر وترك وظيفته في سلك التعليم ليتجه إلى القيام على شؤون ما تملكه العائلة من أصايل الإبل المغاتير والصفر التي ترعى في الصمان والدهناء.



الدهناء (أعلى) والصمان (أسفل) من أكثر المناطق البرية التي يرتادها في السنوات الأخيرة هواة الرحلات البرية والصيد إضافة إلى ملاك الماشية من كل الفئات، والقليل منهم ينظف مكانه من المخلفات البشرية الصناعية التي سيؤدي تراكمها مستقبلاً إلى تدمير طبيعة المنطقتين



اعتاد الباتل على قضاء إجازة نهاية الأسبوع طوال فصلي الشتاء والربيع في الصمان قريباً من الإبل. وفي يوم الجمعة ١٤٢٨/٣/٢٦هـ الموافق ٢٠٠٧/٤/١٣م كان بصحبته عبد المحسن بن عبد الله البدر وسوّيد ابن عبد العزيز الباتل وأحمد بن عبد الله المنيع ومحمد بن عبد الله الباتل ومحمد بن عبد العزيز السحيمي، وفي طريق العودة من الصمان إلى الزلفي، ولما أشرفوا على عرق الرحيلي (الدهناء) رأوا على بعد بضعة كيلو مترات عن الطريق الذي سلكوه سحابة هائلة تكاد تلامس سطح الأرض، ودفعهم حب متابعة السحب والأمطار إلى الانحراف باتجاهها، ولما غطتهم السحابة امتزجت زمجرة الرعد بوميض البرق ووقعوا تحت عاصفة من البرَد في مشهد مهيب.



الباتل

أثناء المسير وقد بدت سحابة كبيرة أخرى في الخلف

وسرعان ما تطور الموقف إلى الخوف من ازدياد تساقط حبات البرَد وارتطامها بالسيارات وتكسير زجاجها، ولهذا وجّه الباتل قافلة السيارت بالتوقف بحيث تكون مؤخرة السيارات باتجاه هبوب الرياح بقصد التخفيف من شدة ارتطام حبات البرَد بالزجاج الأمامي.

وربما كان الباتل ومن معه يتصورون أن تساقط البرَد لن يكون خطيراً للغاية فضلاً عن أن مثل هذه العواصف غير متوقعة ونادراً ما تحدث بكثافة وحجم كبيرين في المنطقة الوسطى من المملكة.



الباتل

أوقفوا السيارات بحيث تكون المؤخرة باتجاه هبوب العاصفة للتقليل من شدة سقوط حبات البرد على زجاج السيارات الأمامي والتخفيف من أضرارها

وبلغ الأمر في قافلة رحلة الباتل وأقربائه أن سائق السيارة لم يستطع سماع صوت الشخص الذي يجاوره في المقعد الأمامي جراء الصوت الذي أحدثته حبات البرَد وهي تنهمر

بشدة على سقف ومؤخرة السيارة. وبعد أقل من ربع ساعة هدأت العاصفة وتوقف تساقط البرَد لكن الرمال الذهبية على امتداد خط الأفق تحولت إلى اللون الأبيض.



الباتل

تختلف أحجام حبات البرد تبعاً لاختلاف المدة الزمنية التي تتشكل خلالها داخل السُّحب والمسافة التي تقطعها من السُّحب حتى سطح الأرض، وقد بلغ حجم حبة البرَد في يوم الخميس - الذي سبق الحادثة التي شهدها الباتل - حجم فاكهة البرتقال في عاصفة ضربت مدينة حريملاء ألحقت أضراراً وإصابات في بعض منشآتها. وأصغر من ذلك في نفس اليوم في حفر الباطن وأم الجماجم ومناطق أخرى متفرقة في المنطقة الوسطى من المملكة



الباتل

طبقة سميكة من البرَد حوّلت رمال الدهناء الذهبية إلى اللون الأبيض



تكمن خطورة الإصابة بالصواعق في تفريغها بالجسم الذي تضربه شحنة كهربائية عالية، ويمكن أن تحدث الصواعق في أي منطقة بغض النظر عن مناخها. وإذا كان الشخص في العراء فيمكن أن يكون بداخل السيارة كأفضل الحلول، إذ لو ضربت الصاعقة السيارة فسوف تنتقل الشحنة الكهربائية إلى الأرض من خلال معدن السيارة العلوي إلى السفلي حتى تصل إلى (اليايات) ثم (المساعدين) ثم محاور الارتكاز إلى العجلات ومن ثم إلى الأرض عبر الإطارات، لذا يجب عدم لمس أي قطعة من هذه المعادن حتى لا تتلقى صدمة كهربائية قد تكون قاتلة. كما ينبغي الابتعاد عن المناطق المرتفعة وعدم استخدام الأجهزة الكهربائية، وعدم التحدث عبر أجهزة الاتصال، ولا بد من إنزال هوائي (أريل) جهاز الاتصال اللاسلكي إذا كان مرفوعا فوق السيارة، مع الحذر عند إدارة مفتاح تشغيل السيارة من الانتصاب الأتوماتيكي (لأريل) مذياع السيارة

قال لي أحد مرافقي الباتل: لقد كنا نخشى من الصواعق ولهذا أغلقنا هواتفنا الفضائية والنقالة التي استخدمناها في التصوير مخافة أن تصل من خلالها الشحنات الكهربائية، ولكننا لم نتنبه إلى (الهوائيات) الخاصة بأجهزة الاتصال اللاسلكي التي تركناها منتصبة على أسقف السيارات، ونحمد الله على السلامة.



الباتل

إن المشهد الآخر الذي أعاق مواصلة الرحلة – كما قال الباتل–هو البخار الذي حجب الرؤية؛ فقد أدت سخونة الرمال، في هذه الفترة من فصل الربيع (منتصف إبريل)، إلى تبخر طبقة البرَد التي تغطيها فلم نستطع السير

قبل أن ينقشع الضباب. وبعد الاتصال برعاة إبلنا من خلال الهواتف الفضائية والاطمئنان على سلامتهم وسلامة الإبل أخبرونا أن عدداً من الأغنام في قطعان مجاورة لهم قد نفقت بسبب البرَد، ثم واصلنا رحلة العودة إلى الزلفي.

بقي أن نشير إلى أن أحد أبناء الباتل الشاب فيصل بن عبدالعزيز الباتل - وهو من أشدهم تعلقاً بالإبل - قال بعد هذه الرحلة الأبيات التالية:


الباتل

يصل ضرر كثافة سقوط حبات البرَد إلى تدمير المحاصيل والنباتات وإلى موت الإنسان والحيوان وتدمير بعض الأبنية والمنشآت. ففي عام ١٩٦١م سقطت في الهند حبة بَرَد تزن ثلاثة (كيلوغرامات) على أحد الفيلة فأردته قتيلاً، وفي عام ١٩٣٩م قارب حجم البرَد حجم البيضة في عاصفة ضربت شمال القوقاز مما أدى إلى نفوق آلاف الأغنام، وفي نفس العام بأوكرانيا حطم البرد واجهات المنازل وخرق السقوفالحديدية للحافلات

عشق المغاتير خلانا	نمشي ولا نعاين السكه
مركوبنا اللاند والدانا	عرق الرحيلي وِرى الدكه
والعصر يوم الله اشقانا	جتنا العواصف لها دبكه
ضرب البرد فوق حجّانا	مثل القنابل لها صكه
ومن بعد يوم الله ادرانا	شفنا الغنم طايحه سكه
اللي نفق ما تعدانا	واللي توهن من الربكه
هذي مواعظ لها شانا	للمعتبر وان بغى الفكه
والخاتمة شكر مولانا	اللي جعل يمته مكه

وبعد، عزيزي القارئ: لعلك وقفت بعد الأحداث والقصص والأشعار والمعلومات والصور في هذا الفصل على دلالات و عِبرَ و دروس تعين على ما يجب أن يكون عليه هاوي الرحلات البرية والصيد من إدراك ووعي في ممارسة الهواية، وفي هذا الإطار أدعوك إلى قراءة المقال التالي للكاتب الصحفي الساخر الأستاذ عبدالعزيز السويد عندما طلبت منه طرح رؤيته حول محورين يتعلقان بفوضى ممارسة الهواية من جهة، وفي التهاون والتساهل في اتخاذ احتياطات السلامة في الرحلات البرية من جهة أخرى. وأحد جوانب هذه الفوضى في السنوات الأخيرة الإفراط في (صيد الضبّ) خاصة في المنطقة الوسطى من المملكة بدواعي المتعة وأكل لحمه في ممارسات لاتعدو أن تكون- في معظمها — عبث وقتل حيوان ضعيف لم يُصنَّف في ثقافتنا الشعبية كطريدة صيد مفضلة. فماذا كتب السويد؟

شهادة الضبّ في محكمة الصحراء

بقلم الكاتب الصحفي / عبدالعزيز بن أحمد السويد

إذا لم تقبل شهادة الضبّ في محكمة الرفق بالحيوان، بسبب عدم الاختصاص كما يمكن أن يعترض الدفاع، فهل يمكن قبولها في محكمة (المستهترين) من المسرفين وهم على نهر جار؟



أظهرت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت على الضبّ أن نسبة الكوليسترول؛ التي يعزى إلى زيادتها التسبب بأمراض خطيرة، توجد في لحمه بنسبة تفوق ما يوجد منها في اللحوم الحمراء بثلاثة أضعاف. ليس هذا فحسب بل إن هذه النسبة المرتفعة تتضاعف أيضا بسبب تغيرات فسيولوجية تحدث في جسمه أثناء فترة التزاوج والتكاثر في فصل الربيع، أي خلال الموسم المفضل لصيده عند هواة أكله

ولو قُبلت شهادة حيوان الضبّ، وهو موصوف في كتب التراث بالحكمة، ونطق.. لقال الكثير عما يتعرض له هو وأبناء (عكرته) من صيد جائر غرضه متعة الكروش و(بربسة مراهقين)، وتفنن في الفخاخ والمصائد التي يتعرض لها، ولأحضر معه تذكاراته الشخصية التي ورثها من أجداده، تذكارات تحكي عن جيرانهم من الحيوانات التي انقرضت من صحراء جزيرة العرب من الغزلان إلى الوعول والوضيحي والنعام وغيرها، ولابد أن الضبّ سيتصبب عرقاً وهو يترافع عن قضيته من فرط حماسه وللقهر الذي يعاني منه.

كأني أراه ملوحاً بعكرته اللطيفة أمام القضاة بعين دامعة وقلب مُحطَّم، سيجدها فرصة ليعلن أن مصيره مع أبناء جنسه سيكون مثل مصير تلك الحيوانات التي اختفت وانقرضت، وأصبح لا يُرى منها سوى أعداد قليلة في حالة فاقة وكسل ضيفة على حديقة الحيوان، وربما أعلن حيوان الضبّ أن الخطر الداهم الذي يتعرض له سببه حيوان حديدي خطير يتبختر على أقدام مطاطية، أحتل الصحراء، له

صورة لا يعرف مصدرها تداولتها مواقع الإنترنت أوائل عام ٢٠٠٧م، وهي واحدة من مئات بل آلاف الصور التي ينشرها هواة الصيد في بعض مواقعهم ومنتدياتهم على الانترنت، وأحيانا في بعض الصحف والمجلات. وهي صور تنطق بواقع مؤلم لما ستؤول إليه الحياة الفطرية في براري المملكة في ظل غياب الدور التوعوي الذي ينبغي ممارسته في الميدان

أنفاس خانقة لا تسكن لا في ليل ولا نهار ينقض وفي جوفه أبناء له مشاغبون محملون مرة بالسلاح الناري ومرات بخراطيم العادم الخانق.

ولو بثت الفضائيات مرافعة الضبّ وتظلمه لعقد مجلس الأمن جلسة طارئة وأصدر قرارات ملزمة، وأنشأ للمتهمين محكمة دولية تحت الفصل السابع، لتصدر حكماً على المتهمين باقتراف حرب إبادة ضد الضبّ المسكين. والضبّ وما يقع له من صيد جائر لغرض التسلية والتفاخر بعدد (العكر) والتصوير معها وأكل قليل منه ورمي الكثير، نموذج لما حدث لحيوانات أخرى كانت جزيرة العرب تزخر بها، وهو نموذج لوضع النباتات والأشجار وما فعله بها الاحتطاب الجائر الذي وصل إلى ربط جذوعها الصامدة أمام لهيب الشمس بصدام السيارة لتقتلع من جذورها. والوجه الآخر لهذا الاستهتار هو القذارة؛ أصبحت مظاهر القذارة أمراً مألوفاً في صحراء كانت نظيفة؛ نفايات من كل نوع لا يكلف نفسه من انتفع منها بحملها إلى أحد الحاويات، والقذارة تدل على صاحبها وتبين حقيقة تربيته وأخلاقه، فلم يعِ درس (الولد النظيف)، وقد لا يعرف نصيبه من الإيمان لو أخضع لاختبار النظافة من الإيمان.



في قصيدة للشاعر أحمد الدامغ سخر من الطرق التي يتَّبعها الهواة والمسرفون في صيد الضبّ، وألقى في بيتها الأخير باللائمة على الجهل فقال:

يا ضب والله يوم تشكي نعذرك ... مار الجهل من بعضنا قد عنا فيك



أخطـر المخلوقـات تهديداً للبيئـة هم البشر؛ فـإذا حملوا شهـادات الجهل المغلّفة بالـترف مع مرتبة الشرف في عدم الوعي بقيمة ما يحيط بهم تحولوا إلى وحوش.

وإلى أن يحصـل الضـبّ علـى حقـه وتفتح لـه الأبواب نتركـه في حالـه لنتفحص أحـوال المسافرين والمتنزهـين في الصحـاري، وتلك الأخبـار الموسمية المروعة عن التائهين والذين قضـوا عطشاً وجوعاً هم وأفـراد عائلاتهـم وبينهـم أطفال ونساء، ونطـرح سؤالاً يقول: هـل نعرف حق المعرفـة الأسلوب المناسب للتعامل مع الصحراء؟



هذه السيارة ذات الدفع الرباعي؛ وبعد ساعتين من تعلقها في صخور تحت الماء لم يرهـا السـائق، جرفتهـا المياه إلى مسـافة ٥٠٠ متـر. ولن يسـتطيع السـائق غالبـاً السيطرة على السيارة في مثل طبيعة هذه الأراضي والأجواء مهما بلغت مهارته وثقته بتجهيز السيارة المتطور فيقع في دائرة الخطر

الغريـب أن جـيران الصحـارى وأحفاد مـن عاشوا فيهـا يتساهلون معها، والتساهل هـو أصـل الخطـر، المتنزهـين يكون جل حرصهـم على القدور وأواني الطبـخ والحـذر مـن نسيـان الملح وعيـدان الكبريت، وهم يعتمـدون اعتماداً كلياً على الحيوان الحديـدي، ويصدقون الإعلانـات عنـه أنـه لا يقهـر، ولا يهتمـون كثـيراً بفحصه كلما أرادوا امتطاء صهوته، والسيارة

وسيلة مواصلات مريحة إلا أنها ربما تذهب بك ولا تعود. والأمر الثاني، أن بعض المسافرين في الصحاري تعود عادة سيئة، فمن وسائل المتعة عندهم (مناقر بعضهم البعض)، فيجتهد كل فرد من هذا الصنف في (الشلة الكاشته) في التقليل من قيمة رفيقه وأنه لا يعرف الطريق أو الأماكن المناسبة (للمكشات)، ويبدأ (موّال) ثقيل من (قلت لكم وقلت لك)، و(لو طعتو شوري) ويتحول الأمر إلى عناد قد يؤدي بالجميع إلى المهالك، ورغم أن التعاليم النبوية الشريفة بيّنت أن الركب ثلاثة ووجهت بأن يختاروا أميراً لهم من بينهم، إلا أن الركبان في جماعتنا غالباً ما يريد كل فرد منهم (الرياسة)؛ والنتيجة (ضياع الطاسة) واللوم المتبادل. وأهل الصحراء أعرف بالتعامل معها، والقاعدة الذهبية لمن يدخل المتاهات ألا يأكل حتى يجوع، ولا يشرب إلا عند العطش، وأن يتوخى الحرص والحذر فلا تغريه سرعة المركبة وقدرتها على اجتياز الكثبان والوعر؛ فهي قد تذهب به إلى حتفه. ثم إننا لا نجد اهتماماً كافياً بالتوعية لمرتادي الصحراء من جهات حكومية معنية بالناس وسلامتهم، وإن نشر بعض منها فهو في ذيل خبر عن حادثة مروعة فقط لا غير.



زاد في السنوات الأخيرة التوجه إلى هوايتَي الصيد والرحلات البرية، وقد أدت الأجهزة والسيارات الحديثة إلى تسهيل عملية الوصول إلى معظم المواقع البرية. والكثير من الهواة ينقصهم الوعي والانضباط في ممارسة الهواية، ومن ذلك كثرة شق الطرق البرية باطارات السيارات في وسط الفياض والروضات والخباري فيؤدي ذلك إلى انحسار الغطاء النباتي فيها

أهذا صيد؟ وما الحكم؟

صورتان التقطتهما في أحد أماكن أو (ساحات) الصيد، حيث يقوم فئة من الصيادين أو (حاملي البنادق) مع بدء رحلة الصيد بمعايرة البندقية وذلك بإصابة أهداف صغيرة للتأكد من دقة التصويب، وبعضهم يجعل الطيور أو الحيوانات الصغيرة من تلك التي لا تعتبر طرائد صيد هي الهدف، فتُقتل أو تُترك عمداً على هذه الهيئة (الصورة) إلى أن تموت. ترى ما حكم ذلك؟



الذعرة الصفراء طائر مهاجر يمر على الجزيرة العربية مرتين في العام الواحد، ويسمى في المملكة بأسماء محلية (شعبية) هي الصعوة، والفتّاح، والسلاحي، وأم حمدان، ولا يعتبره الصيادون من طرائد الصيد لأنهم يكرهونه بسبب بحثه عن طعامه من الحشرات في الوحل والمعاطن

ستجد في الصفحة التالية جواب فضيلة الشيخ الدكتور سلمان العودة.



القبرة الهدهدية طائر تجده في مصادر التراث العربي باسم المُكَّاء، ويعرف في المملكة باسمين محليين هما (أم سالم، أو أم صالح)، وهو طائر محلي يوجد في المناطق الصحراوية المفتوحة في المملكة على مدار العام. ولا يعتبر من طرائد الصيد، ويتكاثر ويحضن صغاره في فصل الربيع الذي يوافق موسم صيد (عودة الطيور المهاجرة)

جواب الشيخ سلمان العودة

فيما يلي أسئلة؛ حول موضوع هذا الفصل، وجهتها إلى فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة المشرف العام على مؤسسة الإسلام اليوم، وقد أجاب فضيلته بالتالي:

سؤال: من عادات هاوي الصيد بالبندقية خاصة الهوائية معايرة بندقيته بالرمي عدة مرات على أهداف صغيرة للتأكد من دقة التصويب، وبعض الصيادين يجعل الطيور الصغيرة التي لا تعتبر طرائد صيد هي الهدف فيرميها ويقتلها ويتركها لأنه ليس بحاجة إليها. ما الحكم في ذلك؟ وما الحيوانات والطيور التي أُمر المسلم بقتلها؟ وما الضوابط الشرعية لذلك؟

العودة: لا يجوز معايرة البندقية بطيور صغيرة مما لا يؤكل، أو مما لا يريد الصياد أكله، بل هو حرام، وقد صح الوعيد فيه عن النبي -ﷺ-، ونهى -ﷺ- أن يتخذ شيء فيه الروح غرضاً والمعنى أنه يتدرب فيه على الرمي أو تختبر فيه البندقية.

والحيوانات والطيور التي تصاد هي ما كان مأكولاً، ويصاد للأكل، أو ما كان مؤذياً فيقتل لدفع أذاه.

سؤال: هناك محميات طبيعية منتشرة في أنحاء المملكة تكون محاطة بسياج من الأسلاك المعدنية أو السواتر الترابية وعليها لوحات وإعلانات تفيد بأن الأنظمة تمنع الصيد في هذا الأماكن، وذلك لحماية بعض أنواع الحيوانات والطيور من الانقراض. هل يثاب المسلم على المساعدة فيما يحقق الهدف من إنشائها؟ وهل يأثم الصيادون الذين يقتحمون تلك المحميات لصيد الغزلان والأرانب البرية وغيرها من الحيوانات والطيور؟

العودة: حماية هذه المواقع داخلة ضمن المصلحة العامة بحفظ المرافق التي يحتاجها الناس، أو تكون وسيلة لحفظ بعض أنواع الطيور والحيوانات وغيرها من الانقراض، وللحاكم الحق في إقامة هذه الأسوار مادام القصد منها حماية الثروة الحيوانية أو الطيور، وليس تخصيصها لأحدٍ من الناس، ويجب حينئذٍ التعاون على حراستها، والمسلم مثاب على امتثال هذه التوجيهات، ومساعدة الآخرين على ذلك، فهو من التعاون على المعروف.

ولا يجوز اقتحام هذه المحميات، لما في ذلك من الاعتداء على المرافق العامة، وتعريض النفس للعقوبة.

سؤال: بعض هواة الرحلات والصيد يبحثون خلال رحلاتهم عن الذئاب والثعالب أو القطط البرية وغيرها من الحيوانات المفترسة، أو يصادفونها في المناطق البرية البعيدة عن التجمعات السكانية، فيعمدون إلى قتلها رغم أنهم لا يتعرضون إلى هجومها أو اعتدائها بحجة أنها مفترسة يجب التخلص منها أو بدافع إدعاء الفروسية أو اللهو والمطاردة التي تنتهي بقتل هذه الحيوانات. أليس هناك حكمة من خلق هذه الحيوانات ووجودها في بيئتها الطبيعية؟ ومتى يجوز للمسلم أن يقتل الحيوان المفترس؟

العودة: إذا كانت الحيوانات المفترسة محصورة في منطقة محمية لا أنيس بها، ومحروسة ومحفوظة فلا تؤذى ولا تفترس فلا يجوز التعرض لها، لأن إبقائها حينئذٍ هو لمصلحة معتبرة.

أما إن كانت طليقة وقد تؤذي الإنسان، أو لا تؤذيه ولكن تؤذي غيره من الناس فعليه حينئذٍ بقتلها لدفع شرها.





- جن في الصمان
- سَلَم الجن
- النجاة من القتل بعد الضرب في المنام
- قصيدة الجن
- جن في أم عُشَر
- (شرحوط بن برحوط)
- قصص الجن وهواة الرحلات .. أهي مبالغات ؟!
- جواب الشيخ سلمان العودة

جِنّ في الصمان



من طرائف رحلات أبي فواز، هذه رحلة بدت مرعبة في بدايتها، ذلك أن الجن هو العنوان الأبرز لتفاصيلها. فيقول أبو فواز: أحرص في فصل الربيع على زيارة مدينة حفر الباطن التي تتميز بموقعها في منطقة منبسطة فيما يعرف بالدبدبة وبقربها من أبرز منطقتين للرحلات البرية هما صحراء الدهناء وهضبة الصمان. وفي كل زيارة يكون لي رحلة أرافق فيها رجلاً مُسنّاً يُدعى (أبو نويّر)، لا يعرف من مظاهر تقدم السن سوى علامات شكلية في لحية وقوام نحيل وظهر محدودب وكرش متدلية، أما طباعه وأحاديثه وعلاقاته فهي أقرب إلى روح الشباب، ومن ذلك علاقة صداقة مع مجموعة من الشباب الذين تربطه بهم صلة قربى.

وأصغر هؤلاء الأصدقاء عادل (في أول العشرينيات من العمر)، وأكبرهم محمد (في منتصف العشرينيات)، ومن عاداتهم في فصل الربيع الاجتماع مساء كل يوم ثلاثاء في استراحة أبي نوير يتسامرون ويستمعون إلى طرائفه وقصص بطولاته المزعومة عندما كان شاباً في مثل سنهم، ويتفرقون غالباً بعد تلقّي فرمان منه يحدد مكان الرحلة البرية في اليوم التالي ومهام كل واحد منهم.

ويمضي أبو فواز في قوله: في مساء ذات يوم دخلت على أبي نوير وأصدقائه وكان مدار حديثهم عن قصص الجن التي صادفتهم في رحلاتهم البرية، فهذا يقول إنني عدت إلى المدينة لما رأيت ناراً تتحرك

أمامي من مكان إلى آخر، وغيره يقص كيف أن خيمتهم في ليلة شتوية ينفتح بابها وتسقط عليهم حصوات لا يعرفون مصدرها، وثالث يزعم أنه سمع صوت انفجارات كأنها تأتي من ساحة معركة، ولما تبين الأمر شاهد ثعلباً علّق جسمه بواسطة ذيله في شجرة عُشَر، ويضرب ثمارها فتحدث دويّاً قويّاً، ورابع يقول إن مدرساً من أصحاب صديق عم جارهم! شاهد في محرقة نفايات قريتهم الرماد يتشكل على هيئة طائرات حربية ثم تحلق باتجاه السماء وتعود لتخترق الأرض وتختفي، وخامس..... وسادس.

الوحيد الذي صمت فلم يشاركهم الحديث هو طارق الذي لم يَدُمْ صمته طويلاً فطلب تغيير موضوع حديثهم وقصصهم المخيفة عن الجن التي لا يمكن التحقق من مدى صحتها إلى الترتيب للرحلة المقرر القيام بها في يوم الغد. لكنهم لم يعيروه اهتماماً، ولهذا وجه طارق سؤالاً لأبي نوير مداعباً - في محاولة أخيرة - هل تقبلني زوجاً لنوير وتريحني من هموم العزوبية؟

يبدو أن أبا نوير رأى في الانتقال بالحديث إلى موضوع غير الجن تفويت فرصة استعراض بطولاته المزعومة، فقال: لن تتزوج نوير إلا رجلاً شجاعاً مثل أبيها، أنا - والعياذ بالله من كلمة أنا - لقبوني جماعتي بـ(معذب الجن والذيب) قبل أن أبلغ العشرين. أما أنت فـ(راعي برّ و صيد) وستكون عرضه لمواقف إذا خفت منها ظهرت لك الذئاب والجن لأنها تشم رائحة الخوف في الإنسان، فتفترسك ثم تعيش ابنتي بقية حياتها أرملة.



قد يهجم الضبع على الإنسان بعد أن يطلق من غدة لديه عند الفتحة التناسلية رائحة إذا شمها الإنسان تصيبه بالهلوسة وفقدان السيطرة على الحركة والتفكير؛ فيقع على الأرض ضعيفاً ثم ينقضُّ عليه الضبع، لكن الدراسات المتخصصة تشير إلى أن هذه الرائحة التي تسمى هرمون (فرمونز) متفاوتة التأثير على البشر، ويزداد تأثيرها إذا خاف الإنسان لأن الخوف يؤدي إلى ارتفاع هرمون (الأدرينالين) ويساعد ذلك في ازدياد تأثير الهرمون فتظهر أعراض الهلوسة. ورغم ذلك فالضباع - خاصة المخطط الذي يوجد في المملكة - جبانة وتخاف من البشر والكلاب والسباع

انتهى الحديث بضحكات الأصدقاء على مداعبات (معذب الجن والذيب)، وتفرقوا بعد الاتفاق على التجمع في الاستراحة بعد صلاة ظهر يوم الأربعاء والانطلاق في رحلة برية - رافقتهم فيها-إلى خباري العوشزيات في غرب الصمان.



خباري العوشزيات في الجهة الغربية من الصمان هي مجموعة خباري وفياض تنبت فيها أشجار العوشز والسدر المعمرة، والنباتات والأعشاب الحولية في فصل الربيع. ويقع بالقرب منها مَعْلَمٌ مُميَّز هو دحل يسمى (دحل أبو نخله) (الصورة) بعيد عن القرى والهجر والمزارع، ولم تحدد المصادر حقيقة أو سبب وجود النخلة في وسطه، وعلى الأرجح أنها غُرست في زمن غير معروف

وفي صباح اليوم التالي عندما اقترب موعد رحلة أبي نوير والمجموعة إلى الصمان اعتذر طارق عن الذهاب بسبب انشغاله بشأن خاص لن ينتهي منه إلا بعد صلاة العصر. ولكي لا يتسبب في تغيير البرنامج اتفقنا على الذهاب دونه على أن يعود عادل في المساء؛ بعد الاستقرار في إحدى خباري العوشزيات، إلى محطة الوقود القريبة لينتظر طارقاً ويدله على مكاننا فينضم إلينا في الرحلة.

حططنا الرحال في واحدة من خباري العوشزيات، وقبل مغيب الشمس ذهب عادل إلى المحطة حسب الاتفاق فلم يجد طارقاً، وعبثاً حاول الاتصال به لاسلكياً وعلى الهاتف المحمول؛ ولهذا عاد أدراجه إلينا. وأجمعنا على أن (الغايب معه عذره).

نصبنا الخيمة وأدينا صلاة المغرب، ومن غرائب الصدف اختلافنا على مكان نصبها فبعضنا رأى أن تكون في طرف الخَبْرَاء معللاً ذلك بضرورة البعد عن أشجار العوشز التي يعتبرها مساكن للجن، واقترح آخرون نصبها بين الأشجار للمساعدة في الاتقاء من البرد والرياح الشديدة. وكالعادة يبرز أبو نويّر أو (معذب الجن والذيب) في مثل هذه المواقف فكان رأيه مرجحاً في أن تكون الخيمة وسط أشجار العوشز والسدر محذراً من أن يُظهر أحدنا خوفه.



ويصـل أبـو فواز إلى قوله: قبـل تأدية صلاة العشاء، وبينمـا كنا مُتحلّقين حول النـار نحتسي القهوة التـي أعدهـا ويسقينا إياها أبو نوير، سمعنا صوت منبه إحدى سياراتنا وهي من طراز قديم، وتعوّد هؤلاء الأصدقـاء علـى توقيفها في كل رحلة علـى مبعدة من المخيم من أجل استخدامهـا في قضاء الحاجة ونحو ذلك. وتلفتنا نتفقد بعضنا واستغربنا لما اكتشفنا أننا جميعاً متحلّقون حول النار، وقال بعضنا ربما تسبب ماس كهربائي بهذا الصوت خصوصاً أن مفتاح التشغيل يترك عمداً في مكانه باستمرار.



ثـم تغـير المشهد لمـا سمعنا أصواتـاً قريبـة وغريبـة تشبـه الأهازيـج التـي تطلقهـا قبائـل أدغال إفريقيا والتي نشاهدها في أفـلام الرعب الخيالية عندما يمارسـون طقوس أكل لحـم البشـر. وزاد مـن هـول الموقف أن أكبرنـا سناً بـدأ يرتجف وهو يحمل دلة القهـوة ويتمتم بآيات وعبـارات لا نميز منهـا إلا (قل أعوذ برب الفلق).

ووصـل المشهـد إلى ذروته لما أدير محـرك السيارة وأضيئـت أنوارها وأتجهت نحونـا، وزاد من رعب الموقـف أن الدلـة التـي يحملها أبو نوير سقطـت من يده وانسكبـت القهوة على النار فانطفـأت وتصاعد

الدخــان ورفع أبو نوير صوته قبل أن يغمى عليه بعبــارات (أعوذ بالله من الشيطان... لبيك اللهم لبيك.. يا ويلي ويلاه). ثم توقفت السيارة وخرج منها صديقنا طارق ليخبرنا أنه افتعل انشغاله عنا وراقب عادل عندما غادر محطة الوقود وتبعه متخفياً وأوقف سيارته بالقرب من هذه الـخَبرّاء دون أن نشعر بذلك وكان يحمـل شريط كاسيت مادته مسجلة من أحد الأفلام المرعبــة أداره بجهاز التسجيل في السيارة في ترتيب محكم لهذا (المقلب).

وانقسمنــا إلى فريقين، فريق هب لمساعــدة أبي نوير بفرك البصل على أنفه كي يستعيد وعيه، وفريق اندفــع إلى طــارق ليوسعوه ضرباً وركلاً. ولما أفاق أبو نوير تقبلنا (المقلب)، وتنبهنا أخيراً إلى المفارقة بين شجاعــة (معــذب الجن والذيب) المزعومة في أحاديث ليلة البارحة وبــين خوفه الذي بلغ حد الإغماء هذه الليلة، ثم بدأنا بمداعبته فانطلقت من الأصدقاء العبارات التالية:

(سمعناك تلبي يا أبا نوير، هل ترغب أن نحج بك هذا العام؟)

(هل أنت متأكد أنك ستجد لنوير زوجاً بمثل شجاعتك؟)

(لقــد شممنــا رائحة غريبة يا أبــا نوير.. فهل هي رائحة الخــوف أو الشجاعة أو شــيء آخر.. لماذا لا تتوضأ وتستعد لصلاة العشاء؟).

وهــذه الواقعــة أو (المقلــب) الذي يــروي تفاصيله أبو فواز يشبــه في فكرته ما فعلــه الشاعر سعود بن عبدالرحمن اليوسف في خيمة لجمع من الشباب في منطقة برية.

وماذا فعل اليوسف؟

الإجابة في الصفحة التالية.

سَلَم الجن

سعود بن عبدالرحمن اليوسف شاعر مهتم بالتوثيق في مجال الشعر الشعبي وله مؤلفات في هذا الجانب. وأعرف عنه بعض المواقف والمقالب الطريفة، ومما أرويه عنه شخصياً ما حدث في عام ١٤١١هـ، ففي بلدته أشيقر في رمضان من ذلك العام برزت بشكل ملحوظ بين الشباب ظاهرة خروجهم إلى مناطق برية غير بعيدة عن البلدة، فتنصب كل مجموعة خيمة أو أكثر تكون مكاناً لتجمعهم في ليالي رمضان للسمر ولعب الكرة الطائرة.

وقد عرف اليوسف أن من بين هذه المخيمات خيمة لمجموعة من أقاربه الشباب سمع أن بعضهم يبالغ في خوفه من الجن، فنظم يوماً قصيدة كتبها على لوح من الخشب، ولكي يضفي عليها بعض الإيحاءات استخدم في الكتابة الفحم، وجاء إلى الخيمة قبل مغيب الشمس في الوقت الذي ينشغل فيه الكل بالاستعداد للإفطار في بيوتهم، وعلّق لوح الخشب على مدخل الخيمة.

والطريف أن اليوسف نظم القصيدة بلسان الجن، ومنها الأبيات التالية:

يا اللي بهالخيمة ورا ما تشدون	**حنا تحتكم وش لزوم الاذية**
الله يقاصركم بحسنى تجوزون	**امة محمد ما تحب الخطية**
اطنابكم توذي على اللي يمرون	**سدّت مداخيل السلم والنصية**

إلى أن قال:

جدانكم لا وازنوهن يسمون	**والاسم من سنة نبي البرية**

ولم يتتبع اليوسف فيما بعد كيف تلقى الشباب الموقف وما إذا كانوا بعد (قصيدة الجن) هربوا بخيمتهم إلى مكان (غير مسكون) أو تركوا الخيمة للجن، وربما روى بعضهم ما جرى وحدّث الآخرين، وقد تتناقل الأفواه الحادثة على أنها قصة واقعية لشعراء الجن الذين يسكنون البراري.

ولعلك لاحظت أن الشاعر اليوسف (وليس الجني) يتكئ في البيت قبل الأخير على المقولة التي تتردد بين عامة الناس وهي أن للجن مداخل إذا أرادوا الغوص في باطن الأرض ويستخدمون في ذلك – فيما نسمعه في الحكايات الشعبية – بعض أنواع النباتات مثل العوشز والسدر، وذكر الشاعر من هذه النباتات السلم والنصي.



نبات السَلَم شجرة شوكية متعددة الأغصان يصل طولها إلى أربعة أمتار. ومِن الأمثال الشعبية قِيل (عجرا سَلَمْ ما يسلم ذايقها) و يقصد بالعجرا أو المشعاب الهراوة التي تستخدم سلاحا، وكان بعضهم قديماً يفضل (عجرا السلم) لصلابتها وقوتها. وثمة مبالغة في الخوف من الاقتراب من بعض الأشجار الشوكية مثل العوشز والسدر والسلم بزعم أن الجن يسكنون فيها دوما



النصي نبات رعوي حولي قصير أخضر ومتكتِّل وناعم يصل ارتفاعه إلى أقل من نصف متر، وله أزهار فضية اللون على شكل سنابل تظهر في الربيع، وهوسريع النمو وواسع الانتشار في الربيع خاصة في الأراضي الرملية، ويبقى في الصيف إن لم يتعرض للرعي. ويعتبره الرعاة من نباتات الصيف. إذا يبس في آخر فصل الربيع - من تأثير حرارة الشمس - يكتسب اللون الذهبي بدل اللون الأخضر (الصورة)



شجرة العوسج أو العوشز هي أشهر النباتات البرية التي يبالغ البعض في الخوف منها لاعتقاد أنها من مساكن الجن، وهي شجرة شوكية معمرة يصل ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار تقريبا وتزهر في الربيع، وتتحمل الجفاف والصقيع وحرارة الصيف. واسعة الانتشار في مناطق المملكة، وترعى الحيوانات أوراقها وثمارها، وجاء في موسوعة الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعوديه أن لعاب الإبل عندما يسقط على العوسج جراء أكلها منه يستحث الشجرة لإنماء أشواك كثيرة لتحمي نفسها من الرعي في الأعوام اللاحقة. تستعمل سيقانها طبيا لإدرار البول وضد الإسهال. لها ثمار تسمى في بادية نجد (المْصّيع) وفي مناطق أخرى تسمى (المْصَاع) تؤكل، وتتغذى عليها بعض أنواع الطيور خاصة الحباري، وهذه الثمرة تكون خضراء ثم تصفر، وعندما تنضج يكون لونها أحمر، ويزعم البعض أن أكلها مقو للباءة وحدة البصر، وطعمها مقبول، غير أنها تصبح حامضة إذا جفت. تحتمي بالعوشز صغار الطيور عن جوارحها، وهي من الأشجار التي يفضلها طائر الصرد الرمادي الكبير الذي يستوطن في الجزيرة العربية والمعروف باسم الصبري في المنطقة الوسطى أو الزراطي أو مكيحيل في مناطق أخرى ؛ حيث يسكن فيها و يبني عشه حتى لا يستطيع أعداؤه خاصة الطيور الجوارح الوصول له أو لأفراخه. ولا زال يسود اعتقاد في البادية - وحتى لدى الشباب من هواة الرحلات البرية - أن أشجار العوشز مساكن للجن، وربما كان لذلك دور في عدم الاقتراب منها بحيث أدى ذلك إلى حمايتها خاصة أنها ليست كأشجار الطلح والسدر المميزة بسيقان طويلة فيُستظَل تحتها ويُنتفَع من حطبها. وشبه الشاعر الشريف ابن جري الجنوبي (من شعراء القرن الحادي عشر الهجري) الشخص الذي لا نفع فيه بالعوشزة فقال:

فان كان ما تعطي والايام عدلة ... فالايام لا بد عدلهن يميل

وترى العوشزه ماوقّع الحر فوقها ... ولا به لسمحين الوجيه مقيل



فرع يحمل ثمار العوشز (المصاع أو المصيع) بلونها الأحمر



والعوشزة ما وقّع الحرّ فوقها . طيور القبرة المتوجة (القوبع) على شجر العوشز



شجرة السدر تثار أساطير حول سكن الجن به، وهي شجرة شوكية ترتفع إلى عدة أمتار، واسعة الانتشار في معظم أنحاء المملكة. وهناك تفريق بين نوعين من أشجار السدر، فيسمى ما ينبت على المياه أو الحقول الزراعية بالعبري، ويسمى ما ينبت بالبر الضال. وفي مصادر اللغة العربية جاء أن الخَبْرُ شجر السدر والأراك وما حولهما من العُشب في القيعان، ومنها جاءت تسمية الخَبْراء، وجمعها خَبَارَى وخَبَاري، وهي القاع المستدير الذي يجتمع فيه الماء وينبت فيه السدر. والسدر من النباتات التي ترعاها الإبل والماعز، ويتغذى عليها النحل فيكون العسل ضاربا إلى السواد وقليل الحلاوة، وتؤكل ثمارها وتسمى النبق أو العبري، وتشير المصادر العلمية إلى أن الثمار تفيد في تنقية الدم وعلاج الاسهال، ويستخدم مسحوق أوراق السدر (الحانوط) في غسل الموتى، ويستخرج من الورق أيضا رغوة بعد خضها بالماء تسمى (المشوش) استخدمت قديما كصابون لتنظيف الجسم وغسل الشعر. والسدر من الأشجار المفضلة لصغار الطيور خاصة العصافير فتتجمع عليها لتتغذى على ثمارها مع إطلاق زقزقة وأصوات متداخلة، ويقال في الأمثال (عصافير بسدرة) للدلالة على الضوضاء وتداخل الأصوات وعدم تمييزها. ومما نسب إلى ذياب بن غانم من قبيلة بني هلال (عاش في القرن السابع الهجري) بيت شعر يقول:

حنا عصافير وابا زيد سدره   نلوذ به عن مرهفات الحدايد



فرع يحمل ثمار السدر البري

النجاة من القتل بعد الضرب في المنام

فهاد بن محمد بن مفرح القحطاني رجل في الستين من العمر أروي عنه شخصياً أحداث قصة جرت لفهد بن سنيان الدوسري يرحمه الله، والأخير من سكان منطقة وادي الدواسر. وكان الدوسري قد التقى عـام ١٤١٥هـ في مناسبة اجتماعية بالقحطاني وروى لـه تفاصيل الحادثة (من المرجَّح أنها وقعت عام ١٣٦٠هـ أو قبله أو بعده بسنوات قليلة).

وفيما يظهر من سياق القصة أن الدوسري واحد من فرسان صيد الوضيحي (المَها العربي)، وقد طلب منه أحد أصدقائه أن يذهبا إلى الصيد في مكان باتجاه الجنوب الغربي من وادي الدواسر يُسمَّى (الشهما).

ولما كان شروق الشمس هو الوقت المفضل للصيد آنذاك ركب كل منهما ذلوله، وسارا في أول الليل ولم يتوقفا إلا عندما حان موعد صلاة الفجر وقد بلغا وادياً يُسمَّى (جبجب)، فأناخا راحلتيهما وأدَّيا الصلاة ثم جلسا يحتسيان القهوة. ولما ظهر نور الصباح لاحظ الدوسري أن صاحبه متململ من الجلوس ومتعجل في الانطلاق للبحث عن المها، ولهذا اقترح عليه أن يصيد غزالاً من قطعان الريم المنتشرة في المكان، لكن صاحبه كان يريد المها ولا سواه، فعقل الاثنان راحلتيهما ورسما مسار البحث بحيث يتجه كل منهما مشياً على الأقدام إلى اتجاه مغاير لاتجاه الآخر على أن يعودا إلى راحلتيهما قبل الظهيرة.



كانت الغزلان موجودة بحالتها الفطرية وبكثرة في كثير من مناطق المملكة قبل أن يقضى عليها الصيد الجائر وما تبقَّى من أعدادها القليلة يوجد حاليا في المحميات الطبيعية وحدائق الحيوانات

وفي موقف له دلالته في فهم حالة الأمن حينذاك، قام الدوسري بدفن قربتي الماء اللتين يحملانهما بعيداً عن الراحلتين قرب شجرة مرخ كي تكون علامة يُستدلُّ بها بحيث لو سرقت الراحلتان وفقدا وسيلة المواصلات فيبقى بحوزتهما الماء ولا يهلكان عطشاً.



المَرْخ شجرة مُعمَّرة قائمة عديمة الأوراق يصل ارتفاعها إلى خمسة أمتار تقريباً، ولها أزهار صغيرةٍ جداً ذات لون أصفر مخضرّ تظهر في الربيع، وثمار جرابية كأنها أقلام يبلغ طول الواحد منها ١٠ سم تقريبا، وتنتشر في الأودية والسهول، وتوجد في المناطق الجنوبية والشمالية الغربية وأجزاء من غربي ووسط المملكة، ترعاها الجمال. وعُرف المرخ باستخدامه لدى سكان المنطقة الجنوبية من المملكة فيما يعرف بالحنيذ، وهو شواء اللحم في حفرة بداخلها جمر يوضع عليه اللحم على هيئة طبقات يفصلها عن بعضها أجزاء من شجر المرخ لإنضاجه وإكسابه مذاقا طيبا



أعواد شجرة المرخ وثمارها، وفي (الإطار) زهرتها.

بعد دفن القربة سار الدوسري مسافة قصيرة ثم شاهد أثر مهاة فتتبعه إلى أن رصدها فزحف نحوها مختفياً، ولما أشرف على رميها سدد بندقيته نحوها، وقبل أن يطلق الرصاصة سمع صوت طلقة من مصدر آخر وسقطت المهاة والدماء تسيل من رأسها، وبعد لحظات ظهر رجل لا يعرفه اتجه إليها مسرعاً يريد تذكيتها قبل أن تموت، لكن الدوسري شعر أن صيده يؤخذ من أمامه فاتجه إلى الرجل ووضع فوهة البندقية على أسفل رقبته طالباً منه أن يترك الصيد فهو له، فقال الرجل هو صيدي قبل أن يكون صيدك وأنا الذي رميت قبلك، وحاول أن يسحب بندقيته التي وضعها على الأرض ليدافع عن نفسه لكن الدوسري - في ردة فعل غاضبة سريعة - طلب منه أن ينطق بالشهادة فقد عقد العزم على إطلاق النار، فما كان من الرجل - بعد أن ميز كلام الدوسري - إلا أن قال: أنا فلان الدوسري. وانتهى هذا التهديد بإلقاء السلام وتحية بعضهما لأن الاثنين من قبيلة واحدة. ثم قاما بسلخ المهاة، وحمل الرجل اللحم على راحلته وغادر بعد أن ترك بعضاً منه للدوسري وصاحبه اللذين بقيا إلى اليوم التالي يبحثان عن الوضيحي.



المعارك

يتحمل الوضيحي (المها العربي) نقص الغذاء ويمكنه العيش على كمية غذاء يومية بسيطة تساوي ١٪ من وزنه بينما تحتاج الحيوانات العاشبة الأخرى عادة إلى أكثر من ٢,٥٪ من وزنها كحد أدنى. وسُجِّل أن عام ١٩٧٢م شهد صيد عدد (٧) من المها العربي هي آخر ما كان يوجد في الربع الخالي فانقرضت بحالتها الفطرية، وتبذل المملكة وبعض الدول المجاورة جهوداً للمحافظة على هذا النوع في المحميات الطبيعية. ويُعتقد أن إطلاق أعداد من الوضيحي في براري المملكة الملائمة لمعيشتها سيؤدي إلى تكاثرها وعودة قطعانها من جديد لكن مع (ضمان عدم صيدها)

في الليلة الثالثة كان الاثنان يخلدان إلى النوم في ذلك الوادي، واستيقظ الدوسري بعد سماع صوت يدعوه باسمه (فهد.. فهد.. فهد ،، ارحل من المكان)، ولما شاهد صاحبه نائماً استعاذ بالله من الشيطان وعاود النوم ثم استيقظ مرة أخرى على الصوت يناديه ويطلب منه الرحيل من المكان لكن الدوسري عاد إلى النوم، وفي المرة الثالثة استيقظ على الصوت (فهد.. فهد.. فهد ،، ارحل فلن تسلم بحياتك إن لم يكن صباحك عند أهلك)، بل إنه مع التحذير الأخير شعر بصوت وألم كف رجل تضربه على فخذه.

إلى هنـا أيقظ الدوسري صاحبه منبهـاً إلى أن هناك من أتاه ثلاث مرات في المنام يحذره من البقاء في هذا المكان، ورحل الاثنان في ليلتهم باتجاه وادي الدواسر. ولما أشرقت الشمس كانوا قد وصلوا منطقة تسمـى غبيـات الضـوي تشتهر بكثرة التـلال مما يُسهِّـل عملية الاختفـاء والتمويه، وشاهـدا في الطريق الـذي سيسلكانـه على بعد عـدة كيلومترات مجموعة مـن الرجال فرصدهـم الدوسـري بالناظور وتبين أنهـم مجموعة من رجال قبيلـة قحطان من بينهم فارس مشهور يدعى حضينـان القحطاني، وتوقع أنهم يستعدون للذهاب في رحلة صيد أو غيره. ولهذا وجه صاحبه بالانحدار من المكان المرتفع وإناخة الراحلتين والاختفاء خلف تلال غبيات الضوي، وطلب منه أن يعد القهوة ويحرص على استعمال نار من أعواد صغيرة لا ينبعث منها دخان كثيف ريثما يراقب المنطقة.

وحين رصد الدوسري بالناظور الطريق الذي سلكاه شاهد من بعيد غباراً سرعان ما انقشع عن مجموعة مـن الفرسـان يقتفون أثرهم، وتبين لـه أنهم أتباع رجل يدعـى (الإسلومي) عرف بسطـوه على الصيادين والقوافل التي تمر في المنطقة، فيفرض عليهم الإتاوات أو يسلب ممتلكاتهم، ولا يتورع عن قتل من يقاومه.

عـاد الدوسـري مسرعـاً إلى صاحبه ليطفئ النار كي لا تكـون دليلاً إلى الوصـول إليهما، وما هي إلا لحظـات حتى ثارت المعركة بين الفريقين، فريق الإسلومي ورجالـه الذين يقتفون أثر الدوسري وصاحبه، وفريق حضينان القحطاني ومجموعته الذين رماهم قدرهم فيمن باغتهم متتبعاً أثر الدوسري.

انقطعـت الأصـوات وانتهت المعركة التي استخدمت فيها البنادق بعـد أقل من ساعة، وتبين للدوسري وصاحبه أن الإسلومي ورجاله غادروا المكان بعد قتل حضينان ومن معه وسلب ركائبهم.

وعـاد الدوسـري وصاحبه إلى وادي الدواسر وهو مندهش ليس مـن المعركة التي قتل فيها الرجال بل من ذلك الصوت الذي جاءه في منامه ثلاث مرات ليحذره (فهد.. فهد.. فهد ،، ارحل فلن تسلم بحياتك إن لم يكن صباحك عند أهلك).

بقـي القـول إن الدوسري عُرف بـين جماعته بحب مساعـدة الآخرين وبالتدين، أو كمـا يقول العوام (راعي طاعة).

وبعـد، هذان الشاعران عبدالكريم بن يوسف اليوسف وثامـر بن عبدالله الماضي يتقمصان شخصية الدوسري وصاحبه، فقال اليوسف على لسان الدوسري:

جينا نصـيد الوضـح صيد المناعير	**في وسط (جبجب) يوم شفنا البهاذيل**
زحفت ابـرم الوضـح في نيـة الخير	**واعتقـت ذبـاح الوضـيحي بتهليل**
يـوم غشـاني نـوم جتـني تحاذيـر	**حلـم يحـذرني مـن الغـدر بالليل**
سـمعت صـوته مثـل حد المناشـير	**يقول غـادر عن جيوش الرجاجيل**

وقال الماضي على لسان الصاحب المرافق:

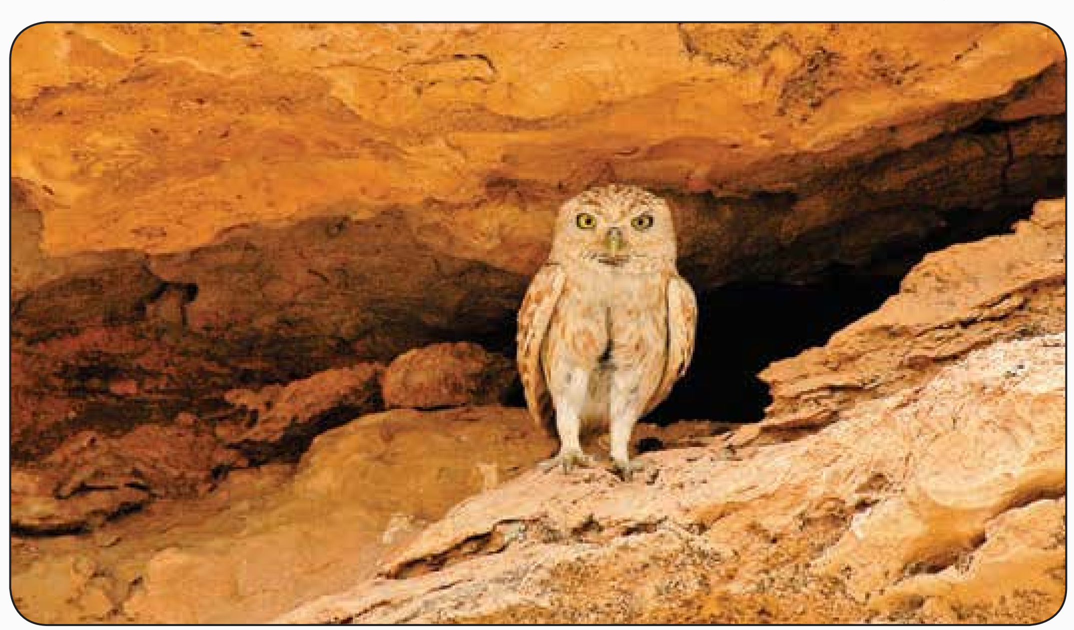
في ليلـة غـدرا سـرينا علـى خيـر	**يمّـة مغيـب نجوم بـين الشـخاليل**
شفق على صيد الوضيحي عن الغير	**لو كان صـيد الريم شـره وتساهيل**
بالصـيد مـا وفّـق ولي المقاديـر	**لا وا حسـافة كنـت شـفق وبالحيـل**
وبالليل قال فهيد في صـوتٍ صـغير	**امراحنـا لازم نبدّلـهً تبديـل**

قصيدة الجن

علـي السنـاني مـن أهالي المجمعـة ذُكر عنه في كتـاب محمد الثمـيري الفنون الشعبيـة في الجزيرة العربيـة، أنـه نام في كهف في شعيب المشقر بالمجمعة، فسمع صوتاً يأتي من آخر الكهف يقول شعراً تناقلته المصادر الشعبية فيما سمي بـ(قصيدة الجن)، ومن هذه القصيدة الأبيات التالية:

يـا قـارع الدمـام سـم واقرعه	واعطيـك عذقـين ليـالي الصـرام
سـقوى سـقى الله وادي المجمعة	مـن رايـح يوضـي بجنـح الظـلام
الـزرع مـا يبقـى لـن ضيعه	والطرش مـا يسـني بليا طعام
يـا ذا الحمـام اللي لكن لعلعة	فـوق الجرايـد والخلايـق نيـام
بـالله عليـك الصـوت لا ترفعه	تقعـد غريـر سـابح في المنام

وقـد نُسبت هذه القصيـدة في بعض المصادر إلى شعراء معروفين، ويرددهـا عامة الناس في أكثر من منطقـة علـى أنها مـن قصائد الجـن، وفي كل منطقة تنسب إلى جـن في وادي كذا أو في غـار كذا. وعلى حـال ترد هذه القصيـدة غالباً في المصادر الشعبية وتسمى قصيدة الجـن لكن محمد الحمدان في ديوان السامري والهجيني؛ فيما يشير إلى نقل عن أحد أقارب السناني، قال إن (فهد السناني يؤكد أن القصيدة لعلي السناني، وليس للجن).



يخـاف البعض الاقـتراب مـن الكهوف والشـقوق خاصـة في الأودية، ويتشـاءمون من بعض الحيوانـات والطيور ويخشون من المزاعم التي تتردد عن ارتباط الجن بها

جن في أم عُشَر

الشاعر زبن بن عمير البراق العتيبي (توفي عام ١٣٩٥هـ) تُروى عنه حادثة ذُكرت في أكثر من مصدر، وتباينت المصادر في تحديد المكان الذي وقعت فيها الحادثة، وقال الأديب عبدالله بن خميس في (من القائل) إن ابن عمير قصَّ عليه شخصياً ماجرى مفيداً أنه خرج في رحلة من الأسياح بمنطقة القصيم إلى حفر الباطن بشمال شرقي المملكة، ولما اقترب زبن من بلدة أم عشر (غرب الصمان على مسافة ٣٧٠كم شمالي الرياض) أناخ ذلوله ليرتاح قليلاً من عناء السفر. واسترعى انتباهه أن الذلول مضطربة على غير العادة، ولم يستطع تهدئتها إلا بعد إطلاق طلقة من بندقيته متعمداً أن يكون صوتها بالقرب من رأس الذلول، وبعد انطلاق لسان اللهب من فوهة البندقية وتصاعد الدخان هدأت الذلول فتوقع أن اضطرابها بسبب سكن الجن في المكان ولهذا رحل عنه، ولما امتطى ذلوله أنشد البيت الأول من قصيدة بدأ بنظمها بقوله:

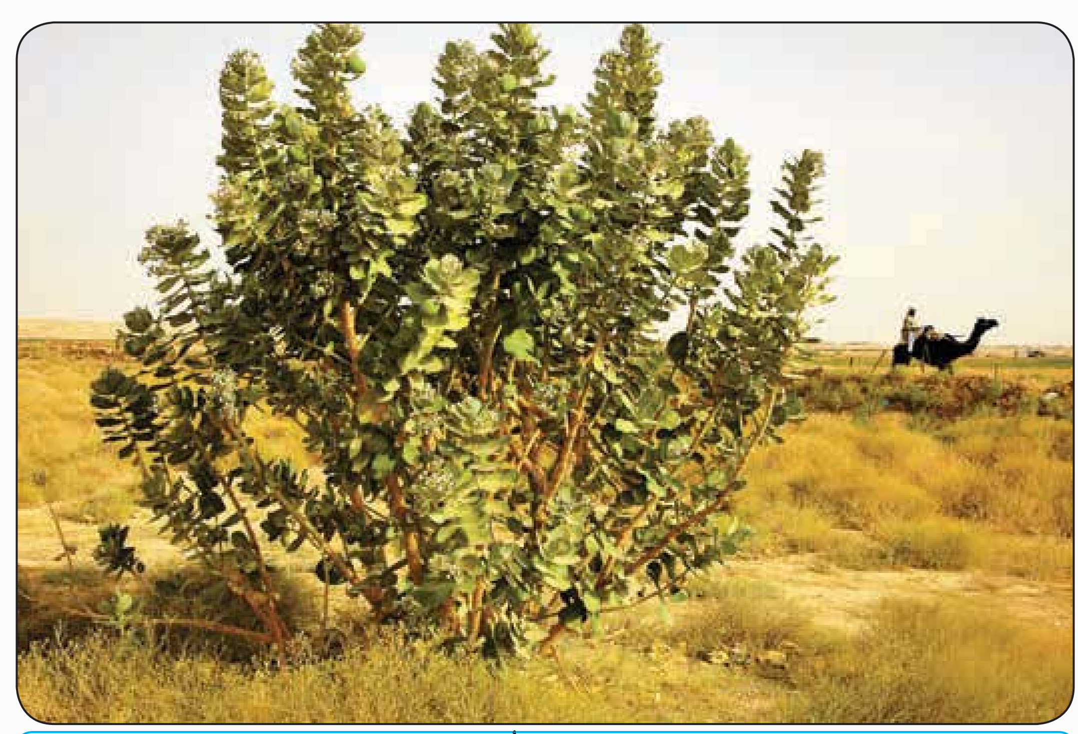
المرقب اللي صاحبي قد رقا به	حق عليّ الى وطيته لاعديه

وقبل أن ينشد بقية الأبيات سمع صوتاً ناعماً يردد البيت، وفسر ابن عمير – وفقاً لما رواه الراوية عبدالكريم السهلي عن زبن – أن هذا قرين حفظ ما سمع منه وأراد أن يسمعه. ومن أبيات تلك القصيدة قال زبن:

والله لا عدّي فيه واروح ترابه	من حشمة اللي عقبي العام راقيه
واظهر جزا ما قال بي من جوابه	العام يبكيني وانا اليوم ابابكيه



أم عَشَر كما يسميها عامة الناس أو (أم عُشَر) كما تعرف في المصادر الجغرافية، بلدة تقع في وادي الباطن وتعتبر في الجهة الغربية من الصمان، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى نبات (العَشَر) كما تنطق في العامية بينما الاسم الفصيح لهذا النبات هو (العُشَر). ومن الأسماء الشعبية لهذا النبات اسم (شجرة الجن)، وهي شجرة مُعمّرة ومستديمة الخضرة يصل ارتفاعها إلى خمسة أمتار، وتنتشر في معظم أنحاء المملكة، خاصة في المناطق ذات المناخ الحار، وتنمو في أنواع مختلفة من التربة، وتدل كثرة وجودها في مكان ما على تعرض الأرض للرعي الجائر، ولا ترعاها الحيوانات لأنها سامّة جداً خاصة العصارة اللبنية التي قد تفقد الإنسان بصره إذا دخلت في عينه



تصل أضرار أكل العشر إلى حد الموت، ومن أعراض التسمُّم نبض سريع غير منتظم والهياج والتشنج. وكانت العصارة اللبنية تستخدم في الطب الشعبي وفي تسميم الرماح، ولا يستفاد من خشب العشر لأنه هش فضلاً عن أن الدخان الناتج عن إحراقه ضار بالجهاز التنفسي. وكان يعتقد قديماً أن إشعال فرع من شجر العشر يجلب الجن. وساد قديماً أيضاً اعتقادات غريبة حولها؛ ففي بعض مناطق المملكة كان الشخص إذا مشى بقرب شجر العشر قال (بسم الله) لاعتقادهم أنها مساكن للجن، وذلك زعم قديم لدى العرب

ومما يروى من القصص الشعبية (السباحين) أن امرأة تزوج زوجها بغيرها وهجرها بعد أن أخذ آنيتها وأدوات الطبخ ليعطيها الزوجة الثانية، ولما طال هجر الزوج لزوجته الأولى ذهبت إلى شجرة عشر وجلست تحتها تندب حظها وتستنجد قائلة: (جن العشر، هو من خطِرْكم يخطر، قشي غدا وأبو عيالي تنكر، وأبو عيالي يالنشاما فقيدة). والخاطر هو الزائر أو الضيف، وقشي: تقصد أدواتها وآنيتها. وتخلص هذه القصة إلى أن (شهامة الجني المزعومة) تحركت فتلبس في زوجها ورفض الخروج حتى أرغمه على العودة إلى زوجته الأولى!

وفي الأمثال الشعبية يقال (خضرة عشر) عن الرجل الذي يجمع بين أناقة الشكل وسوء الذات والمخبر، ذلك أن خضرة شجر العشر تخدع من لا يعرف حقيقة النبات وسُميّته، وقال الشاعر عبدالله بن سبيّل (توفي عام ١٣٥٢هـ):

وخطوى الولد رجمٍ على غير حله	لو جاز لك مبناه برق بساسه
خضرة عشر ما هو على شوفةٍ له	يزوم روحه وا حسايف لباسه

(شرحوط بن برحوط)

الكاتب أحمد بن عبدالله الدامغ له كتاب طريف بعنوان أساطير من حكايات الجن، جمع فيه طرائف ونوادر عن قصص الجن، وروى عن بعض الشعراء والرواة مواقف قالوا إنها حدثت لهم أو سمعوها من غيرهم. ومن أطرف ماجاء في الكتاب ماوراه الدامغ عن الشاعر ناصر بن زيد بن شنار من أهالي الحريق الذي سافر إلى البحرين في شبابه للبحث عن عمل، ثم عاد إلى الحريق وكان قد اشترى خاتماً من البحرين، وبعد فترة من الزمن شعر بأن شخصاً يطل من فوق رأسه ويلقي عليه السلام، فشك في الخاتم وتخلص منه باعطائه لأحدهم. وفي ليلة نام ناسياً صلاة العشاء جاءه شاعر في المنام فيما يزعم بن شنار أنه جني، ودار بينهما حوار بدأه (الشاعر الجني) بقوله:

يا نايم في الليل ما سميت ... واللي معك شرحوط بن برحوط

ابن شنار:

سميت بالرحمن رب البيت ... ما همني شرحوط بن مضروط

الشاعر الجني:

تراك يا المسكين ما دليت ... بجننك ولي عليك شروط

ابن شنار:

الجن أكافحهم على ما اوحيت ... وانت معي باسم الولي مربوط

ثم تحول الصوت الذي يسمعه في المنام – فيما نُقل عن ابن شنار- إلى صوت امرأة قالت:

وسوس بك الشيطان ما صليت ... ترى السحر في دمك المخلوط

ابن شنار:

عديت في راس الجبل عديت ... طير الهوى يا صاحبي مملوط

ثم استيقظ ابن شنار وصلى العشاء ونام نوماً هادئاً!

وأطرف من هذا الحوار الشعري (وطرفه الثاني شاعر جني) ما تأتي به الروايات التي قد يفهم منها أنها رُوّجت للإيحاء بقوة شاعرية فلان من الشعراء إن لم يكن الشاعر هو (المروّج).

وقد روى لي الشاعر سعود بن عبدالرحمن اليوسف نقلاً عن عبدالرحمن بن عبدالله العبدالكريم، أن الشاعر صالح بن عبدالله السكيني (توفي في خمسينيات القرن الرابع عشر الهجري) خرج في ظهيرة يوم إلى أحد أودية شقراء ليبحث عن حماره المفقود، ولما يئس من العثور عليه دخل إلى غار ليستظل ويرتاح قليلاً لكنه نام ثم جاءه من يحرك رجله ويقول: (قم يا السكيني أتراد أنا وإياك)، فسأله الشاعر من أنت؟ قال الجني: أنا صاحب (قرين) فلان (وسمّى أحد الشعراء) مات ولا لقيت أوفق منك، وأتبع ذلك بقوله:

أيا عين ياللي كن وسطه سماليل ... سماليل صمعا كل ما غضب طزنّه

قال السكيني:

أو ان المداوي تاكي يضربه ميل ... إلى هملجت مالي جدا إلا أزعج لونّه

فقال الجني (مكافئا !): (قم، شف حمارك هناك في الوادي والذيب سيهجم عليه!!)

بقي عزيزي القارئ أن نختم هذا الموضوع بأبيات من قصيدة لأحمد الدامغ حيث قال:

الجن خلق الله وكل خلق له أفكار ... ومن صار له فكر يجي له مشاعر
هم في القرى والبر وأيضا في الامصار ... ومن بينهم محسن ومسوي وكافر
هم قبلنا في الارض بعصور وادوار ... وهم مثلنا فيهم زكي وخاسر
وفيهم شياطين تطلع للاشرار ... ومنهم تقي مسلم القلب طاهر
ومنهم شقي فاسد الطبع غدار ... وما ينومن في الجن والانس غادر
والجن يروى عنهم اذكار واخبار ... وجملة علوم سجلت بالدفاتر





(السماليل) كلمة عامية يقابلها في الفصحى (السَّفَى)، وهو (شوك) يخرج من سنابل الصمعاء التي تشبه سنابل القمح. والصّمْعاء عشب حولي متجمع واسع الانتشار في معظم مناطق المملكة، ويكثر في المناطق الشرقية والشمالية والوسطى، لا يتجاوز طوله غالباً نصف متر. ويقال في بعض مناطق المملكة في وصف الأرض الرعوية (فاحت بها الصمعاء) إذا ارتفعت في أواخر الربيع فوق مستوى الأعشاب، ولهذا ينتقل أصحاب المواشي عن الأرض التي (فاحت بها الصمعاء)؛ بسبب إعاقتها للماشية عن أكل الأعشاب الأخرى لأنها مؤذية لأنف وعيني الحيوان، كما أنها تلتصق بأشداق الإبل وتجرح فم الحيوان وتضر أمعاءه، وتلتصق أيضا بأصواف الماشية وتؤذيها، وهي أيضاً مؤذية لمرتادي البر لأن (السماليل) تعلق بالملابس والجوارب وتتسبب بوخز الجلد. وهناك أبحاث علمية اعتبرت الصمعاء من النباتات السامّة، ولكن السمّية ليست بسبب وجود عناصر سامّة، إنما لكون الماشية إذا تعرضت للصمعاء علقت بها السماليل وتسببت بجروح وتقرحات في الفم والغشاء المخاطي ومن ثم تفقد الشهية وتتدهور حالتها الصحية، وقد تصيبها الأمراض، لكن المواشي تأكل هذا النبات إذا كان في أول النمو، أو إذا جف بعد فصل الربيع واشتدت الرياح وتكسرت السنابل وسقطت على الأرض فتخف حدة الأشواك وتقبل عليه المواشي وتسمن عليه

قصص الجن وهواة الرحلات .. أهي مبالغات؟!



إن القصص والأحاديث عن الجن موضوع رئيس في أحاديث السمر عند هواة الرحلات البرية والصيد، ولعلك لاحظت بعد قراءة القصص في هذا الفصل أنها لا تخرج عن دائرة تلك الأحاديث، وربما سألت لماذا نردد أحياناً قصصاً أقرب إلى الخيال ونرويها في سياق يوحي كأننا نسلّم بصحتها؟

ولماذا لا يكون الاجهاد في الرحلات البرية والتعب في البحث عن الصيد وراء دفع البعض إلى تخيل بعض المشاهدات أو تصديق ما يُروى منها بينما هي ليست حقيقية؟

وبماذا يجب أن يتحصن المسلم من الأذكار تجاه ذلك كله؟

جواب الشيخ سلمان العودة

فيما يلي أسئلة؛ حول موضوع هذا الفصل، وجهتها إلى فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة المشرف العام على مؤسسة الإسلام اليوم، وقد أجاب فضيلته بالتالي:

سؤال: من الملاحظ أن قصص الجن من أكثر الموضوعات التي تكون مداراً لأحاديث السمر عند هواة الرحلات البرية. وكثير من القصص فيها مبالغات لا يتصورها العقل. ولهذا نجد فريقاً ينكرها على الإطلاق وقد يتبع ذلك إنكار وجود الجن بالشكل الذي تصوره القصص الشعبية، وفريقاً آخر يذهب في التصديق إلى الحد الذي يجعله يتصور أن كل ما تأتي به القصص الشعبية عبارة عن حقائق مسلّمة. ما حقيقة الجن؟ وكيف ينبغي أن نفهم قول الحق تبارك وتعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسّ﴾

العودة: الجن مخلوقات ذكرها الله تعالى في كتابه في مواضع، وفي القرآن الكريم سورة الجن، وهم مكلّفون مخاطبون بالشريعة، وفيهم الصالحون وفيهم دون ذلك، وأما الحكايات والأساطير التي يتداولها الناس فغالبها من الخيال الشعبي ولا حقيقة له، وقد تنطلي على العوام والسذّج وأحياناً بعض المتعلمين.

أما المس فقد جاء في الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾. وقال نبي الله أيوب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ وهو نوع من الأذى الجسدي الذي يُلحقه الجن أو الشياطين بالإنسان، وليس هو بمستغرب، إنما المستغرب التهويل والمبالغة ونسبة الأمراض النفسية والعقلية بل والجسدية عند بعض الجهلة إلى الجن، وهذا ظلم وعدوان، وجهل وضعف في الإيمان والتوكل، حتى يتلبّس بعضهم الخوف والرعب، وربما نادوا الجن أو دعوهم ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

سؤال: نسمع ونقرأ قصصاً شعبية عن الجن ويرددها عامة الناس بنوع من التسليم بصحتها. وإذا دققنا النظر نجد في تلك القصص ثغرات في الرواية مما يوحي أن البعض- في حقب تاريخية معينة- يبالغ في تقدير خطورة الجن والخوف منهم. ما تعليقكم ؟ وهل في الجن شر على الإنسان أو منهم خير له؟

العودة: الجن لا ينفعون ولا يضرون، فالنفع والضر بيد الله، وهم ضعفاء، ويخافون من الإنس، فالإنس أقوى منهم وأعظم خلقاً وقدرة وعلما، كما تخاف كثير من الدواب والهوام من الإنس والله أعلم.

سؤال: من المقولات الشعبية خاصة لدى كبار السن أن الجن يستخدمون فروع الأشجار كمداخل ومخارج لسكنهم تحت الأرض، وهناك من يشير على نباتات بعينها (منها العشر، والعوشز، و السدر)، بل أن بعض النباتات مثل العشر يطلق عليها اسم (شجرة الجن) ، ويؤدي ذلك إلى خوف بعض هواة الرحلات البرية بصورة مبالغة من تلك الأشجار. وربما دفع ذلك بعضهم إلى إحراق هذه الأشجار أو ارتكاب فعل يتسبب في موتها. ما تعليقكم؟

العودة: ما يشاع عن أشجار العوسج أو العوشز والسدر والعشر من أنها أشجار الجن هو شيء باطل ليس له حقيقة، وإنما هو خيال الجبناء والأغبياء صوروه على شكل قصص وحقائق، وإنما هي أباطيل وأوهام ما أنزل الله بها من سلطان.

سؤال: وما الأذكار والأفعال التي تكون بعد الله حصن للمسلم خاصة في الرحلات البرية حيث التنقل والإقامة في مناطق وأودية موحشة؟ وما الأماكن التي يُفضل الابتعاد عنها؟

العودة: على المسلم الحرص على أوراد الصباح والمساء من جنس آية الكرسي وآخر سورة البقرة والإخلاص والمعوذتين، وما وردت في السنة مثل : **(أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)** ، **(بِسْمِ اللهِ الَّذِى لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَىْءٌ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)**، **(أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ)**

(أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ)

(أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ)

وكذلك **(مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . لَمْ يَضُرُّهُ شَىْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ)** رواه مسلم والترمذي وابن خزيمة في صحيحه.

ويستحب الابتعاد عن أماكن السيول والأودية والهوام والحظر ونحوها، وأن يكون المسافرون متقاربين فإن تفرقهم في الشعاب والأودية أنما هو من الشيطان كما صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

سؤال: إذا سمع المسلم خلال إقامته في المناطق البرية خاصة في الليل صوتاً غريباً أو شاهد مناظر غير معتادة. بماذا يمكن أن يتصرف؟

العودة: إذا رأى أو شاهد ما يرعبه فعليه بذكر الله تعالى والتهليل والتكبير ورفع الصوت بذلك.

سؤال: نسمع ونقرأ أن هناك شعراء– خاصة الذي يقيمون في الصحراء– زعموا أنه جرت بينهم وبين الجن محاورات شعرية. ولعل هذه مزاعم تخيلها بعضهم للإيحاء للآخرين بقوة شاعريته التي وصلت إلى اعتراف الجن بها. ما تعليقكم؟

العودة: أرى أن هذه الأقاويل من أثر الجاهلية فقد كانوا يرون أن الجن يلهمون الشعر للإنس، حتى قال قائلهم :

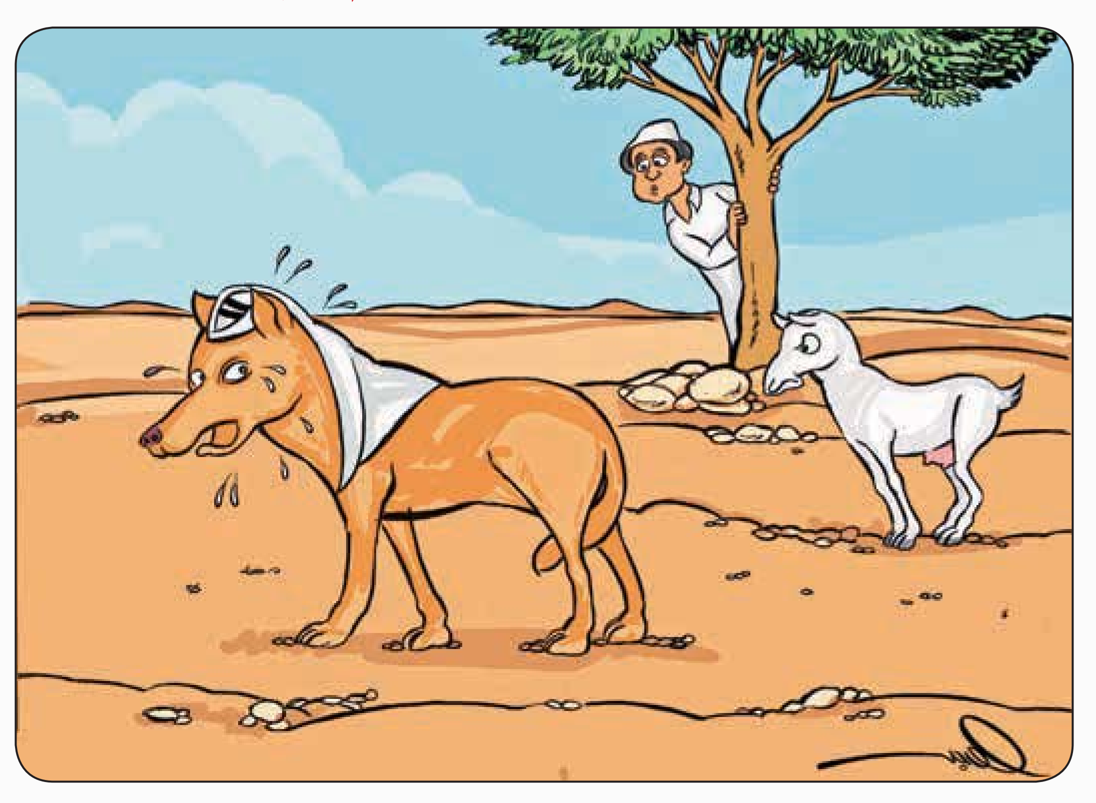
إِنّي وَكُلُّ شاعِرٍ مِنَ البَشَرْ شَيطانُهُ أُنثَى وَشَيطاني ذَكَرْ

ويقولون فلان جاءه شيطان الشعر، وجاء الإسلام فنسخ هذه الأقاويل وأبطلها، فهي خرافات لا أصل لها، والحمد لله.


روّاد الصحراء ... محمد اليوسف



عنز تفترس (ذيب) في حزم الجلاميد



يتحدث أبو فواز عن رحلة قام بها في فصل الربيع إلى شمال المملكة، حدثت فيها مفارقات مضحكة لا تخلو من دلالة فيما يتعلق بالعلاقة بين (ابن الصحراء) وبين الذئب.

يقول أبو فواز: قررت أنا وثلاثة من الأصدقاء أن نقضي عدة أيام في رحلة صيد في المنطقة الواقعة بين بلدة لينة ومدينة طريف، مروراً بمدن رفحاء والعويقيلة وعرعر في شمال المملكة.

وبعد مغيب شمس اليوم الثالث كنا في منطقة حزم الجلاميد، وتلك منطقة صيد في تبعد عن مدينة عرعر بـ (١٠٠كم تقريباً). وأثناء إعداد وجبة العشاء جاءنا رجل في منتصف العمر عرفنا منه أنه يملك قطيعاً من الأغنام في مكان قريب، وسألنا بلهجته المحلية: (ما عينتوا عنزٍ والد؟).

وبالطبع فهمنا القصد، فمثل هذا السؤال غالباً هو المفتاح للبدء في الكلام، وتجد مثل هذا الشخص يسأل ولا يهمه الجواب، لأن عينه وأنفه وجميع حواسه مركزة باتجاه قدر الطبخ والرائحة التي تنبعث منه، ثم ينتهي الأمر إلى الجلوس والسمر معنا بانتظار تناول وجبة العشاء.

ولكن الغريب في أمر هذا الرجل – بعد دعوته لتناول القهوة– روايته لتفاصيل حادثة زعم أنها جرت ليلة البارحة في هذا المكان. وفهمنا أثناء سرده أنه يتذاكى بغباء مكشوف بقصد تخويفنا من الإقامة في المكان وحثنا على الرحيل إلى غيره.



يردد عامة الناس قصص شعبية نفهم منها أن الذئب وُضع في المرتبة الأولى في قائمة الحيوانات المُهابة، ورغم الخوف منه فإن حوادث افتراس الذئب للإنسان شبه نادرة

ويضيف أبو فواز: قال (صاحب العنز): لقد واجهت ليلة البارحة ذئباً من الذئاب الكثيرة في هذا المكان، فقد كنت نائماً وأيقظتني في منتصف الليل أنفاس حارة تنبعث من فم ذئب، وتعرفون - والحديث مازال لصاحب العنز- أن الذئب لا يفترس النائم، وإذا هم بافتراسه يقف ممتداً جاعلاً يديه في الأمام فوق كتف الإنسان ورجليه في الخلف بحيث تكون بطنه فوق بطن الضحية، ثم يبدأ الذئب بالتبول لحث النائم على الاستيقاظ ثم يطبق بأنيابه على الرقبة، وأحمد الله أنني نمت مستلقياً على ظهري، فلو نمت على بطني لوجدت صعوبة في الدفاع عن نفسي، وخطر لي في البداية أن أستل سكيناً في جيبي وأقتل بها الذئب، وعدلت عن ذلك مخافة أن يسبقني بغرس أنيابه في رقبتي، ثم قلت في نفسي (ياروح ما بعدك روح) فهجمت على الذئب بيدي وتعاركت معه إلى أن طرحته وبركت عليه وأطبقت بيدي على رقبته وخنقته حتى مات.

وبعد أن أنهى صاحب العنز قصته المزعومة قلت: الغريب أنك تتحدث عن معركة مع الذيب سرحان ليلة البارحة، ولا أرى أثراً لذلك، وسألته ألم يجرحك الذئب بنابه أو مخالبه حتى لو جرحاً بسيطاً في يديك أو وجهك؟ وهنا تولى الردّ أحد أصحابي في الرحلة وهو أبو عبدالله فقال متهكماً: (ما خبرنا ذيب الكذب يجرح !).

نهض الرجل مرتبكاً - ويبدو أن رد أبو عبدالله جعله يعيد حساباته- ثم استأذن وهو ينوي السير في الاتجاه الذي قدم منه. فسأله أبو عبدالله: كيف تذهب ونحن لم نجب عن سؤالك، ألا تريد العثور على العنز؟ وأضاف أبو عبدالله ساخراً: نحن لم نرها، وربما تجدها الآن تفترس ذئباً من الذئاب التي تقول إنها كثيرة في هذا المكان.

لما استيقظنا في صباح اليوم التالي بدأت رحلة البحث عن الصيد، وعثرنا على غدير ماء بجانب مكان نومنا وحوله سرب من طيور القطا، وشاهدنا صاحب العنز؛ الذي هرب ليلة البارحة، يصطاد وعرفنا أنه اختلق قصة الذئب ليبعدنا عن المكان، لكن الذي حدث أنه هرب مرة أخرى لما شاهدنا، وربما كان هروبه بسبب شعوره بالخجل من مقابلة استضافتنا له ليلة البارحة بالكذب علينا.

قلت لأبي فواز: إذا كان الرجل قد كذب فيما روى فإن أناساً من أجيال قبله اختلقوا ما يحاك حول الذئب من مزاعم، ومازال بعض السكان في أكثر من منطقة يعتقدون أن الذئب لا يفترس النائم. والغريب أنك تجد من يتوارث هذا الزعم ومزاعم أخرى عن الذئاب ويضعها أو يرويها بصفة الحقيقة المُسلَّمة التي لا تقبل النقاش. وأيّاً كان الأمر فالحقيقة أن هذا الحيوان بقدر ما يخيف الإنسان فهو محط إعجاب أبناء الجزيرة العربية منذ القدم، ولا زال، بل إن (ذيب) من الأسماء التي يسمون بها أبناءهم خاصة في البادية.

وسأل أبو فواز، وما تلك المزاعم؟

ستجدها في الصفحة التالية.



من المزاعم الشعبية الراسخة في الأذهان خاصة لدى سكان المنطقة الوسطى أن الذئب يسد حاجته من الغذاء بأكل الجن، وأن الجني لا يستطيع الهرب إذا رآه الذئب

مزاعم

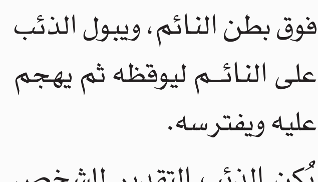


الذئب العربي

يتوارث سكان الجزيرة العربية اعتقادات ومزاعم عن حياة الذئاب وسلوكها، ويتناقلون قصصاً بعضها أقرب إلى الخيال، ويصعب التحقق من صحة قصص كثيرة يُعتقد أنها حدثت في العصور المتأخرة من تاريخ الجزيرة العربية خصوصاً في شماليِّها ووسطها، ومازالت الأفواه تردد تلك القصص بنوع من التسليم بصحتها. وتبقى تلك القصص والأساطير في طابعها العام شاهداً على طبيعة العلاقة بين أبناء الجزيرة العربية وبين الذئب التي يصفها بعضهم بأنها مزيج من الخوف من هذا الحيوان الشرس وبين الإعجاب به لدرجة أنهم يُسمُّون أبناءهم عليه خصوصا في البادية، ويفسر آخرون هذه العلاقة أو الإعجاب بسبب تشابه حياة ابن الصحراء قديماً مع الذئب في كونهما يتحملان قسوة العيش في الصحراء ويكسبان لقمة العيش بمباغتة الآخرين والإغارة والسلب.

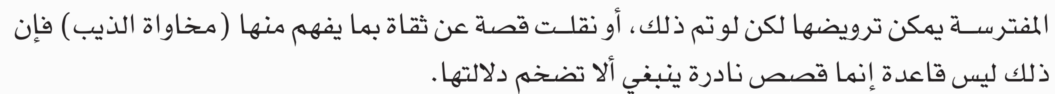
ومازالت تسود على خلفية تلك القصص في بعض مناطق المملكة اعتقادات ليس لها أثر إلا في الحكايات والمصادر والكتب الشعبية وليست العلمية، ولهذا يجب أن تخضع هذه المزاعم إلى معايير العلم والتفكير لا التصديق بكل ما تأتي به الحكايات الشعبية التي تروى عن إناس عاشوا في حقب سيطر عليها الجهل، ومن تلك المزاعم والأساطير ما يلي:

- الذئب يأكل الجن، ولا يستطيع الجني إذا رأى الذئب الهرب.
- الذئب لا يفترس الإنسان النائم، وإذا همَّ بالنائم يوقظه أولاً ثم يهجم عليه، ويصل الزعم إلى حد أن للذئب طريقة في ذلك؛ حيث يضع يديه على كتف النائم ورجليه في الخلف بحيث يكون بطن الذئب



فوق بطن النائم، ويبول الذئب على النائم ليوقظه ثم يهجم عليه ويفترسه.

- يُكن الذئب التقدير للشخص الذي يطعمه أو يسدي له معروفاً، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك في اعتقاد أنه (يصادق) الإنسان، أو (الذيب يخاوي) وفقاً للمصطلح الشعبي. والمعروف أن الحيوانات بما فيها



المفترسة يمكن ترويضها لكن لو تم ذلك، أو نقلت قصة عن ثقاة بما يفهم منها (مخاواة الذيب) فإن ذلك ليس قاعدة إنما قصص نادرة ينبغي ألا تضخم دلالتها.

- إذا أكل الإنسان شيئاً من أحشاء الذئب أو لحمه أو شرب من دمه فإنه يصبح جسوراً لا يعرف الخوف!

- يخيف الذئب بريق السيف في يد الإنسان أكثر من خوفه من البندقية والعصا، ويصل الزعم إلى حد القول: إن الذئب يرى الرصاصات المنطلقة من فوهة البندقية ويتحاشاها بخفة ورشاقة فلا تصيبه.





- يهـرب الذئـب عند نهره بصوت عال، ومن الألفاظ التـي تستخدم في ذلك قولهم (الخلا)؛ بمعنى طلب الذهاب عن الإنسان إلى الخلاء.
- ينام الذئب مغمضاً بعين ويبقي الأخرى مفتوحة.
- لا يشـرب الذئـب المـاء، وإذا لم يجد فريسـة وبلغ الجوع عنده مبلغه فإنـه يستطيع سد حاجته من الغذاء بأكل الهواء.



صيد ينتهي إلى (الذيب)

عبدالله بن عثمان الغنام من أهالي عيون الجواء بشمال القصيم، كان في صباه متعلقاً في هواية الصيد بالصقور بشكل أقلق أباه الذي كان يخشى عليه من الابتعاد في رحلات طلب الصيد في هذه المرحلة المبكرة من العمر، فحاول أن يصرفه عن الصيد باصطحابه معه ليعلمه الرماية ببندقية (مقمع)، فخفّ مؤقتاً (ولع الصقّارة) بسبب تعلق الابن بالبندقية، ولما بلغ أوائل شبابه اشترى بندقية (مقمع) فأصبح الشاب مولعاً بالهوايتين الصيد بالبندقية والصقور.

وفي هذه المرحلة اعتاد الغنام ركوب ذلوله للذهاب وحده في رحلات صيد بمكان غير قريب من بلدته يسمى (الحِلّة) تكثر فيه الأرانب البرية، وتعج فيه الذئاب، لكن (المقمع) كانت باعثاً على الاطمئنان والثقة والجرأة. وفي يوم (يرجح أنه في عام ١٣٦٠هـ) صاد في رحلة صيد بالحلة عدداً من الأرانب البرية وقبل أن يتهيأ لصلاة العشاء شعر بالجوع فقرر أن يشوي واحدة منها، فأوقد النار بعد عناء بسبب أن الجو كان ممطراً، ولما فرغ من أداء الصلاة سمع عواء ذئب قريب منه يبدو أن رائحة الشواء قد جذبته للمكان.



حوادث افتراس الذئاب للبشر نادرة، ولا يهجم الذئب على الإنسان إلا إذا جاع ولم يجد فرائسه ووجد الإنسان منفرداً في مكان بعيد

وكعادة الذئاب تعوي لنداء ذئاب أخرى، فتجهّز الغنام لقتل ذئب أقعى مترقباً في تل قريب من مرمى البندقية. حاول الغنام إطلاق النار باتجاه الذئب لكن محاولاته لم تفلح بسبب المطر ورطوبة الجو التي أعطبت الذخيرة. بدأ الغنام - مع اقتراب ذئب آخر - برمي الجمر نحوهما في محاولة لأخافتهما، ولم

ينجح في ذلك، ثم شاهد علامات الخوف على ناقته وخشي أن تهرب، فقرر أن يرمي الأرنب للذئبين ليشغلهما عنه، ويركب ناقته متبعاً طريقاً قريباً من إحدى القرى. ولما أشرف على عيون الجواء وأمن من شر الذئبين نظم قصيدة عبارة عن حوار بينه وبين ناقته، أنقلها عن ابنه عبد العزيز، ومنها الأبيات التالية:

البارحة جان أزرقٍ وام له	الام تقنب والولد جوعاني
حلتهن بالجمرما بي خَلة	دلا ينهوص وأزملن سرحاني
قالت ذلولي كيف بك هالذلة	وانا احسب انك فارسٍ يا فلاني

الشاعر:

يا علّ كبدك نشويه بالملة	هو بك عمى يا كلبة الهتماني
ذيب الجوا صوت لذيب الحلة	وتقابلن عندي تقل ويواني

الذلول:

معك بارود اواجدٍ ملح له	ترى المقمع تذبح القوماني
ومعك رصاصٍ كبر قرط الدّلة	ثوّر على اللبوة يهج الثاني

الشاعر:

مديتها والى انها مبتلة	طفت علي وصار علم ثاني

الذلول:

حمّل زهابك يالسناي كله	واركب بكوري واذكر الرحمنِ
كان الولي وقان شرّ العلة	فابشر بربعك يا ولد عثمانِ

ذيب شالح

يـا ذيب أنا بوصيـك لا تاكل الذيب　　　كـم ليلـة عشـاك عقـب المجاعـة

هـذا بيـت شعر معروف قاله أحد فرسـان قبيلة قحطان. فمن هو؟ وما مناسبتـه؟ ومن هو ذيب الأول والذيب الثاني؟

قائـل هذا البيت هو رجـل يدعى شالح بن هدلان، من شيوخ قحطان (توفي عام ١٣٤٠ هـ)، وقد عاش بدوياً يتلمس الحكمة مطاعاً من جماعته وفارساً يهابه أعداؤه.

عاش ابن هدلان في عصر من تاريخ الجزيرة العربية كان قاسياً ومضطرباً، وفرضت الحاجة وشظف العيش أن يسود بين القبائل السلب والنهب حتى صار في عرفهم كسباً مشروعاً آنذاك، وربما انعكس ذلك علـى شخصية (ابن الصحراء المغير) التي اتسمت بالصلف وشـدة البأس، وقد لا تلتفت تلك الشخصية للروابـط الاجتماعيـة والعائلية. وكان ابن القبيلة وجماعته يعيشون في هـذا المحيط لكن شالحاً تميز بأنه محاط بستار مثالي قوامه علاقة عائلية حميمة قلما يوجد مثلها (بين المغيرين) في ذلك العصر. وأطراف هذه العلاقة هم شالح والفديع وذيب.



الإبل، سـواء بكسبها (سـلبها) أو الدفاع عن نهبها وراء معظم المعارك وحوادث قتل الكثيرين من شـيوخ القبائل وأبنائها في حقبة تاريخية مظلمة قبل توحيد المملكة بقيادة الملك عبدالعزيز، طيّب الله ثراه

ليته عصاني

الفديـع بن هدلان شقيق لشالـح، وفارس شجاع ومغامر، وقـد عاش لا يطلب في حياته سوى رضا أخيه شالـح بطاعتـة وخدمته ورعاية إبلـه وحمايتها. وقد بلغت فروسيـة الفديع أن أحداً لا يجـرؤ على الإغارة

(وسلـب) إبل شالح مـادام الفديع قريباً منها، وذاعـت بين القبائل القريبة سمعتـه وشجاعته وفروسيته وبطشـه بالأعداء. وممـا دل على تفاني الفديع في خدمة أخيه هذه الحادثة، فقد جاء شالح في أحد الأيام مـع بزوغ الشمـس غاضباً يبحث عن الفديع بعـد أن رأى الإبل في مباركها معقّلـة لم تطلق للرعى، ووجده قريبـاً من البيت تغسل إحدى النساء شعره، فحثـا شالح التراب على رأس أخيه وعيره ببقائه عند النساء بعيـداً عـن الإبل، فنهض الفديع لا ليظهر غضبه أو جزعـه من أخيه بل ليقبل رأسـه ويعتذر منه ويذهب مسرعـاً لإطـلاق الإبل ورعايتها وحراستهـا طوال ذلك اليوم حتى عاد بها آخر النهـار وقد بلغ منه التعب مبلغـه، فسمع زوجة أخيـه تخبر عن عدم وجود ماء يسد حاجتهم لليوم التـالي، وأنها ستطلب من زوجها تكليـف أحـد رجاله بجلب الماء، لكن الفديع منعها من أن تخـبر الشيخ شالح كي لا ينزعج فقد حان موعد نومه، وانطلق في تلك الليلة يجوب الأودية والغدران والآبار حتى عاد قبل الفجر بالماء.



تصل المعاناة قديماً إلى الاقتتال من أجل الاستحواذ على المراعي ومصادر المياه الشحيحة

أخـبرت الزوجـة شالحاً بما حدث، فلما اجتمع الأخوان على قهوة الصباح، وقبل أن ينطلق الفديع من جديد لرعاية الإبل وحراستها، قال شالح متأثراً:

لا واخـو لي عقـب فرقـاه بـا ضـيع	**كنـي بمـا يجري علـى العمـر داري**
ليتـه عصـاني مـرة قـال مـا طـيع	**كود اني اصبر يوم تجري الجواري**
انـا اشـهد انـه لي سـريع المنافيـع	**عبـدٍ مليـكٍ لي ولاني بشـاري**

يعـترف شالح في هـذه الأبيات وبقية القصيدة بفضـل الفديع، ويتوقع دنو أجله لعلمـه أن أخاه شجاع ومغامر لا يخاف النزال ولا يأبه بكثرة الأعداء وقوتهم.

دموع غزيرات

اضطر شالح وجماعته يوماً (في حدود عام ١٣٠٧هـ) إلى الرحيل في بحثهم عن الماء والكلأ، وكانوا أثناء المسير يفتقدون فروسية الفديع الذي كان محمولاً في هودج ومعصوب العينين كيلا يتعرض لأشعة الشمس بسبب إصابة عينيه بالرمد، وبدلاً من أن يمتطي جواده يرصد لهم الطريق ويترقب الطامعين كان كالمسجون يقاد جواده مع الركب.

وفي هذه الأثناء أغار عليهم مجموعة فرسان تبين أنهم من الحمدة من قبيلة عتيبة، فتصدى لهم شالح ومن معه في غياب الفديع، وطالت المعركة سجالاً بين الفريقين، وبدأت تتصاعد صيحات النساء كما هي العادة آنذاك لحث الرجال وتحفيزهم على كسب المعركة. ولما رأت أم شالح والفديع أن شالحاً أعياه النزال أسرجت جواد الفديع وأحضرت سلاحه وطلبت منه النزول من الهودج والقتال مع أخيه فالفرسان على وشك أن يدركوه ويقتلوه، فخاطبها الفديع متألماً من سماع وقع المعركة مشيراً إلى عينيه المعصوبتين فليس باستطاعته عمل شيء، وطلب منها المساعدة كي يبصر فأحضرت الأم الماء وغسلت عينيه وبدأت بفتح الأجفان الملتصقة حتى سال الدم والصديد من عينيه – حسبما ذكر محمد بن أحمد السديري في كتابه أبطال من الصحراء – ثم امتطى الفديع (المغامر) جواده وهو لا يبصر إلا قليلاً، وقتل ثلاثة من فرسان الفريق المقابل، وهرب البقية وهم يرشقونه بالرماح في دفاعهم عن أنفسهم، وأصابه رمح في رأسه فخر صريعاً.



قد يترك عابر الصحراء حالياً سيارته وأمتعته ليتنزه في مكان آخر بينما لا يأمن قديماً الفرد ولا الجماعة على ممتلكاتهم وأنفسهم ويتوقعون الإغارة أو الغدر في أي لحظة خلال التنقل والترحال في الصحراء

نزل شالح من جواده مسرعاً إلى أخيه الفديع ليسعفه، وأخذ يقلب جسده متحسراً بعدما أدركته المنية التي كان قد أيقن شالح أنها ستأتيه بأمر الله، وتوقعها من وراء المغامرة لكنها مغامرة نبيلة الغاية أقدم عليها لإنقاذ أخيه شالح الذي رثاه بقصيدة منها:

وتسابقن دموع عيني غزيرات ... وصفقت بالكف اليمين الشمالي
ليته كفاني سو بقعا ولا مات ... وانا كفيته سو قبر هيالي
وا خوي يللي يوم الاخوان فلات ... من خلقته ما قال ذا لك وذا لي

ناخذ خيار الصيد

أضمر شالح الانتقام لأخيه يتربص بالحمدة ويحث جماعته على الثأر، ووعده أحد أقربائه ويدعى مبارك بن غنيم بن هدلان بأخذ الثأر. ثم وقعت معركة أخرى مع الفريق المقابل وتولى مبارك قتل ثلاثة من كبار فرسان الحمدة أحدهم أكبر خسائرهم؛ وهو عبيد بن تركي بن حميد، وكان أكثر المتأثرين بمقتله أحد أشقائه وهو ضيف الله، ومما قاله في رثائه:

الخيل عقب عبيد ما به نمارة ... وش عاد لو راحن وش عاد لو جن

ثم يحرض شيخهم محمد بن هندي بن حميد ويدعوه للثأر والهجوم على شالح وجماعته بقوله:

يا شيخ ما تامر عليهم بغارة ... كود الجروح اللي على القلب يبرن

فرد عليه شالح بن هدلان بقصيده، ومنها:

ضيف الله اشرب ما شربنا مرارة ... اصبر وكنك شالح يوم حزن
راح الفديع اللي علينا خسارة ... واخذ قضاه عبيد حامي ثقلهن
وعاداتنا بالصيد ناخذ خياره ... ثلاثة الجذعان غصبن بلا من
من حل دار الناس حلو دياره ... لا بد ما تسكن دياره ويغبن
ومن شق ستر الناس شقوا ستاره ... ومن ضحك بالثرمان يضحك بلا سن

رفيق الليالي المعاسير

مضت السنين ونشأ ذات يوم خلاف بين شالح وكبار جماعته بعد اجتماع على أمر لم يستشيروه فيه فرأى في ذلك عدم تقدير لمكانته، وقرر أن يترك جماعته ويرحل مع المقربين منه إلى جوار قبيلة الدواسر، وأرسل لمن اختلف معهم قصيدة منها قوله:

أنا ليا كثرت الاشاوير ما اشير ... وحلفت ما آني بارز ما دعاني
وانا صديقه في ليالي المعاسير ... والا الرخا كلٍ يسدٍ بمكاني

أكرم الدواسر شالحاً ومن معه وطاب له المقام عندهم. وفي هذه المرحلة برز الفارس الصغير ذيب ابن شالح الذي تعلم على يد أبيه فنون القتال والفروسية. وذات يوم أغار على الدواسر فرسان من قبيلة عتيبة، فهبوا مدافعين عن إبلهم المنهوبة وانطلق معهم ذيب الذي لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره، ولما عاد المدافعون منتصرين باسترداد الإبل أثنوا على الفارس الصغير وشهدوا له بالمقدرة على منازلة كبار الفرسان، وبشروا جارهم بأن ابنه قتل فارساً وكسب فرساً من أغلى خيل عتيبة. وقدّم الابن غنيمته هدية لأبيه الذي تفحصها وعرف أنها (العزبة) وهي من الأفراس التي يضرب بها المثل عند عتيبة.

درس شالح الأمر وعرف أن هذه الفرس ستجلب المشاكل على الدواسر، ذلك أن المعنيين بالأمر من

قبيلة عتيبة لن يهدأ لهم بال حتى يستعيدوا الفرس، كما عرف فيما بعد أن غيرهم سيطمع بها، وفي نفس الوقت لن يفرّط بها لأنها تمثل لابنه أول طريق فروسية الكبار، ففضّل الرحيل إلى منطقة الربع الخالي.

من الربع الخالي حتى العودة إلى منازل قحطان، ولعدة سنوات، لمع نجم ذيب وذاع صيته بين القبائل المحيطة، وكان مغامراً مثل عمه الفديع لا يأبه بالمغيرين وكثرتهم بل وصلت به الجرأة أنه يطلب من رعاة إبل أبيه الاتجاه بها إلى المراعي التي تكون أشد خطورة وعرضة للغارات، ويفتخر بأنه سيدافع عنها ولن يمكّن الآخرين من سلبها، ولم تبلغ الجرأة بأحد أن يغير على الإبل وهي في حماية ذيب.

ولما رأى شالح أن ابنه فارس لا يأبه بالمخاطر والأهوال في ميادين القتال نعاه وهو حيّ يرزق لتوقعه أن إقدامه لابد أن يوقعه يوماً في المنية، ومما قاله:

ما ذكر به حيّ بكى حيّ يا ذيب	واليوم أنا بابكيك لو كنت حيا
انا اشهد انك بيننا منقع الطيب	والطيب عسرٍ مطلبه ما تهيا

عُرف عن ذيب جانب أبرز من الفروسية وهو برّه بأبيه فكان ينام بعده ويستيقظ قبله ليقوم على خدمته، ولا يقبل أن يؤدي هذا الدور غيره. ومن عاداته أنه يسبق أباه في رحلاته ويجلس في مكان متفق عليه بين الاثنين حتى إذا وصل الأب لقضاء بعض الوقت للراحة يكون الابن قد أعد لأبيه القهوة وطبخ له من لحم الصيد الذي يحبه، وتذكر المصادر أن (ذيب) ذات يوم لم يجد صيداً في مكان متفق عليه لنزول الأب وراحته، فذبح الابن ناقته (راحلته) الثمينة وأخفاها، ولما وصل الأب شم رائحة طبخ لحم ليس بصيد، فعلم أن ابنه ذبح الناقة فلام ابنه على ذبح الراحلة، وكان رد الابن (أنها تفديك وسأجلب لك أطيب منها). وذات ليلة كان الأب يسامر ابنه ويداعبه بقصيدة منها:

يا ذيب انا يا بوك حالي تردى	وانا عليك من المواجيب يا ذيب
تكسب لي اللي لاقح عقب عدا	طويلة النسنوس حرشا عراقيب

قال شالح القصيدة وربما كان ممازحاً لكن ذيب أخذها على محمل الجد وفهم أن أباه يريد إبلاً أصيلة تنطبق أوصافها على إبل بحوزة قبيلة عتيبة، وربما فهم أن أباه ما زال يشعر بمرارة قتل عمه الفديع على يد فرسانها، فهب مع خمسة عشر من أصحابه الفرسان ليغيروا و(يكسبوا) الإبل المطلوبة. وبعد ثلاثة أيام وصلوا إلى مشارف منازل عتيبة واقتربوا من بئر ليستقوا منها،



(حرْش العراقيب) في العامية هي الإبل. والعراقيب جمع عرقوب. وقال ابن منظور في لسان العرب: (الحراش أثر الضرب في البعير يبرأ فلا ينبت له شعر ولا وبر. وحرَش البَعير بالعصا: حكّ في غاربه ليمشي) فيقال (للبعير: هذا بعير أحْرَش وبه حَرَش)

ورأوا حولها أفراداً من القبيلة، فانحدروا للاختباء باتجاه أحد الأودية في الوقت الذي قصد الوادي صياد ممن كانوا حول البئر فرآهم واختفى تحت شجرة وباغتهم بطلقة من بندقيته أصابت ذيب في مقتل (وكان ذلك في حدود عام ١٣٢١هـ)، واضطر الفرسان بعد موت قائدهم إلى العودة بعد أن وضعوه في أحد الكهوف (وفقاً لما ذكره السديري في أبطال من الصحراء، وأكد عليه أحد أحفاد شالح في كتاب صدر عام ٢٠٠٥م بعنوان ديوان شالح بن هدلان اعتمد في بعض مصادره على مقابلات أجراها مع أحفاد شالح وجماعته). ولم يظهر الصياد من مخبأه إلا بعد مغادرة الفرسان ثم ذهب لإخبار جماعته الذين تبينوا الأمر وعرفوا أن القتيل هو ذيب بن شالح بن هدلان.

أما شالح فاستقبل النبأ بمرارة ورثى ابنه، وسنجد في الأبيات التالية ما يفهم منه أن جثث القتلى بعد الغزوات يمكن أن تترك في أرض المعركة وقد تأكلها الذئاب والسباع وجوارح الطير، ومما قاله شالح:

يا ربعنا ياللي على الفطر الشيب	عز الله انه ضاع منكم وداعه
خليتوا النادر بدار الاجانيب	وضاقت بي الآفاق عقب اتساعه
ياذيب أن بوصيك لا تاكل الذيب	كم ليلة عشاك عقب المجاعة
كم ليلة عشاك حرش العراقيب	وكم شيخ قوم كزته لك ذراعه

لم يفارق الحزن الأب، ومما رواه منديل الفهيد (توفي عام ١٤٢٥هـ) في سلسلة من أدابنا الشعبية أن شالحاً سمع - بعد فترة من موت ابنه - رجلاً من جماعته يسمى الهويدي ينادي معلناً عن ضياع صقر، فناداه شالح وأجلسه عنده، وكان الهويدي يتوقع أنه سيخبره عن الصقر المفقود لكنه أنشده قصيدة يتذكر فيها ابنه، ومنها:


الحربي

في البيت الثاني والثالث ما يشير إلى أنه قد لا يتاح (قديماً) أخذ جثة القتيل وربما لا تدفن جيداً وتترك للسباع

ان كان تنشد يا الهويدي عن الطير	الطير والله يا الهويدي غدا لي
يضحك ليا صكت عليه الطوابير	طير السعد قلبه من الخوف خالي

وبقيت للأب الأحزان على فقد ابنه الفارس البار. ومما نقله إبراهيم اليوسف في كتابه قصص وأبيات عن أحد أقرباء شالح يدعى الفديع بن سلطان بن هدلان قال إن شالحاً سمع في إحدى الليالي عواء ذئب طُرد عن مواشي قومه فقال:

الذيب والله ياهل الضان ذيبي	وإلا فذا ذيب حدته الحوامي
وذيبي نهار الكون ضد الحريبي	لما اغتشى قب السبايا عسامي

إشباع الذئب وخطورة تهمة نبش القبور

إبَّان حقبة سادت فيها الغزوات ومعارك السلب كان بعض سكان الجزيرة العربية يفتخرون بجندلة الرؤوس وإلقاء جثث القتلى من القبائل التي يغيرون عليها فيتركونها غذاء تشبع منه الجوارح والسباع في وقت أجبر شظف العيش وقلة ذات اليد أن يصل الاعتقاد إلى اعتبار الفوضى الوجه الآخر للفروسية فتكون الغارات على الجماعات أو القبائل الآمنة ونهبها (كسباً) مشروعاً.

وكان الشعراء بمثابة القنوات الإعلامية التي تبث الحماسة في المقاتلين في غزوات النهب ومعارك الدفاع عن النفس. وكان الذئب وبقية السباع والجوارح حاضرة في أدبيات الشيوخ والشعراء آنذاك، ومن ذلك قول الشاعر عبدالله بن خالد من سكان الدرعية بعد أكثر من موقعة حول الدرعية بين جيش الدولة السعودية الأولى وبين الغزاة القادمين من مصر بقيادة إبراهيم بن محمد علي باشا الذين أتوا بلدان نجد لتطويعها لحكم الدولة العثمانية، ومما قاله عبدالله بن خالد يستحث المقاتلين للدفاع عن الدرعية:

لابتي عز الديار المخيفة	كم لطمنا دونها من قشر
هاضني بعواه ذيب الرديفة	شايفٍ سرحان عسكر مصر
شبعت العرجا طري وجيفة	والسباع الحايمة والنسر
بالبنادق والسيوف الرهيفة	سالت العوجا بدمٍ حمر

ولسعدون العواجي (توفي عام ١٢٧٨هـ) يرثي ابنه الفارس عقاب بعد مقتله (عام ١٢٥٢هـ) في قصيدة مطلعها:

يا ونة ونيتها تسع ونات	مع تسع مع تسعين مع عشر الوفي

إلى أن يقول:

ويا عقاب عقبك شفت بالوقت ميلات	واوجست انا من ضيم بقعا حفوفي

ويتذكر مآثر عقاب فيقول:

مرحوم يا مشبع سباع مجيعات	وعز الله انه عقبكم زاد خوفي

وقبل أكثر من مائتي عام قال الشاعر دندن الفهيم (توفي عام ١٢٣٠هـ) في مدح أحد شيوخ الجربا من شمر لما سيطر على مساحة واسعة تجاوزت نطاق المناطق المحيطة بهم:

عاش من طوع مصاعيب العيال	بضرب مهند يروي شباه
عاش من تاكل بجرته السباع	والذيابة والحصاني مع حداه

ويقول عبيد العلي الرشيد (توفي عام ١٢٨٩هـ):

ومركاضنا يشبع به النسر والذيب	ونروي معاطيش السيوف الظوامي

وبقيت هذه الأدبيات ووظفها بعض الشعراء المتأخرين، ومن مثل ذلك قول الشاعر بادي بن ديبان السبيعي (توفي عام ١٤٠٨هـ) حيث قال:

واليا ركبنا رافعات الشليلي	قحص المهار مودبات تواديب
كم واحد عقناه ما له مثيلي	خلي عشا لاطاح للطير والذيب

إن البحث في مصادر التراث الشعبي لا يعطي صورة واضحة لكيفية دفن القتلى في أجواء تلك المعارك وبعدها خاصة إذا انتصرت قبيلة فهربت فلول القبيلة المهزومة وبقيت جثث وأشلاء قتلاهم، وربما تُركت في العراء أو لم تدفن جيداً. ومن المتوقع في هذه الحالة أن تتغذى عليها جوارح الطير والحيوانات آكلة اللحوم، ولهذا فإن ما يرد في بعض أبيات من الشعر الشعبي تشير إلى أن السباع تأكل رفات البشر بما فيها المطمورة في القبور مقولة مبالغ فيها، مثل قول شاعرة تدعى بنّا بنت مسعود العضيّانية من قبيلة عتيبة ترثي أخاها:

وا خوي في قبر طويل حفرناه	سبع الخلا يكثر عليه الردودي

ويفهم هنا ما ترسَّخ في الأذهان من أن السباع تحفر القبور وتأكل رفات البشر، وهذا زعم لا زال سارياً إلى درجة أن بعض القرى في منطقة القصيم شهدت في عام ٢٠٠٦م حوادث قتل متعمد لمجموعة من الثعالب بزعم أنها قرب مقبرة القرية، جاء ذلك في خبر نشرته صحيفة الرياض بعنوان (الثعالب تخترق أسوار المقابر في الأسياح وتحفر القبور) من مراسلها بمدينة الأسياح في القصيم الذي نقل فيما وصفه عن (ثقات) قولهم:



قبور في الصمان لا يلاحظ أنها تعرضت للحفر وعبث الحيوانات. والصمان من الأماكن التي شهدت قبل توحيد المملكة معارك طاحنة بين القبائل التي تطمع في الاستئثار بمراعيه

(إن الثعالب حفرت القبور في قرى بالأسياح)، بينما تفيد تفاصيل الخبر أن المقابر مهملة وقد غمرت بعضها مياه المجاري وجرفت السيول الأسوار والقبور.

ورغم تبدل الأوضاع وندرة مشاهدة السباع؛ بسبب أنها أصبحت مهددة بالانقراض، فلازالت العلاقة بين سكان بعض المناطق وبين هذه الحيوانات مضطربة، وقد تكون نتائجها خطيرة في السنوات المقبلة، فعلى سبيل المثال يتبع بعض سكان القرى في مناطق جنوب غربي المملكة سلوكاً عدوانياً تجاه النمر العربي والذئب والضبع فيقتلونها؛ حتى لو عثروا عليها في أماكن بعيدة عن التجمعات السكانية، ويعلقونها على أشجار الغابات. وفي بادية شمالي المملكة تسمى (الضبعة) أم القبور، ومن النادر ألا يقتل الشخص الضبعة عندما يشاهدها في تلك المنطقة حتى لو كانت غير معتدية. وحتى في ممارسات بعض هواة

الرحـلات البريـة حالياً تجد منهم من يهوى مطـاردة السباع خاصة الذئب باستخـدام السيارات وبنادق الصيـد فيقتلونهـا ويعلقونها على الأشجار ولوحات الطرق، وربما كان هـذا الفعل توارثاً من أجيال سابقة لم تتعايش مع الحيوانات إلا بالملاحظة التي يغلب عليها مزاعم مغلفة بجهل أتت به مقولات متوارثة وليس بالمعايشـة والملاحظـة الواعيـة وبالدراسة التي تدرك الدور الـذي يؤديه كل كائن حـي في هذه الصحراء القاحلة.



بسـبب قلـة أعداد الحيوانات آكلة اللحوم في الصـحراء كـثرت مؤخراً أعداد الجـرذان الصـحراوية التـي تعـد واحـدة مـن القوارض العائـلة والناقـلة لأمراض كثيرة تصيب البشر، والماشية (الثروة الحيوانية)

إن مقولـة (الحيوانـات آكلة اللحوم مـن طبعها حفر القبور) ليس لها أثر في المصادر العلمية، ولم تثبت الدراسـات أن الذئاب تعمـد إلى حفـر القبـور لتـأكل الأموات.

إن خطـورة تناقـص أعداد الحيوانـات آكلـة اللحـوم أو انقراضهـا يتمثـل في التسبـب في خلـل في التوازن بـين الأحياء الفطريـة، وإن أبسط نتائج هذا الخلـل يشاهـده حاليـاً عابـرو الصحــراء مــن الهواة وملاك الماشية، ففي مناطق متفرقة من بــراري المملكة لوحظ في السنوات الأخيرة تزايد أعداد الجرذان الصحراوية بشكل مريع في بعض الأماكن، ومعروف أن هذا النوع من القوارض عائل لأنواع من الأمراض والحشرات التي ينقلها إلى البشر والحيوانات خاصة الماشية (الثروة الحيوانية)، ولن يحدَّ من تكاثره في الأراضي الشاسعة إلا المفترسات.

ولقـد دلّـت مؤشرات الدراسـات العلمية أن بعض مناطق المملكة قد تقـع في براثن كوارث قد لا تحمد عاقبتهـا، ومـن هذه الدراسات تلك الدراسـة التي قام بها فريق علمي من جامعتـين يابانيتين وعلى مدى سبعـة أعـوام ابتداء مـن عام ١٩٩٨م على قـرود البابون في مناطـق متفرقة من العـالم. وأمضى الفريق عـدة أشهر في دراسـة القرود في المملكة بين الطائـف والباحة وأبها وبيشة. وتوصـل بعد تحليل المعلومات بجامعتـي كيوتو وميازاكي اليابانيتين لنتائج قد تُعدُّ إنذاراً ببوادر كارثة بيئية في المناطق الجنوبية الغربية مـن المملكـة، إذ تتكاثر القــرود بأعداد كبيرة وخطيرة جـداً، خاصة إذا ما أُخذ في الاعتبـار الإشارة إلى أن أمراضـاً خطيرة انتقلت إلى الإنسان عن طريق القرود، فضلاً عن أن مركز أبحاث الحياة الفطرية في الطائف اكتشف مؤخراً إصابة أفراد من قرود البابون في المملكة بمرض السل.

وقـد كثرت مؤخراً في مناطق جنوب غربي المملكة حـوادث اعتداء قطعان تلك القرود – مع ما تحمله من أمراض – على القرى والتجمعات السكانية هناك في بحثها عن الغذاء، وأصبحت هذه الحوادث بسبب

كثرة القرود وشح غذائها من الأخبار التي تتكرر وتنشرها الصحف أحياناً لكن نشرها لا يتجاوز (مجرد أخبار) دون البحث عن أسباب الاعتداء أو التحذير من كثرة القرود التي لم يعرف مثلها الآباء في المنطقة الجنوبية الغربية. والمعروف أن هذه المنطقة كانت تشهد انتشار أنواع من الحيوانات المفترسة (السباع) آكلة اللحوم؛ مثل الأسد والفهد والنمر العربي والضباع والذئاب والوشق (القرطة) التي يمكن أن تحد من تكاثر القرود، غير أن السباع في المملكة مسجلة حالياً ضمن الحيوانات المحدودة الانتشار أو المهددة بالانقراض أو أن بعض أنواعها لحقه الانقراض النهائي.

تتكاثر القرود بشكل سريع في جنوب غربي المملكة في ظل النقص الشديد لأنواع الحيوانات المفترسة

وقبل أن أنقلك عزيزي القارئ إلى مقال بقلم الشاعر الحميدي بن حمد الحربي الذي طلبت منه أن يدلي بدلوه فيكتب عن قصة (معشي الذيب) بما فيها من دلالة لربطها بما برز حديثاً خاصة في شبكة الإنترنت التي يُبث من خلالها قصص وصور يدَّعي أصحابها (غير المعروفين) البطولات في قتل الذئاب، وفيها تتكرر صور ذئاب مقتولة في مناطق نائية ذهب إليها هؤلاء وطاردوها بسياراتهم وقتلوها ببنادقهم، ومنهم من يصل إلى الصحف المحلية فتنشر معه حوارات وتمرر تحت غطاء أن الذئاب اعتدت على الأغنام. إليك قبل المقال الرسالة التي تتضمنها أبيات الشاعر ثامر بن عبدالله الماضي والشاعر عبدالكريم بن يوسف اليوسف حول هذا الموضوع، فقال الماضي:

الذيب ما ينبش من القاع لقبور ... لو ينبشه ما وصفوا به رجاجيل
والذيب ذيب لا نصى عالي القور ... تسمع عواه وتحسب انه مواويل
راح الزمان اللي به الذيب منعور ... حتى الحصاني هالزمن ما لهن حيل
قضوا عليهن ناس ما تسمع الشور ... قنّاصةٍ بالصبح وقنّاصة الليل

وقال اليوسف:

العلم وصانا وخذ قول دكتور ... في دورة الدنيا تدور المقابيل
ان التوازن بالصحاري وبالدور ... يضمن لنا عيشة سويه بلا ميل
واللي يفكر بالعدل دوم في نور ... يعيش في دنياه دون البهاذيل
واليوم صار السبع والذيب ونسور ... صيد به يفاخر جميع المهابيل

معشي (الذيب) خير من قاتله

بقلم الشاعر / الحميدي بن حمد الحربي

الذئب كان رمز القوة والأنفة وقد شاع ذلك في شعر القدماء وأمثالهم الشعبية من مثل قولهم (الذيب ما ياكل من ذرعانه). والذئب لا يأكل الميتة، ولهذا سمي الرجل المميز في أي جانب من جوانب الخلق والكرم والشجاعة بـ(ذيب). وفي التراث الشعبي قصص كثيرة عن علاقة الذئب بالإنسان ومنها: قصة معشي الذيب.. ومخاوي الذيب وهي مثبتة في كثير من كتب التراث الشعبي.



الجريسي

تنشر الصحف في السنوات الأخيرة بين وقت وآخر قصص (بطولات مزعومة) لأشخاص يقتلون الذئاب مدّعين أنها اعتدت عليهم أو على ماشيتهم، ولا تخلوا شبكة الإنترنت في كل موسم من نتاج بعض الهواة الذين يبثون صور وقصص مطارداتهم للذئاب وقتلها في مناطق بعيدة عن التجمعات السكانية رغم أنها لا تعتدي عليهم

أما ما يحدث اليوم من مطاردة للذئاب لدواعي قتلها فهو من باب الترف وحب الاستطلاع، وسأعود إلى تفصيل ذلك بعد استعراض مختصر لقصة (معشي الذيب)، ويقال إنه ابن سعيّد الشمري في أصح الروايات التي وصلتنا. وملخصها أن الشيخ مكازي بن دغيم وهو من السعيد من الدغيرات من شمر سمع آخر الليل عواء ذئب والكلاب تنبح لتبعده عن مواشي أهلها فتألم لما حلّ بذلك الذئب من جوع فأمر خادمه بأخذ (خروف) وربطه في مكان قريب من الذئب ليأكله لأنه حسَّ بأن الذئب (شيب: وهو كبير السن من الذيابة). وقد أكرمه ذلك العربي في موقف يعتبر غاية في الجود والغرابة.

ولعل في هذه القصة ما يعطي الدليل على إنسانية وكرم أبناء الصحراء حتى مع السباع.

أعود إلى ما يحدث الآن من قتل للذئاب فأقول إنه لا علاقة له بموروثنا الشعبي الذي تدل قصة ابن سعيد على سموه وإنسانيته؛ فالأمر لا يعدو كونه لهو وترف وعدم إدراك لخطر ذلك على سلسلة الأحياء

الفطرية، وقد جاءت الإنترنت لتزيد من خطر هذه التصرفات بجهل؛ حيث (يُطبِّل) لأصحاب تلك الأفعال غير المسوغة عقلاً أو شرعاً.

وعواء الذئب كان مهيجاً للحزن في نفوس العشاق ومن فقدوا عزيزاً لديهم، والشواهد كثيرة في شعرنا الشعبي ويصعب حصرها في هذا الحيّز. يقول مشعان الهتيمي:

اعوي عوى ذيب على المرح دوّج	من الظما والجوع زاوية زاوي
لا وا عشيري دون الطير لجلج	ودونه سراب القيظ جاله تهاوي

وفي شعرنا العربي ما يوثّق العلاقة بين الذئب وابن الصحراء في قول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذا عوى	وصوّت إنسان فكدت أطير


الماضي

الذئب العربي مسجل حالياً في القوائم الدولية للحيوانات المهددة بالانقراض، وربما لحقه قريباً الانقراض النهائي مثلما لحق غيره من السباع في الجزيرة العربية

وختاماً أقول: إن تصرفات الجهلة الذين يطاردون الذئاب بسياراتهم وبنادقهم ليقال بأن فلاناً قتل ذئباً ما هي إلا تصرفات تعد من التعدي الذي يجب أن يُوقَف إن حصل ذلك برفع مستوى الوعي أو حتى بالسلطة، أو بتوسيع قاعدة المحميات الطبيعية على أقل تقدير. وحماية الحياة الفطرية تشمل كل كائن حي على هذه الأرض ويجب ألا تحصر في الحباري والغزلان فقط.

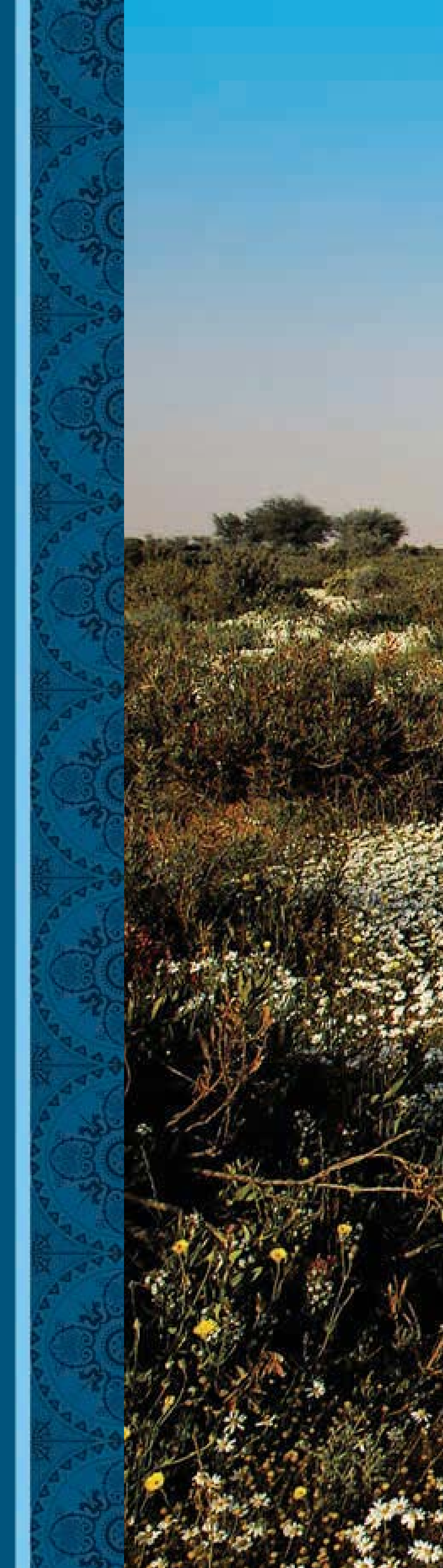
أهم الحيوانات الثديية النادرة والمهددة بالإنقراض في المملكة		
ابن آوى الآسيوي	الذئب العربي	الضبع المخطط (الضبعة)
الظربان (الظربون)	غزال الرمال (الريم)	غزال الجبال (الإدمي)
القط الرملي (التفه)	المها العربي (الوضيحي)	النمر العربي
النمس أبيض الذيل	النمس الهندي	الوشق (القرطة)
الوعل النوبي (البدن)		
أهم الثدييات المنقرضة في المملكة		
الأسد الآسيوي	الغزال السعودي (العفري)	الفهد الآسيوي

المصدر: مركز الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية / الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية


روّاد الصحراء ... محمد اليوسف

(الحايف)

- يروح حايف ولا يقعد حايف
- الحايف ولقطة غليص
- نهاية حايف في جحر جربوع
- حايف في جحر العرفج
- حايف مع أبو خوذة
- لقطة غليص
- ارشادات عامة في الرحلات البرية



يروح حايف ولا يقعد حايف



في أواخر شهر مارس وشهر إبريل تَخفُّ أعداد المتنزهين الذين يذهبون في رحلات خلوية ربيعية إلى الصحراء في مناطق المملكة الوسطى والشرقية، فيقل مرور السيارات في المناطق البعيدة عن المدن والتجمعات السكانية، بل يندر مرورها في المكان البعيد عن شبكات الطرق (المزفلته)، وقد يكون توقف هواة الرحلات في أماكن بعيدة، خصوصاً إذا كانوا في سيارة واحدة، مدعاة لمن في قلبه مرض كاللصوص فيعتدون طمعاً في مال أو متاع أو غير ذلك.

وفي رحلة لأبي فواز في ذلك التوقيت مع صديقين، كانوا عائدين إلى مدينة الرياض بعد رحلة صيد استغرقت خمسة أيام وقد أنهكهم الجوع فتوقفوا في الليلة الأخيرة، على بعد (١٠٠كم) عن الرياض في منطقة صحراوية بفاصل يقارب خمسة كيلومترات عن أقرب طريق (مزفلت).

يقول أبو فواز: بعد توقفنا بساعة أقبلت علينا سيارة يبدو أن صاحبها جذبته إضاءة النار المشتعلة التي نُعِدُّ عليها وجبة العشاء، وقبل وصول السيارة دارت حولنا ثم اقتربت وتوقفت بجانبنا، وتبين أنها سيارة (جيب شاص)، وترجل صاحبها دون إلقاء السلام وقبل أن ندعوه بكلمة (تفضل)، ولم نُلقِ لهذا الخطأ بالاً، ولم يَرَ أميرنا في الرحلة (أبو عبدالله) في الأمر ريبة، وتوقعنا أن هذا واحد من فئة (الصعاليك أو الطفيليين) الذين تجذبهم روائح الطبخ. وعادة يدَّعي الواحد من هؤلاء أنه ضيّع ناقة أو شاة فيبدأ بسرد أوصافها الدقيقة بتفصيل ممل، ولا يتوقف عن الحديث إلا بعد لعق يده من الطعام الذي أعددناه، ثم

يذهب بعد ملء بطنه ولا ينتظر منا جواباً، لكن هذا الرجل على غير المعتاد فقد جلس وظل صامتاً لانسمع منه إلا صوت رشف فناجيل القهوة الواحد تلو الآخر.

وبدأت بكسر حاجز الصمت فسألته عن (موديل سيارته) تمهيداً لفتح حوار معه نعرف من خلاله غايته خصوصاً أنه جلس من غير دعوة، وأجاب دون أن يرفع عينيه ويديه عن طبق التمر: (موديل راح)، ثم سألته هل تركت أصحاب أو مرافقين لك تعطلت سيارتهم ويحتاجون إلى المساعدة، فلم يجب واكتفى بمد فنجال القهوة كي أملأه للمرة الخامسة عشرة. وانتظرنا لعله يبدأ بالسؤال عن أي شيء فلم يسأل، ثم قلت لصاحبنا عادل، وهو شاب متدين وأصغرنا سناً، اقرأ علينا ياشيخ.

تتالت أسئلة عادل الموجهة لهذا الرجل، عن الطقس، والمطر، والربيع فلم يجب ضيفنا الثقيل أو يندمج في الحديث. ومن هنا بدأت أحداث مشهد لم نعدّ له إعداداً جماعياً رغم أجادتنا لتنفيذه كما لو أننا تدربنا مراراً على حبكه وتمثيله، فقد همس لي عادل قائلا: انهض وتظاهر أمامنا بأي حركات أو أصوات لادعاء أن بك مس من الجن، وامتثلت للأمر ونهضت وأنا متردد ولا أدري كيف أبدأ، ومددت يدي إلى إبريق كان على النار يغلي بالماء وسحبته لأضعه على حافتها فانسكب بعض الماء على النار دون قصد مني، فقال عادل وهو يمثل دور الخائف: باسم الله الرحمن الرحيم، ابتعد عن النار الله يحفظك من شر الإنس والجن، ففهمت ماذا يقصد.

استمر عادل يتمتم – وهو يقترب من النار- بعبارات غير مفهومة وينفث باتجاهي في الوقت الذي أمسك يدي أبو عبدالله وطلب مني الهدوء. وزاد من دراما الموقف صراخ عادل على أبي عبدالله: ابعد السكاكين عن أبي فواز. بعد ذلك بدأت أتمايل بجسمي وأرتجف وأهذي بكلام نصفه تهديد للحضور بأنني سأنفلت عليهم، وهنا انطلق الثقيل مذعوراً إلى سيارته وهو يردد: (امسكوا الجني.. امسكو السكني)، وبصعوبة استطاع إدارة محرك سيارته وولى هارباً. ثم تحول الموقف إلى ضحك وتمثيل مشهد هروب الضيف الثقيل إلى السيارة.

ويضيف أبو فواز: شعرت بأننا أخطأنا في تصرفنا مع الرجل وقلت لعادل: ما كان ينبغي إخافة الرجل، فماذا لو كان مريضاً في القلب أو بارتفاع ضغط الدم، ألا ترى أن المسكين نسي حذاءه وهرب حافياً. فقال عادل: إن تصرف وسلوك الرجل مريب ونحن نسمع الأخبار في كل موسم عن أشخاص كانوا في قلب الصحراء وغدر بهم الذين يتلصصون ويلبسون ثياب الضيف، ولا تستطيع في هذا الزمن التمييز بين الضيف العابر واللص الغادر، ومن يدرينا أن هذا المريب في سلوكه غير المعتاد لا يكون من (إياهم). وعلى أي حال فالأفضل لنا (أن يروح حاي ولا يقعد حايف)!

فمن هو (الحايف)؟

الجواب في الصفحة التالية.

قال الشاعر عبدالله بن صقيه التميمي:

اللي وطى غيرك من الناس ياطاك ... من قبل لا ياطاك ناظر مواطيك

الحايف ولقطة غليص

نسمع في الأمثال الشعبية قولهم (يا من شرا له من حلاله علّه) ويقال هذا المثل عندما يختار الشخص حلاً أو تصرفاً تجاه أمر ما ثم يعود فيما بعد بالوبال عليه. وقريب من هذا المثل قولهم (لقطة غليص) للدلالة غالباً على سوء العاقبة أو التذمر من الأمر، واللقطة هي ما يوجد ساقطاً فيلتقط سواء كان مالاً أو متاعاً أو غيره. فما هي قصة لقطة غليص؟

قبل الإحابة عن هذا السؤال سوف نستعرض بعضاً من قصص من أطلق عليهم (الحيّافة). فمن هم الحيافة؟

عُرف في تاريخ الجزيرة العربية إلى وقت غير بعيد اللصوص الذين أطلق عليهم (الحيّافة) مفردها (حايف)، ويسمون أيضا (الحنشل) ومفردها (حنشولي)، ويكونون غالباً مجموعة من ثلاثة إلى خمسة أشخاص أو شخصاً بمفرده، يختفون في النهار ويتحركون في الليل للتلصص وسرقة الإبل في غفلة من أصحابها، أو سرقة الخيل والبنادق وما غلا ثمنه بالتعرض للقوافل التي تقطع الطرق الصحراوية.

وترد في بعض المصادر الشعبية قصص عن (الحَيّافة) محاطة بهالة من صفات القوة والشجاعة والذكاء والفطنة، وسيكون مقبولاً منحهم تلك الصفات إذا وضعت في قالب يفضي إلى أن نفهمها في سياقها التاريخي. ولا نتصور أن أبناء البادية أو أبناء الصحراء حالياً والذين وصلوا في العلم إلى مراتب الأطباء والضباط والمعلمين والمهندسين وأساتذة في الجامعات سينطلي عليهم ما يذكر في بعض المصادر الشعبية من أن (الحِيَافة) شجاعة تلصق في بعض القبائل.

وتذكر المصادر أن الأمر وصل (بالحيّافة) إلى أنهم يبيعون الأشياء الثمينة التي يملكها الآخرون من عابري الطرق أو قوافل الحجاج ويقبضون الثمن قبل سرقتها للثقة بأنهم سيدركونها لا محالة، وإذا كانوا مجموعة (حيّافة) فإنهم يتقاسمون الغنائم قبل أن تكون بحوزتهم. ويبدو أن الفوضى السائدة إذّاك مع ضعف الوازع الديني أفضت إلى استحالة تراجع الحنشل عن مهنة السرقة، ويقول الشاعر محسن الهزاني (توفي عام ١٢٢٠هـ) في قصيدة نظمها بمحبوبته (هيا):

برق تلالا قلت عز الجلالا	**واثره جبين صويحبي واحسبه برق**
قالوا تتوب عن الهوى قلت لا لا	**الا ان يتوبون الحناشل عن السرق**

لقد كانت (الحيافة أو الحنشلة) قديماً سلوكاً غير مستنكر في بعض بوادي الجزيرة العربية، وهناك ما يوحي أن هذا السلوك يُغرس في الطفل منذ تنشئته، ومما يدل على ذلك أن الأمهات في بعض المناطق كنّ يلاعبن الأطفال بقولهن: (يا وليدي يا بو عيون دعاج لعلك تكبر وتسرق الحجاج).

ونادراً ما ينجو (الحايف) من الموت إذا وُجد متلبساً بالجريمة ووقع في قبضة الذين سرقهم، وفي الأعراف ليس (للحايف) دية إذا قتل، ولا يُنتظر من أهله أو جماعته الانتقام لقتله، ليس لأن الأمر جريمة تستحق العقاب وفعلاً مشيناً يلحق بهم العار، بل بسبب أنه لص يغير بالخفاء على عكس الغزاة (الفرّيس والشجعان) الباحثين عن (الكسب) والذين كانوا يعلنون عن هجومهم في وضح النهار.

نهاية حايف في جحر جربوع

قال الراوي منديل الفهيد (توفي عام ١٤٢٥هـ) في سلسلة من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية إن (مشعان الشيباني كان من المشهورين بالحيافة والشجاعة، كما أنه من العدائين المشهورين). ووقعت عليه حادثة كاد جحر جربوع أن يعجل بنهايته، ففي إحدى (حيافاته) الليلية رأته امرأة فأيقظت زوجها وصرخت منذرة قومها في الحي، فهرب هذا العداء السريع بعيداً وكاد يفلت لولا سوء حظه في تلك الليلة الشتوية المطيرة، وعادة تكون جحور بعض الحيوانات أقرب إلى الانهيار من تأثير الأمطار بمجرد أن تطأها الأقدام، وقد تعثر مشعان بجحر جربوع وسقط.



أبرز ما يميز الجربوع عن الجرذ الصحراوي طول الأرجل ووجود خصلة بيضاء اللون في طرف ذيله، وهو حيوان ليلي المعيشة يتغذى على الأعشاب، ومن القوارض التي يجوز أكلها، وتعرف عملية صيده بـ(الجربعة)، ومن حيله للتخلص من أعدائه أنه يضع فتحة غير فتحة الجحر الرئيسية مغطاة بقشرة رقيقة من التراب فإذا شعر بعدُوّ يدخل جحره مثل الثعابين اندفع باتجاه الفتحة الأخرى المغطاة التي تسمى (النطّاقة أو المنطاقة) فيخترقها ويهرب. ويبدو أن هذه النطاقة التي تعتبر وسيلة للنجاة عند الجربوع كانت سبباً في القبض على (الحايف مشعان)

أدرك القوم مشعان، وتولوه بالعصي والهراوات والركل حتى أيقنوا بهلاكه، وتركوه متوقعين أن يكون غذاء للسباع والجوارح لكنه لم يمت، وأفاق بعد فترة من غيبوبته وشعر بدنو أجله فزحف يصارع الموت عائداً إلى الحي، ولما وصل إلى أول بيت رأته إحدى النساء وسحبته قرب البيت ليدفن في الصباح ويتخلصون منه، إلا أن صاحب البيت أبى واعتبره مستجيراً به وعالجه حتى برئ وذهب إلى حال سبيله. فقال مشعان (مخلداً بطولته):

ضويت يوم البل هبهب ضريبه　　　في ليل برد وتالي الليل ممطور

بغيت مرحول الفريق اغدي به وغلب نصيب اللي كما قايد الحور
عيا نصيبي لا يبطل نصيبه وصبر اليا جاني من الرب مقدور



ضراب الجَمَل في مصادر اللغة العربية يقصد به نَزْوه على الناقة. أما الهَبْهَبَة فصوته عند السِّفاد. ويتم تزاوج الإبل في المناطق البرية غالباً في أواخر فصل الخريف وأوائل فصل الشتاء. ومما أتى به العلم الحديث اكتشاف أن في بول الناقة التي لم تحمل (المجسّر) مركبات سهلة التحول من الحالة السائلة إلى الحالة الغازية، ولا توجد هذه المركبات في بول الناقة التي حملت (اللقحة)، ويستطيع الفحل شم هذه الغازات فيندفع للمجسر ويتجنب اللقحة ولا يقربها

حايف في جحر العرفج

هذه حادثة طريفة لـ(حايف) كانت نهايته أفضل من نهاية مشعان الشيباني السابقة. وهو شخص لم يُذكر اسمه في المصادر المقروءة، تسلل يوماً إلى بيت ليسرق، وأكتشفه أصحابه، ويبدو أنه كان مستعداً لمثل هذه الحالات بإرخاء الملابس التي يرتديها، إذ بمجرد أن أمسكوا بطرفها تخلص بخفة وبقيت الملابس بأيديهم وهرب عارياً في ظلمة الليل وابتعد عن الحي. وأيقن أن المطاردين سيلحقون به فدخل متخفياً إلى جحر صادفه وسده بشجيرة عرفج للتمويه واتقاء البرد، وبقي على هذه الحالة إلى أن صادف مرور شخصين راكبين جملين محملين بما يسيل له لعاب أي (حايف)، وتوقفا طلباً للراحة والمبيت قرب شجيرة العرفج. ثم تعمد (الحايف) تحريك الشجيرة مع إصدار أصوات خافتة ففزع أحدهما ورأى العرفجة تتحرك فأخبر صاحبه الذي لامه موحياً له أن حركة العرفجة هي تهيؤات من تأثير تعب السفر، وتبادل معه المكان ليطمئنه وطلب منه أن يهدأ وينتظر نصيبه من وجبة العشاء، ثم ينام استعداداً لمواصلة الرحلة في الصباح الباكر، وهنا زاد (الحايف) من حركاته حتى دب الخوف في الرجلين وأوشكا على الانهيار.



العرفج شجيرة واسعة الانتشار في المملكة يصل طولها إلى أكثر من نصف متر، لها أزهار كثيفة صفراء اللون تظهر في الربيع والصيف ولكنها بلا رائحة، تتحمل الجفاف وقسوة المناخ، وترعاها المواشي. وجاء في اللسان (ونار العَرْفج تسميها العرب نار الزحفتين، لأن الذي يوقدها يزحف إليها، فإذا اتقدت زحف عنها). ويعرف البعض أن النمل يكثر تحت العرفج في الصيف ولهذا يفضل الابتعاد عنها

وعندما تأكد (الحايف) أن الاثنين تملكهما الرعب رمى العرفجة وخرج (عارياً) مطلقاً صيحات لادعاء أنه جني خرج من تحت سطح الأرض، ففر الاثنان طلباً للنجاة وتركا الجملين بما حملا والعشاء والقهوة وملابسهما المحمولة في الركائب غنيمة لهذا الذي تناولها وقاد الذلولين، واعترف بفعلته في أبيات منها:

رحت حايف يوم أنا راعي حيافة	وابعدوني القوم ما جبت الكسيبة
جاني الرجال في وسط المخافة	والتزمنا لزمة السو والعطيبة



واعتزيت وشلت نفسي بانحرافه
وانطلقت ورجلي انوت بالنكافة
والتجيت بجرف من فوقي مهافه
وعاضني ربي باهل هجن هدافه
شافوا القشعة بغوا فيها ًسلافة
وارتكى واحد على القشعة خلافه
ثم تحرك عرقها واونس خفافه
ثم رميت العرفجة مثل الحذافة
العشا خلوه واخذته خطافه

اطلب المخراج واترك له نصيبه
ولا غمضني كود ثوبي يكتسي به
بوسط دهلوس عن البرد التجي به
في نصيف اللّيل والديرة رهيبة
عن لهيب البرد والطرقة تعيبة
والتمست العرفجه عنده بريبة
واهتقى ان العرفجة ما هي قطيبه
لين هجوا مثل صيد شاف ريبه
والركاب وقشهن جتّني كسيبه





القَشَعة وجمعها القشَع كلمة عامية أشبه بمصطلَح يستخدم في كثير من مناطق المملكة خاصة في البادية، ويقصد به الشجيرات (غير الحولية) التي تكون ذات أغصان مرتفعة عن سطح الأرض بنحو متر أو أقل، وتيبس إذا انقطع عنها المطر ويمكن احتطابها واتخاذها وقوداً مثل الرمث والعرفج والأرطى وغيرها. وفي بعض مناطق المملكة يقال (المشع) وليس (القشع). والدهلوس كلمة عامية يقصد بها الجحر

حايف مع أبو خوذه

ثمة حادثة جاءت في المصادر الشعبية (لحايف) وقع بين يدي عبدالكريم الجربا (توفي عام ١٢٨٥هـ) أحـد شيوخ قبيلة شمـر، وكان عبدالكريم معروفاً بكرمه حتى أنه لُقب بـ (أبـو خُوذُه)، فقد عُرف عنه أنه يجيـب بكلمة (خـوذوه: أي خذه) لكل من طلبه شيئـاً مما يملكه. وتتلخص تلك الحادثـة بأن عبدالكريم الجربـا أمسـك ذات ليلـة بـ(حايف) همّ بسرقة إبلـه، فطلب منه أن يريه كيف (يحـوف) الناقة، فخاف (الحايـف) ظناً منه أن عبدالكـريم سيقتله بالجرم المشهود، لكنه أعطاه الأمـان. وبدأ (الحايف) يطبق عملياً حيافته (سرقته) بخفة حتى ابتعد بالناقة قليلا وأوثق عقالها، ثم طلب منه عبدالكريم أن (يحوف) ناقـة أخـرى، ففعل مثلمـا فعل بالناقـة الأولى، ثم طلب منه الجربـا أن يريه كيف يحـوف الجمل، ففعل. فضحك (أبو خوذوه) وقال له: أهرب بالناقتين والجمل قبل أن يراك صاحب الإبل ويقتلك.

وتذكر المصادر التي وثّقت الحادثة أن أمّ عبدالكريم الجربا كانت تراقب ما حدث، ولامت ابنها بعد أن هـرب (الحايف) بالجمل والناقتين قائلة: كان يكفي (الحايـف) عفوك عنه لا أن تعطيه. فكان رده: لماذا إذن اسمي (عبدالكريم)!



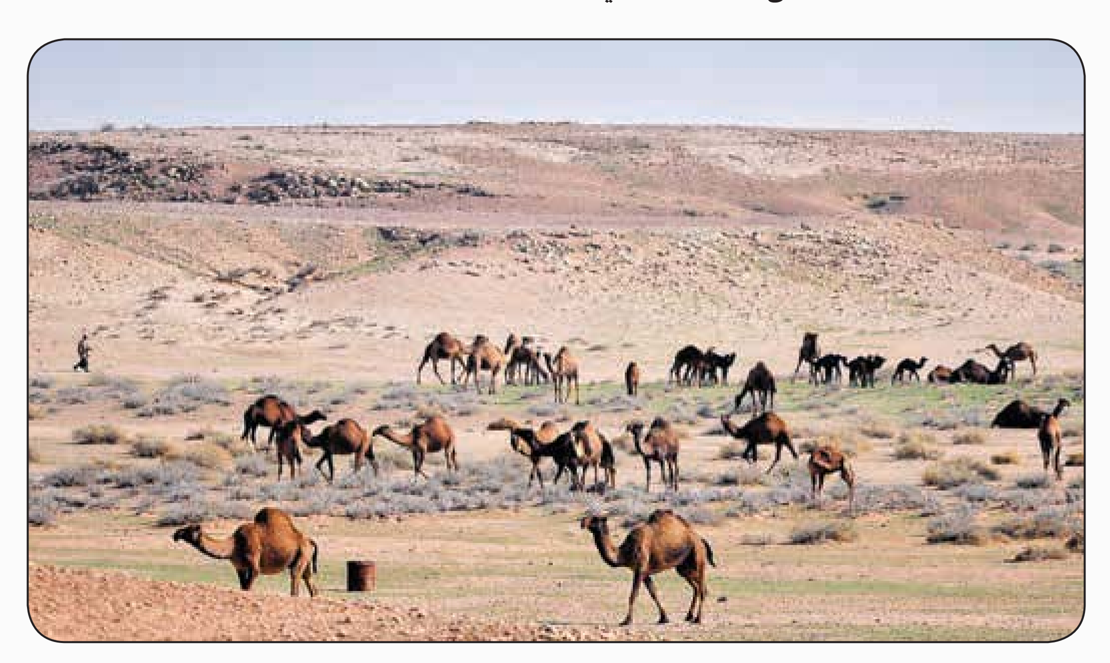
المعـروف (في الفصحـى والعاميـة) أن الناقـة هي الأنثى من الإبل، وأن الجمل هو الذكر، وأن الإبل اسـم يدل على الجنس ذكوراً أو إناث. وفي مصـادر اللغة العربية يقال للجمل بَعير وللناقة بَعير، ويقصـد بالبعير أيضـا الحمار. وإذا نطقـت (بِعـير) بالكسـر فهي فصـيحة حيث قال ابن منظور صـاحب لسـان العرب (بنو تميـم يقولون بِعير، بكسر الباء، وسَائر العرب يقولون بَعير، وهو أفصح اللغتين)

وبعـد هـذه القصة عزيـزي القارئ إليك مـا قاله الشاعر عبدالكـريم بن يوسف اليوسـف على لسان الحايف:

جينـا علـى خلسـه نحـوف النياقي　　　والخوف بقلوب الرجاجيل له شـان
حفنـا علـى شـيخ بـه الطيـب باقـي　　　جاني شـجاع القوم هو طير حوران
وحسـيت بالخيفـة وتكسـير سـاقي　　　قام وطلبني مشـهد الحوف باعيان
قلـت الامـان وقـال مـا بـه عياقـي　　　عجـل قبل يـدرون ربعـي والاخوان

وقال الشاعر ثامر بن عبدالله الماضي على لسان أبو خوذُه:

يـا الحايف اسـمع كان تبغى فراقي　　　كانـك تطيع الشـور تسـمع بالاذان
لا مـا تـروّح لا علـيّ الطلاقـي　　　الا ان تحـوف النوق عندي بالاتقان
لـك الامـان وهـاك عهـد وثاقـي　　　لا مـا يجيـك الموت وخـلاّق الاكوان
والا قضـيت اسـرع بهـن لا تعاقـي　　　يجيـك صـاحبهن معـه زود رعيـان



لقطة غليص

أمـا قصــة غليص فهي قديمة حدثت لرجل وزوجته، كانا يسيران في الصحراء في شأن لهما، وصادف أن شاهـدت الزوجة رجلاً مصاباً بين الحياة والموت ملقى وسط أشلاء آدمية وبقايا ثياب ممزقة متناثرة حولـه فلفتـت انتباه زوجهـا، وتبين أن الجثث كانت لمجموعــة أشخاص تعرضوا لضــرب مميت ثم أكلتهم جوارح الطير، وبقي هذا الرجل يصارع الموت عدة أيام ويقاوم الجوارح بحثو التراب عليها.

عطـف الزوجان على الرجل وقــررا المساعدة على إنقاذه من براثن المـوت والسباع والجوارح فحملاه معهمـا، وقامـا برعايته حتى شفـي، وأقام في منزلهما معـززاً مكرماً. وما زال يقيـم لديهما إلى أن غاب الزوج يوماً عن البيت فهمّ (الرجل المتعافي) بالمرأة فصدته وخلصت نفسها، ولما حضر زوجها أخبرته بما جرى فقرر الزوج إنقاذ حياة هذا اللئيم مرة أخرى وأخبر زوجته أنه سيعفو عنه وسيطلب منه في الصباح الباكـر أن يغـادر بسلام، فأصول الضيافة تمنعه من طـرد الرجل من بيته في ظلام الليل. وتوقع الزوج أن هذا (اللقيط) سيهرب من البيت قبل الصباح إن بقي فيه شيء من رجولة.

علـى الطـرف الآخر توقع هذا (اللئيم) أن الزوج سيقتله، فتسلـل (بمهارة الحايف) إلى حيث بندقية مضيفـه وأقـدم على قتل الزوج وسرقة ما في البيت. أما الزوجة فهربت مذعورة هائمة على وجهها إلى أن وصلـت لشيـخ قوم أخبرته بما جرى، فعرف من الأوصاف التي ذكرتهـا المرأة أنها تتحدث عن أحد أبنائه وهـو المدعـو (غليص) - وفقا لما ذكـره عبدالله بن خميس في (مـن القائل) - أو (غليـس) - حسبما جاء في (سلسلـة مـن آدابنا الشعبية) لمنديل الفهيد - وكان أبوه قد طرده بسبب نزعته لـ(الحيافة) والجريمة. ولم تكـن المـرأة وزوجها يعلمان عندما أنقذاه أنه تُرك عمداً بعـد أن تلقى ضرباً شديداً ممن قبضوا عليه في إحدى (حيافاته).

وقـرر الشيخ أن يرسل أبناءه لقتل أخيهـم واسترداد ممتلكات المرأة، وكان ذاك. ثم أقامت المرأة عند الشيـخ معـززة مكرمة لكنها فقدت زوجها بفعل هذا المجرم المدعو غليص الناكر لجميلهما. وراحت لقطة غليص مضرباً للمثل في الغدر وسوء العاقبة.

وقد قال أحد الشعراء في تلك القصة الأبيات التالية:

الطيـب مـا ينبـذر بالهيـس	يجـزاك بالعكـس بافعالـه
علـيّ وردت سـواة غليـس	باللـي مـن المعركـة شالـه
عقـب الجمايل ومره ابليس	جـازاه بالبـوق واغتالـه

إرشادات عامة في الرحلات البرية

بقلم معالي الفريق سعيد بن علي القحطاني
مدير الأمن العام

لدينا ولله الحمد في هذا الوطن مجموعة من العادات والتقاليد الموروثة عن الأباء والأجداد، ومن تلك العادات التي لم تتأثر بالتطورات الحديثة وزمن العولمة ما يعرف برحلات البر ورحلات الصيد البرية في الصحاري وأعالي الجبال. وهذه الهواية في عرفنا العربي تعتبر من التراث العربي الأصيل، فلم يدخلها الوهن والضعف رغم تعدُّد أنماط الحياة المعاصرة، وتنوُّع أشكال اللهو والترويح عن النفس فبقيت هذه الهواية محل اهتمام الكثيرين. ولأهمية هذه الهواية في حياة المجتمع فقد اهتمت حكومة مولاي خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين- حفظهما الله- بهذا الجانب انطلاقاً من أن هذه الهواية تسهم في بناء أساسيات الترويح عن حياة المواطن، وهذا الاهتمام المتوالي ساهم في انتهاج الكثير من الشركات المنتجة لتقديم أحدث وسائل الملاحة والتقنيات التي يمكن من خلالها - بعد توفيق الله - تجاوز الصعوبات التي قد تواجه محبي الرحلات البرية. وكما يعرف الجميع أن لكل هواية ميزاتها، وعلى النقيض لها مخاطرها وخاصة من أشخاص يقلّدون الآخرين دون دراية بالمخاطر المحدقة بهم، إلا أنني أتطلَّع أن يجيب هذا الكتاب- الذي خصّني مؤلفه مشكوراً بالمشاركة فيه- عن كثير من الاستفسارات التي يرغب فيها الباحثون عن المتعة في الأجواء الصحراوية البعيدة عن صخب المدينة وازدحام شوارعها والاستمتاع بالأجواء الطبيعية، ولعلني أشير إلى بعض النقاط التي يجب الأخذ بها عند القيام بالرحلات البرية:



إغراء جمال المكان ينبغي ألا يجعل التخييم في النقطة المنخفضة فيه، بل يجب نصب الخيمة في المكان المرتفع خاصة في مواسم هطول الأمطار

أولاً: التخييم عادة محبوبة للنفس ويتوارثها الأبناء عن الأباء في مجتمعنا العربي، وخاصة في موسم الربيع وموسم الأمطار، فيجب أن يكون ذلك في مكان مرتفع مع ضرورة الابتعاد عن مجاري السيول وبطون الأودية والشعاب.

ثانياً: أهمية اختيار الوقت المبكر لتحديد مكان هذا التخييم ومشاهدة الموقع سابقاً وتحديد الأنسب والاستعداد الجيد مع توافر وسائل السلامة.

ثالثاً: إن بدائل الاستمتاع بالأجواء الصحراوية يستلزم من الهواة ألا يبتعدوا كثيراً، فقد تحمل هذه الرحلة بعض المفاجآت إما بعطل المركبة أو تعرض الأفراد إلى أي طارئ، لا سمح الله.

رابعاً: البعد قدر الإمكان عن المواقع المخصصة للتدريبات العسكرية والمواقع الحدودية في ظل وجود بدائل كثيرة.

خامساً: إن حكومتنا الرشيدة قد خصصت أماكن معينة يمكن الوصول إليها بسهولة لهواة التخييم وزودتها بجوانب السلامة والأمن اللازمة؛ وتتمثل في المتنزهات الصحراوية المنتشرة في جميع مناطق المملكة.

سادساً: الوعي بثقافة التعايش في الأجواء الصحراوية مع ضرورة التزود بالمؤن والأغذية اللازمة وخاصة الماء الذي يكفي لمدة الرحلة.

سابعاً: أن نعمل على جعل الرحلة متعة حقيقية للترويح عن النفس لا تصل إلى حد إزعاج الآخرين أو التعدي على الأنظمة المقنّنة للصيد والحياة الفطرية. وبالله التوفيق



فيضة خريم (في فصل الربيع) واحدة من المتنزهات المعروفة التي يقصدها سكان المنطقة الوسطى، وفي كل منطقة يوجد فياض وخباري وأودية معروفة كمنتزهات برية ولهذا قلما تكون خالية من المتنزهين، وكلما كثرت الجماعة أصبحوا في مأمن لأن الذئب لا يبحث إلا عن القاصية



(الخوي)

رحلة مع ابن رخيّص



أُنتـدب أبـو فواز خلال شهر رمضان مع أحد زملائه في مهمة عمل تستغرق يومين إلى مدينة تبعد عن مقـر عمله في الرياض مسافة (٤٠٠كم). واتفق الزميـلان على الذهاب معاً مستقلـين سيارة أبي فواز. ولمـا كانـت الأجواء ربيعية فقد أعد أبو فواز العدة لتكون رحلة السفر ماتعة للاثنين، وفرصة لكسب صديق جديد خاصة أن العلاقة مع الزميل لا تتجاوز دائرة الوظيفة.

يقـول أبو فواز: قبل السفر اقترحتّ عليّ زوجتـي أن تعد لنا وجبة الإفطار وتغلفها وما علينا إلا فتحها وأكل مـا لذ وطاب عندما يحين أذان المغرب، رغم علمها برفضي السابق للاقتراح لأني تعوّدت أن أستمتع بتدبـر شئـوني الخاصة في رحلاتي البريـة بما في ذلك إعـداد الوجبات. ولم ألتفت لتنبيههـا بأن الزميل أو (خـوي الرحلـة) ليس مـن أصدقائي الذين يعرفـون طباعي ورغباتي، وتوقعـت أن (الخوي) سيحتفي بخدمتي له وسيجدها نوعاً من الكرم الخاص.

انطلقت ومعي (الخوي) في الموعد المتفق عليه وأخبرته بأن سيارتي مجهزة بكل المستلزمات والأدوات التـي نحتاجهـا، وستكـون أولى فقرات برنامـج الرحلة التوقف قبل مغيـب الشمس للراحـة وإعداد وجبة الإفطـار في روضـة غناء غير بعيدة عن الطريـق. وقبل أن أكمل تفاصيل البرنامـج قاطعني يطلب التوقف في أي مطعـم على الطريق، وحاولت إقناعـه بأن مستوى النظافة لهذا النوع من المطاعم سيىء إن لم تكن

الأطباق التي تقدمها محشوة بمسببات الأمراض ناهيك عن الزيوت الرديئة، فقال بنفس البرود ومتصنّعاً المداعبة: هي أفضل من (مطاريسك).

لبيت رغبته فتوقفنا في أفضل المطاعم السيئة، وأخذ مقعده، وبدأ يلتهم الأكل الذي طلبه كما لو أنه لم يرَ يدي النادل المتسختين وشعره الطويل المكشوف وأسراب الذباب التي تغطي السقف، أما أنا فاكتفيت بتمرة وقنينة ماء والتفرج على (الخوي) بانتظار الفرج.

بعد تأدية صلاة المغرب انطلقنا بالسيارة مسافة قصيرة ثم انحرفت باتجاه طريق صحراوي فسألني عما أفعل، فأخبرته أنني سأعدُّ وجبة العشاء،

> عُرف قديماً الاهتمام بما يسمى الثلاث البيض، وهي الضيف السارح والطنب السابح وخوي الجنب، فالضيف السارح هو الشخص الذي ينزل عند رجل ويأكل من طعامه، وإذا ذهبٍ (سرح) فإن مضيفه مسؤول عن حمايته، بل إنه هو الذي يأخذ بثأره (قديما) إذا غادر بعد ضيافته وقتل، والطنب السابح يقصد به الجار، أما خوي الجنب فهو المرافق في سفر ونحوه. وفي هؤلاء قال الشاعر مطلق الثبيتي (توفي عام ١٤١٦هـ):
>
> والثلاث البيض يا ولد الرجال ... خلها شانك على طول الليال
>
> الخوي والضيف والجار النزيل ... الثلاث البيض ما تبغى دليل

فقال: لا داعي للتوقف مرة أخرى مادمنا تناولنا الإفطار وكأنه لم يرني وقد اكتفيت بمشاهدته أثناء التهامه للأكل. ولما ألححت في طلبي ألقى عليّ محاضرة: كيف أننا نهدر الوقت ونقصّر في إنجاز العمل الذي كُلفنا به، ولهذا أقنعت نفسي على مضض بأن الشعور بشدة الجوع أمر عادي وأن التضحية في سبيل الإخلاص في العمل أهم حتى لو كنت أنا المتضرر!

إلى هنا والأمر لم ينته، إذ يقول أبو فواز: بعد إنجاز المهمة (الانتداب) وقبل أن ننطلق في طريق العودة احتطت فحملت عدداً من (الساندوتشات) أعددتها لتكون إفطاراً لي مادام هذا (الخوي) يفضل المطاعم على (المطاريس). والمفاجأة أنه اتهمني بالأنانية لما عرف أنني أحمل هذه الوجبة الخفيفة، وللمرة الثانية يلقي عليّ محاضرة لكنها هذه المرة عن الإيثار، ولا أعرف قيمة الإيثار الذي يتحدث عنه إذا قارنته بما جرى في رحلة الذهاب.

وإلى هنا والأمر شبه عادي حتى حدثت الطامة الكبرى بالنسبة لي إذ اعترضني في الطريق إطار سيارة ممزق لم أستطع تحاشيه فدهسته وسمعت صوتاً غريباً يصدر من أسفل السيارة، ثم توقفت واكتشفت أن الأطار التف على عمود الدوران، وعبثاً حاولت إخراجه أو قيادة السيارة من جديد. ومن حسن الحظ أن الحادثة كانت بالقرب من محطة وورشة لإصلاح السيارات فقلت (للخوي) ينبغي أن يذهب أحدنا إلى المحطة لاستدعاء ميكانيكي بينما ينتظر الآخر عند السيارة، وفضّل هو الاختيار الأخير. وماعلينا من هذا كله فقد كان الحلُّ بعد أن أحضرت الميكانيكي سحب السيارة إلى المحطة وعلينا الانتظار قرابة خمس ساعات حتى ينتهي الفني من إصلاح العطب.

وإلى هنا والأمر سيىء- كما يقول أبو فواز- والأسوأ منه أن (الخوي) اعتذر اعتذاراً مهيناً بالنسبة لي؛ حيث أوقف حافلة للنقل الجماعي مفيداً بأنه سيضطر إلى الذهاب حالاً كونه مرتبطاً بموعد عائلي مهم لا يحتمل بقاءه طوال الساعات الخمس.

وإلى هنا والأمر قبيح، والأقبح منه أنني تلقيت اتصالاً هاتفياً من (الخوي) في اليوم التالي لما وصلت الرياض يذكّرني بأنه نسي حقيبة ملابسه في سيارتي ويطلب إيصالها إلى منزله في أقرب فرصة!

ويسأل أبو فواز بعد هذا السرد، ماذا لو اعترضنا أمر أعظم وكنا بحاجة إلى موقف تتجلى فيه شهامة الرجال؟ وماذا لو أصابني خلال الرحلة عارض صحي، هل سيتركني (الخوي) في أحد المستوصفات ويتخلى عني؟

قلت لأبي فواز: يبدو أن صاحبك مثل (ابن رخيّص)، وعليك في المرات القادمة قبل أن (تخاوي) أحدهم أن تتأكد من أنه بمثل أخلاقيات (خالد العلي) أو (محمد الضلعان).

ومن هم الرخيص والعلي والضلعان؟

الإجابة في الصفحة التالية.

قال الشاعر خلف أبو زويد (توفي عام ١٣٦٤هـ):

خويك اللي بالخلا لك وكيلي	**لو زل عندك زلة لا تسايل**
واحذرك من رفقة خطاة الرذيلي	**ما ينبذر باللي يغط الجمايل**

(خوينا ما نصلبه بالمصاليب)

في رحلات وغزوات القبائل والجماعات في الجزيرة العربية كانوا قديماً عرضة للإصابة جرَّاء المناوشات والاقتتال مع غيرهم أو بسبب مرض أو عضة ثعبان ونحو ذلك، فيصاب الواحد منهم إصابة تعيقه عن مواصلة السير مع جماعته، ويعيقهم هو إذا تأوَّه و طلب الإسعاف والعلاج الذي لم يكن متيسراً. ولهذا فرضت قسوة التعايش مع الصحراء قديماً على أفراد المجموعة المرتحلة التعامل مع المصاب في الغالب بأحد خيارين:

الأول: تركه عند جماعة يجدونهم في طريقهم، أو تركه وحيداً يفترش الأرض ويلتحف السماء، على أمل أن يشفى ويلحق بجماعته فيما بعد أو تنقطع أخباره.

والآخر: حمله على ظهر ذلوله أو راحلة أخرى بواسطة ربطه على (الشـدَاد)، ويكون معهم في آخر القافلة.

وفي قصة وثّقت في أكثر من مصدر، ومنها كتاب (من القائل) للأديب عبدالله بن خميس، حيث قيل أن جماعة من أهل الرس، أو من أهل الزلفي، سافروا للحج وأثناء المسير انكسرت رجل أحدهم بسبب سقوطه من ظهر ذلوله، فرأى قائدهم ويدعى (ابن رخيص) أن بقاء الجماعة بجوار شخص واحد حتى يشفى فيه إجبار الغالبية على قرار في صالح فرد واحد، ولهذا سترحل القافلة وتترك المصاب لكن ابن رخيص وافق أخيراً على اقتراح غيره بأن يُنقل المصاب (يُصلب) على راحلته. وكان من بين أعضاء الرحلة شخص- قال ابن خميس أنه يدعى (خالد العلي)- رفض الحلّين وقرر أن يجلس بجوار صاحبه ليقوم على رعايته غير آبه بمغادرة الرفاق.



الشدَاد أداة مصنوعة من الخشب تستعمل للركوب على الإبل. وفي الجزيرة العربية هناك عدة أنواع من الشداد منها الجبلي، والجوفي، والعقيلي، والجبّاوي. وكل قطعة من الأجزاء المكونة للشداد لها اسم محدد، ومن هذه الأجزاء المصاليب وهي عُصي قوية تكون على جانبي الشداد إما أفقية أو متقاطعة حسب نوع الشداد والغرض من استخدامه. والاسم الفصيح للشداد هو الكور.

غادرت القافلة، وتولى (خالد) رعاية صاحبه وإطعامه من لحم الصيد، لأنه قرر كما قال:

أتنـى خويـي لـين يبدي بـه الطيب — والا فيجـري لـه مـن الـرب جـاري
ان كان مـا قمنـا بحـق المواجيـب — حـرم علينـا لابسـات الخـزاري

وبعـد أن تماثـل المصاب للشفاء ورأى (خالـد) أنه سيقوى على السير وتحمُّـل السفر قرر العودة ثم أوصلـه إلى أهلـه. وفي ذلـك قال هـذا الصاحب الشهم مخاطباً مـن كان يعارضه علـى البقاء مع (خوي الرحلة):

يـا بن رخيـص كب عنـك الزواريب — عمارنـا يـا بـن رخيـص عـواري
خوينـا مـا نصلبـه بالمصاليـب — ولا يشـتكي منـا الجفـا والعـزاري
لازم تجيـك أمـي بصـدره لواهيـب — تبكـي ومـن كـثر البـكا مـا تـداري
تسـألك باللـي يعلـم السـر والغيـب — عـن ابنهـا اللـي لـك خـوي مبـاري
قـل لـه قعـد في عاليـات المراقيـب — في قنـة مـا حولهـا إلا الحبـاري



تشـير القصـة إلى توافـر طرائـد الصيـد في عصـر الشـاعر، أما في الوقت الحالي فجميع طرائـد الصـيد انقرضت نهائيا بحالتها الفطرية أو أن بعضها يعيش في المملكة بأعداد محدودة مهددة بالانقراض

مـا سبـق هو خلاصة القصة، ولا يخرج ذلك عما جاء في الجزء الرابـع من كتاب (من شيم العرب)؛ تحـت عنـوان (لولا وجـود القصيدة لضاعت القصـة) ، لمؤلفه فهد المارك الذي قـال إنها حدثت في عام ١٢٨٠هـ على وجه التقريب لنفر من بلدة الرس أثناء عودتهم من الحج، والمصاب بالكسر اسمه جارد بن ذياب، وصاحبه اسمه (خالد العلي) وقائد الحملة اسمه صالح بن رخيّص.

وفي تعليقـه علـى الأبيـات السابقة التـي أوردها في كتابـه درر من الشعـر الشعبي قـال عبد الرحمن السويداء : إن نفراً ينتسبون إلى قبيلة شمر حدّثوه بهذه القصة ونسبوها إلى رجال من قبيلة شمر.

كما وردت القصة في كتاب شعراء من الرس لمؤلفه فهد بن منيع الرشيد مشابهة لما قاله ابن خميس والمارك إلا فيما قال الرشيد: إن القافلة توقفت في طريق العودة من الحج بين مكة المكرمة والقصيم عند جبل (بلغة) للبت في أمر مرافقهم الذي أصيب بمرض الجدري، وأن الصاحب الذي قرر البقاء لوحده مع المريض اسمه محمد بن منصور بن ريّس، ولما عادا إلى الرس سمي ابن ريّس بـ(أبا الضلعان) تكريماً لعمله البطولي، ولا تزال سلالته تعرف بهذا الاسم إلى اليوم.

وقد أفادني العميد المهندس عبدالعزيز بن علي الضلعان بإضافة فيقول: إن أفراد أسرة الضلعان يتناقلون حتى الوقت الحاضر تلك القصة ويعرفون أن المقصود فيها هو جدهم محمد بن منصور الريّس الوهبي التميمي الذي كان مقيماً في الرس ورافق قافلة لمجموعة من أهل (المذنب) للحج في أواخر القرن الثالث عشر، وأن المريض هو جارد بن ذياب الحربي الذي طلب العون من التميمي لأن جسده المصاب بمرض الجدري لن يقوى على تحمل الاحتكاك إذا صُلب على الراحلة، (وانتخاه بقوله: تكفى يا محمد لا يصلبوني وأنا حي)، ولهذا قرر التميمي أن يمكث بجوار صاحبه الحربي، ولم يلتفت لقائد الحملة وتحذيره من وحشة المكان وكثرة ما فيه من السباع واحتمال انتقال المرض إليه فيهلك الاثنان. وقال العميد الضلعان: إن أكبر أحفاد التميمي الأحياء (حالياً) هو محمد بن عبدالله بن منصور بن محمد بن منصور الريّس الوهبي التميمي (عم العميد عبدالعزيز)، كما أن معالي محافظ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني سابقاً الأستاذ محمد بن سليمان الضلعان ابن عم للحفيد محمد ابن عبدالله. ونشأت التسمية بالضلعان بعدما قيل لأم محمد الريّس التميمي - واسمها مزنة البريك- إن ابنها تُرك في مكان تحيط به الضلعان (جمع ضلع) ثم بدأ الأقرباء والجيران أثناء غياب الابن آنذاك؛ يسألون الأم بين فترة وأخرى (ما جاء محمد أبا الضلعان؟)، ولما عاد أُطلق عليه اللقب وصار يسمى فيما بعد محمد الضلعان.



الضلع هو الجبل الصغير. والقنة أيضاً تعني الجبل الصغير والنطق الفصيح هو القُنّة

قال عبيد العلي الرشيد (توفي عام ١٢٨٩هـ):

رفيقنا كنه بروس الشخانيب	في راس حد نايف ما يضامي
ورفيقنا ما نجدعه للقصاصيب	يجبر بنا لو مكسره بالعظامي
ورفيقنا لو هو من الجد بصليب	متعلق منا براس السنامي

نار الأعمى وسم الخوي المشلول

من طريف ما يروى في (الرفاقة أو الخوة) هذه قصة أشبه بمشاهد فِلْم كوميدي وثّقها الراوي منديل الفهيد (توفي عام ١٤٢٥هـ)، وقال إنه رواها عن واحد من شيوخ قبيلة عنزة هو فيصل بن ذعار الأيدأ.

وملخص هذه القصة أن جماعة فرّوا ذات ليلة لما عرفوا بقدوم غزاة طامعين سينقضّون عليهم في الصباح، وحملوا كل ممتلكاتهم ولم يبقَ أحد منهم سوى رجلين اثنين تُركا عمداً في (المَرَاح) لأنهما سيعوقان عملية الهرب؛ فأحدهما أعمى والآخر مشلول (محرّول)، ومثلهما لن يكون هدفاً للغزاة الباحثين عن (الكسب)، على أن يعود الجماعة إليهما بعد أن ينصرف الغزاة.



المُرَاح أو المرْح هو المكان الذي تبيت فيه الأغنام والماشية، وتتجمع فيه عادة مخلفاتها من الروث الذي يحتوي على الحبوب والبذور التي لم تهضم، ولذلك يكون هذا المكان هو أول ما ينبت بالأعشاب بعد هطول الأمطار فيصبح بقعة خضراء مميزة عن بقية الأرض التي لم يظهر فيها النبات، ومثل هذه البقع الخضراء تكون هدفا للصيادين الذين يبحثون عن بعض الطيور الصغيرة التي تتجمع فيها لتأكل من البذور خاصة في فصل الشتاء، لكن المراح في نفس الوقت لا يخلو من بيض ويرقات أنواع من الحشرات الضارة الناقلة للأمراض التي تتكاثر فيه، ولذلك لا يفضل التنزه بالقرب من المرح. والنطق الفصيح للكلمة بالضم وليس بتسكين المِيم أو كسرها، فقد جاء في لسان العرب: (المُراح، بالضم: الموضع الذي تَرُوح إليه الماشية أي تأوي إليه ليلاً، وأما بالفتح، فهو الموضع الذي يروح إليه القوم أو يَروحُون منه)

وفي صباح اليوم التالي تشاور الاثنان واتفقا على اللحاق بمن رحلوا أو هربوا وذلك بأن يقوم الأعمى بحمل (المحرول)، فالأول باستطاعته السير والثاني سيكون الموجه أو الدليل. وفي الطريق شاهد (المحرول) أرنباً فطلب من (حمال الأسية) أن يجلسه بجوار جحرها، ثم أمسك بها وجمع ما تهيأ له من حطب وأشعل ناراً كي يشويها، ولما نضجت اكتشف ثعباناً كان في وسط الحطب قد نضج معها فدفعه الجوع إلى الاستئثار بالأرنب بينما الأعمى يتلقى من يد (المحرول) قطعاً من اللحم المشوي ولا يدري أن (خويه) يقدم له لحم الثعبان.

ولأن الثعبان مثل معظم الزواحف غني بالشحم فقد كان في الدهن المتبقي في يدي الأعمى الشفاء- وفقاً لما تشير إليه رواية الفهيد- إذ ما إن دهن وجهه بهذا (الدسم الطيّب) حتى أبصر، وقال لصاحبه فرحاً إني أراك، فرد (الخوي) مستغلاً الموقف: هذا من الله ثم بسببي فقد جعلت من نصيبك الثعبان لكن الأعمى غضب من غدر صاحبه الذي أطعمه (لحماً مسموماً) سيؤدي إلى موته مادامت الثعابين سامّة، ونشبت بين الاثنين مشاجرة واندفع (الأعمى المبصر) إلى الانتقام فأشعل النار ثم حمل (خويه) وأسقطه عليها لكن تأثير حرارة النار على جسد (المحرول) أدت إلى نتيجة لم تكن في (خيال الاثنين) فانطلقت أعصاب المحرول- وفقاً لما ينقله الفهيد عن الايداء- ونهض ومشى ليعانق (الخوي)، ثم مضيا في السير للحاق بالجماعة!



تكمن خطورة بعض أنواع الثعابين التي تعيش في المملكة أن لديها غدداً تفرز سمّا قاتلاً إذا (حقنته في الشرايين) بواسطة عض جسد الضحية. كما أن بعض أنواع الثعابين غير سامّ نهائياً حتى لو عضت الإنسان، مثل (الثعبان الأنيق، والثعبان الأرقم، والثعبان الدساس، والثعبان الصخري)، ومنها أنواع سامّة يؤدي سمّها بعد تعرض الشخص لعضها (وحقن السم في الجسد) إلى الموت بعد التسبب في تدمير الجهاز العصبي، مثل (الثعبان الأسود الخبيث، والصل الأسود، والكوبرا العربية)، أو تدمير الجهاز الدموي، مثل (أم جنيب، وأفعى السجاد الشرقي، والأفعى النفاثة)، وهناك أنواع ضعيفة السمّية أقل خطورة من الأنواع السامّة بكثير (مثل ثعبان أبو العيون، والثعبان شبيه القط، وثعبان أبو السيور (الزاروق). وستشاهد فيما يلي أنواع الثعابين في المملكة

وقد ختم الفهيد هذه القصة الطريفة بأربعة أبيات منها:

جاك المحرول والعمى سالمين ... احد فتح واحد مشى عقب حروال

رحمهم اللي يرحم المسلمين ... يغني الفقير ويرفع الفقر بالمال

واليك عزيزي القارئ ما دار بين الصديقين الشاعرين عبدالكريم بن يوسف اليوسف وثامر بن عبدالله الماضي لما طلبت منهما نظم أربعة أبيات على لسان الأعمى و(المحرول)، فقال اليوسف على لسان الأعمى:

الربـع شـدو واتركونا نعـاني ... ضـرير عـين وصـاحبي زود علـه
عشت الهموم وعشـت قاسي زماني ... شـلـتك علـى متنـي وشـفـت المذله
اطيـع شــورك مـا تفـوه لسـاني ... نـفسـي اصـبـرها وهــي مسـتغله
مـن بعدها تنزل لفعل طماني ... وتمـد لـي سـم الثعابيـن كلـه

وقال الماضي على لسان المحرول:

يـا ذا العمـى وش بك علـي تهجاني ... سـم الافاعـي صـار لـك في محلّـه
وحسـبي عليـك النار جمـره كواني ... وعـروق رجلـي كـن شـي يتلّـه
ومـادام رجلـي وقفتنـي مـكاني ... وعيونـك اصبـح سمّها خيِّرة لـه
الحـق على ربعك تـرى العمر فاني ... نلحـق بهـم واللـي عقدهـا يحلّـه



أفعى السجاد الشرقي سامّة جداً. يهاجم سمّها الجهاز الدموي. يصل طولها إلى ٧٥ سم. تسمى في المملكة بأسماء محلية منها (الرقطا، والرقطة، وحديب الضميان)، وتوجد في المناطق الشمالية والشرقية والغربية والوسطى، وتكثر في المناطق الجبلية



الأفعى المقرنة سامَّة جداً. يهاجم سمّها الجهاز الدموي. يصل طولها إلى ٨٠ سم. تعرف بأسماء محلية مثل (أم جنيب، وأم قرين، والقرنا). وهي من أوسع الأفاعي انتشارا في المملكة ولهذا تحتل المرتبة الأولى في معدل العضات والتسبب في الوفيات في مناطق المملكة المختلفة، ويزيد من خطورتها اندماج لونها وشكلها مع التربة وقدرتها على التخفّي. ومما يميزها تحركها بطريقة جانبية ولهذا سميت أم جنيب



الأفعى النفَّاثة سامّة جداً. يهاجم سمّها الجهاز الدموي. يصل طولها إلى ٨٦ سم. وتوجد في مناطق المملكة الجنوبية الغربية، وتُعرف بأسماء محلية (النّوامة، أم شكوة، أم مشكى). وسميت النفاثة لأنها تنفث الهواء من جسمها وليس السم، وسميت بالنّوامة لأنها تستكين حول البرك والمستنقعات متربصة بالضفادع. وتكمن خطورتها في أنها تفرز كمية كبيرة من السم في العضة الواحدة تكفي لقتل الإنسان

(الخوي)

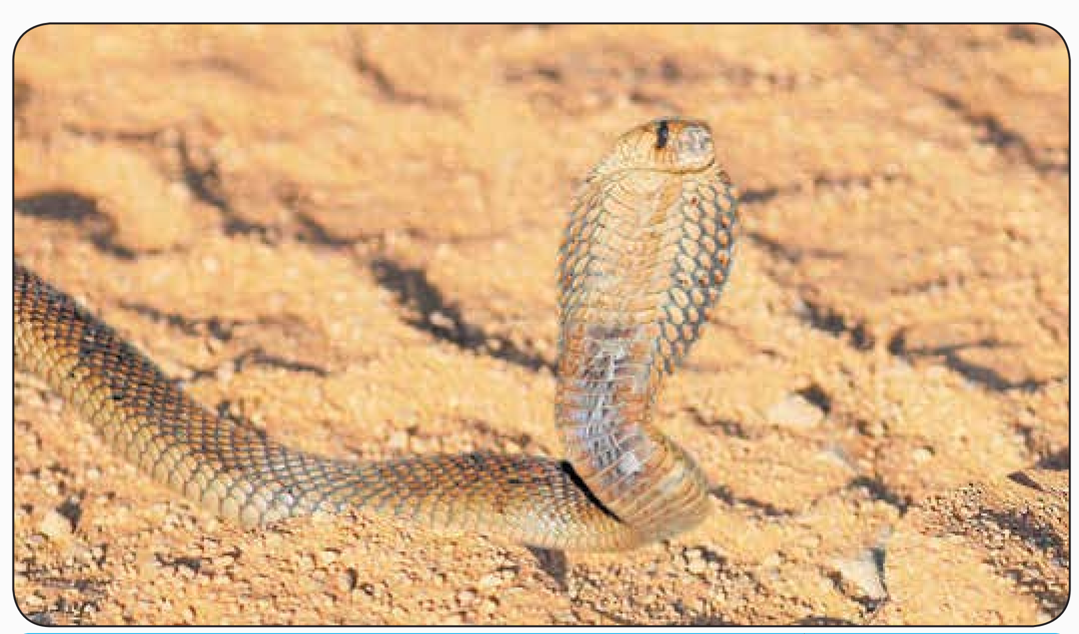


الثعبان الأسود الخبيث أخطر الثعابين الأرضية في المملكة على الإطلاق. يهاجم سمّه الجهاز العصبي. يصل طوله إلى ٨٠ سم. يعرف بأسماء محلية (البثن، الأسود، الأسودي) وهو أصغر في الحجم من الصل الأسود، ويوجد في المناطق الغربية من المملكة المحاذية للبحر الأحمر وفي المنطقة الجنوبية، وعُثر عليه في حائل والزلفي والدوادمي والدرعية. وتكمن خطورته على الإنسان في سرعته وكون أنيابه حرة الحركة في كل الاتجاهات، وبمقدوره إخراج أحد نابيه من جانب الرأس وغرسه في جسد الضحية بحركة سريعة. إذا تمكن هذا الثعبان من الإنسان فمصيره غالبا الموت.



الصلُّ الأسود سامّ جداً. يهاجم سمّه الجهاز العصبي. يتجاوز طوله المتر. يتميز عن الأسود الخبيث بكبر حجمه، وعرض عنقه نسبياً بينما لا يمكن تمييز العنق عن الجسم في الثعبان الأسود الخبيث. وتكمن خطورة الصل في شراسته ومهاجمته للإنسان من أقل حركة يأتي بها

(الخوي)



الكوبرا العربية سامة جداً. يهاجم سمّها الجهاز العصبي. يصل طولها إلى مترين. تتميز بقدرتها على نفخ رقبتها فتبدو أكبر من حجمها. توجد في المملكة في المرتفعات الجنوبية الغربية وفي المنطقة الواقعة جنوب المدينة المنورة وتكثر في المناطق الزراعية. وتستطيع الكوبرا السباحة ولذلك قد تشاهد في تجمعات المياه أو بالقرب منها



ثعبان أبو السيور يتميز بسرعة حركته، ولهذا يسمى في المملكة بـ(الزاروق). يصل طوله إلى ١٢٥سم. يعتقد الكثيرون أنه غير سامّ بينما تشير المصادر العلمية إلى أنه سامّ بدرجة ضعيفة لاتؤثر على الإنسان. ينتشر في معظم مناطق المملكة. يختلف عن أكثر الثعابين كونه نهاري المعيشة، ولا ينشط مثلها في الليل. وتفرّق المصادر بين نوعين هما أبو السيور الشجري(الصورة) وأبو السيور الصخري



ثعبان أبو العيون يصل طوله إلى متر ونصف. يعرف بأسماء أخرى منها الكوبرا الكاذبة لأنه يستطيع نفخ رقبته مثل الكوبرا، لكنه يتميز عنها بوجود بقعتين خلف العينين تبدوان كما لو أنهما عينان، ولهذا سمي أبو العيون، ويطلق عليه في بعض مناطق المملكة اسم (الحفّات). تصنفه المصادر العلمية ضمن الثعابين ضعيفة السمّية. ينتشر في معظم أنحاء المملكة، ويعيش في الأودية وفي المناطق الصحراوية التي توجد بها الأفعى المقرنة



الثعبان الأنيق صغير يصل طوله إلى نصف متر. غير سام. ويعيش في المنطقتين الوسطى والغربية من المملكة لكنه نادر الوجود



الثعبان شبيه القط سمي بهذا الاسم لشبه عينيه بأعين القطط. ضعيف السمّية. يصل طوله إلى متر تقريباً. يوجد في البيئات الصخرية في جبال السروات في غربي المملكة، وجبال طويق في وسطها، وجبال أجا وسلمى في شماليّها



الثعبان الأرقم. غير سام. يصل طوله إلى متر ونصف تقريباً. يميزه وجود بقع تشبه الأرقام؛ ولهذا سمي بالأرقم. يوجد في المملكة في المناطق الجنوبية والغربية والوسطى



الثعبان الدسَّاس (الدفان). يصل طوله إلى نصف متر تقريباً. ليس له أنياب وغير سام. يعتبر من الأنواع العاصرة التي تقتل فريستها بالالتفاف عليها وعصرها حتى تموت، لكنه لا يستطيع فعل ذلك إلا مع فرائس تناسب حجمه، مثل السحالي و القوارض الصغيرة. يوجد في المملكة في المناصق الرملية. ويسمى بالدفان أو الدساس لأنه يستطيع اختراق الرمال والغوص فيها ودفن جسمه



الثعبان الصخري نوع غير سام يصل طوله إلى ١٢٠ سم تقريباً. ويوجد بكثرة في المناطق الجنوبية الغربية من المملكة، وبشكل محدود في وسطها

ليلة الخوي المأكول

هـذه قصـة حقيقية قد لا يصدق حدوثها من يعيش منغمساً في المدنيـة والترف، وقد يرى الشخص -الـذي لم يقـع يوماً تحت وطأة شدة الجوع- أنها لا تخرج عن إطـار القصص الشعبية (السباحين). أنقل تفاصيلهـا عن سليمـان بن عبدالله حسن الخربوشـ (في العقد الرابع من العمـر)، وكان قد سمعها قبل عشرين سنة من أبيه. وكان الشخص الذي جرت له قد رواها للخربوش الأب.

ويُعتقـد أن هـذه الواقعـة حدثـت بعـد عـام (١٣٦٠هـ) أو قبلـه بسنـوات، ويُذكر عن الرجـل الذي وقعـت لـه - وهو من أبنـاء قبيلة اشتهرت قديمـاً بالإقامة في هضبة الصمان - أنهـم كانوا يسكنون قرية الأرطاويـة (٢٧٠كـم شمالي الرياض)، وقد تعاقبـت عليهم عدة سنوات انقطعت فيهـا الأمطار، وأصاب المنطقـة الجدب وهلكت الماشية وقل الطعام، وتضـوَّر النـاس جوعاً، فاقترح هذا الرجل على أحد أصحابه (وكلاهمـا في أول العشرينيات مـن العمر آنذاك) أن يذهبا للكويت لأنه سمع أن هناك تجارة وعملاً، وأن النـاس يتغـذون مجاناً من البحر ففيه سمك يؤكل كما يؤكل اللحـم، ووافقه صاحبه. ورآهما شاب لم يبلغ العشرين يستعدان للرحيل مشياً على الأقدام، وطلب أن يرافقهما، ورفض الاثنان في بداية الأمر وأخبراه أنهمـا لايملكان من الـزاد إلا القليل، وسيعتمدان خلال الأيام التي يقطعان فيهـا الرحلة إلى الكويت على التغذية بما يجدانه من حيوانات الصحـراء من الأرانب أو الجرابيع أو الضبان أو أي حيوانات أخرى، لكن الصغير ألحّ في الطلب فلم يجدا أمام هذا الإصرار إلا الموافقة.



يمكن أن يتغذى الإنسان (إذا أضطر) على بعض أنواع النباتات المأكولة لكن هناك أنواعاً من النباتات سامّة وخطيرة، منها ما يؤدي إلى الموت بعد أكلها بساعات، ومن هذه الأنواع تلك النباتات البرية التي تخرج منها عصارة لبنية مثل العشـر والغلقة (التي تعرف أيضـا بأسمـاء الغزالـة أو اللبينـة أو أم اللبن) والحرمل، والشـري (الحنظل) والخروع والداتورا، وفي الصورة واحدة من النباتات السامّة وهي شجرة الخروع التي توجد في المناطق الزراعية والأودية

بعـد ثلاثـة أيام أو تزيد قطع الثلاثة كثبان نفود الدهناء وكانوا قـد استهلكوا كل كمية الطعام القليلة التـي بحوزتهـم، ولم يتبقَ معهم سوى قربتـان فيهما كمية قليلة من الماء. ولما طـال المسير وأنهكهم الجوع بدأوا بالبحث عن الكائنات الحية في هذه الصحراء القاحلة، ولم يعثروا على شيء، وربما أنهكوا أجسادهم واستنفدوا طاقتهم في حفر الجحور.



الحرمل شجيرة دائمة الخضرة ويصل طولها إلى متر تقريباً، وتوجد في معظم أنحاء المملكة. ورغم استخدامها للأغراض الطبية، فمن الخطأ أكلها لأنها تحتوي على عصارة لبنية سامّة

شعـر الثلاثـة بعد عدة أيـام بدنو أجلهـم في ليلة أعياهم الجـوع والتعب، وأدرك الرفيـق الذي وافق صاحبـه على الذهـاب فداحة الخطأ في هذه المغامرة مما جعله يعتب عليـه ويلومه على سوء تدبيره الذي أدى إلى وقوعهـم في التهلكـة، وكان رد الرجـل أن همس في أذن رفيقه بقولـه: الحل عندي أن يموت واحد منـا، وسوف أعمد بعد أن ينـام رفيقنا (الشاب الصغير) إلى تذكيته وسنأكلـه بدلاً من أن نموت جميعاً، وتظاهـر صاحبه أنـه وافقه على هذا الرأي ولكنه طلب منه ألا يستعجل في تذكية الصغير، وأن ينتظر إلى صباح اليوم التالي.

وبقي الرفيق ساهراً يقلب الأمر وهو يرى الاثنين الصغير الذي سيكون الضحية (والخوي) الذي نوى قتله يغطان في النوم، وشعر بعدم استطاعته مقاومة قوة صاحبه الجسدية، وخشي أن يضعف أمام الجوع فيشاركـه في أكل لحـم بشري، ثم همس في أذن الصغير وأيقظه وأخبره بالشر الذي ينتظره وطلب منه أن ينفد بحياته قبل أن يستيقظ صاحبه ويقتله، فهرب الصغير مسرعاً.

ولما استيقظ الاثنان في الصباح عرف الرجل الذي يستعد للقتل أن وراء هروب الصغير تدبير صاحبه الذي وبخه على سوء نيته، وسأله مستنكراً (وشلون تفلت من عقاب رب العباد بيوم الحساب)، وزاد عليه:

أنا أهون عليّ أن أموت جوعاً ولا يذكر بين جماعتنا هذا الفعل الشنيع، مذكراً أن هذا الفعل لو تم فسيكون عاراً سيلحق بجماعتنا وقبيلتنا.

ثم واصل الاثنان رحلتهما وهما يشجعان بعضهما على السير وتحمل الجوع والإنهاك والتعب، وبعد ساعات شاهدا قطعة قماش يحركها الهواء وتوقعا أنهما سيجدان فيها أو تحتها ما يأكلانه، ولما وصلا إليها اكتشفا أنها بقايا ملابس صاحبهما الصغير وقد مُزقت وعليها بقايا الدم وحولها أثر قطيع من الذئاب التي لم تُبقِ حتى العظام.

خاف الاثنان من هول المنظر ومفارقة القدر، ثم ابتعدا قليلاً وجلسا وفي تقديرهما أنهما سيهلكان جوعاً أو بالتعرض لهجوم الذئاب هذه الليلة ولن يستطيعا المقاومة.

شعر الرجل الذي كان يرى أن قتل الصغير وأكله هو الحل مع اقتراب لحظات الموت بفداحة ما كان سيرتكبه، وقال: (الحمدلله إني افتكيت من دم الرجال بيوم الحساب)، وكان يردد هذه العبارة وقد داهمته غيبوبة قبل غروب شمس ذلك اليوم، أما الآخر فقد بلغ به الأمر أنه لا يقوي على الحركة، فأيقن أنهما سيكونان طعاماً للذئاب لا محالة.

وبينما الرجل يهذي في غيبوبته بعبارته (الحمدلله إني افتكيت من دم الرجال بيوم الحساب) رأى الآخر قافلة من ثلاثة ركائب مقبلة عليهما، ومرت بجوارهما وتوقفت عندهما وتلقيا من أصحابها المساعدة والطعام بعد أن صارحاهم بالحقيقة، وشاهدا واحداً من أصحاب القافلة يجمع ما بقي من دم وملابس الصغير، وما تبقى من جسده ثم دفنه. وفي اليوم التالي أردف أصحاب القافلة الاثنين في الركائب حتى الوصول إلى الكويت.

بقي أن تعرف عزيزي القارئ أن هذا الرجل الذي ذكرت عنه الحادثة بقي طوال حياته يردد مقولته: (الحمد لله إني افتكيت من دم الرجال يوم الحساب)، وأن الخربوش الأب والاثنين توفوا يرحمهم الله.

وحول هذه القصة قال الشاعر عبدالكريم بن يوسف اليوسف على لسان هذا الرجل الذي أضمر قتل صاحبه:

البارحة شفنا الغثى بالمساري	وسط النفود وهم طول المشاوير
ارض خلا ما به طيور وحباري	ومن جوعنا ما عاد نقوى على السير
وفكرت تفكير السباع الضواري	اللي اليا جاعت تدور المداوير
نويت ابذبح صاحبي بالصحاري	والصبح ربي فرجه بالتدابير

أما الشاعر ثامر بن عبدالله الماضي فقال على لسان الصاحب المرافق الذي صرح للصغير بالغدر الذي ينتظره:

ثلاثة الركبان فوق البكاري	جونا مثل حلم يسوق التباشير
والحمد لله يوم شفنا الدياري	عقب العسر ربّي جعلها تياسير
والله يرحم صاحب لك مباري	ودّك على ذبحه وهو نايم تغير
علّمته وروّح بليل الغداري	يبغى السلامة لكن الذيب شرير

صداقة في الصحراء

وحول الصداقة والوفاء تلك قصة لاثنين نشأت بينهما صداقة نقية في قلب الصحراء، هما راضي وعيد، أرويها عن ابن أحدهما؛ وهو اللواء عبدالعزيز بن راضي الراضي.

راضي بن عبدالرحمن الراضي شاعر من أهالي قصيبا بشمال القصيم (توفي عام ١٤٢٦هـ)، نشأ متعلماً بالكتاتيب في مدينة بريدة التي لم يتوافر لأبناء جيله مدارس أفضل منها. وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره عام ١٣٥٦ هـ سافر إلى الرياض باحثاً عن عمل، وفيها ساقته الظروف إلى التعرف على عيد بن مفلح الخياري الذي أشار عليه أن يسافرا معاً إلى العراق لعلهما يجدان عملاً يتكسبان منه فوافق راضي.

كانت الرحلة إلى الزبير على جمل واحد تشاركا في شرائه. وتعمقت خلال هذه الرحلة صداقة الراضي والخياري خاصة أن ظروفاً مشتركة جمعت الاثنين، إذ لم يسبق لهما السفر من قبل، وليس لديهما المعرفة الكافية بطبيعة الطريق، فضلاً عن أن الطرق لم تكن آمنة مما أضطرهما إلى السير ليلاً والاختفاء نهاراً.



معاناة الاثنين وتحملهما مصاعب قطع المسافات الطويلة واجتياز الكثبان الرملية، ستجدها ذكريات لم تمحُها أربعون سنة من فراقهما قبل وفاتهما يرحمهما الله

وصل الراضي والخياري إلى الزبير، وبعد قضاء فترة من الزمن لم يطب لهما المقام فقصدا الكويت للبحث عن عمل. ومن الكويت اختار الراضي أن تمتد رحلته مع العقيلات، وفضّل الخياري الإقامة في الكويت، وافترق الصديقان عن بعضهما وهما لايعلمان أين سيكون المستقر والإقامة ولا كيف سيلتقيان مرة أخرى.

اشتغل راضي مع العقيلات وتحسنت أوضاعة فامتهن التجارة في العراق والأردن وفلسطين وسوريا ومصر. وبعد خمسة أعوام قضاها في الترحال بعيداً عن الوطن عاد إلى بلدته قصيبا، فصدر قرار بتعيينه أميرا لها آنذاك.

رغم مشاغل مهمته الجديدة لم ينس الراضي صديقه الخياري، وظل يتقصى ويبحث عنه، ولم يكن يعرف سوى أنه مقيم في الكويت، وهذه معلومة لم تكن كافية للعثورعليه. وفي الجانب الآخر كان الخياري يبحث عن صديقه الذي انقطعت أخباره منذ أن التحق بقوافل العقيلات.

وبعد أربعين عاماً من افتراق الصديقين، حمل البريد ذات يوم إلى قصيبا رسالة من الكويت تضمنت قصيدة من الشاعر عيد الخياري الذي نجح بعد هذه المدة الطويلة في معرفة مكان راضي، فقال:

بديت ذكر اللي ينشي سحابه	خلاق شمس جارية شرق وغروب
وقال الذي زين المثايل بدا به	بالجو طرش له جواب بمكتوب
سلام يا مير عذي شرابه	عذب عذي مابه من الشين عذروب
وقت نحاني والزمان انتحا به	هو راح في صوب وأنا رحت في صوب

إلى أن يقول متذكراً وواصفاً رحلتهما من الرياض إلى العراق وكيف قطعاها:

يروع الطرقي تطارد سرابه	شمس كلتنا والهوا صار لاهوب
الليل نسريه ونهاره نهابه	ياما قطعنا ديرة النفد وصلوب
وياما قطعنا من ديار مهابة	على النعت ما عندنا فهم لدروب
ومخرامنا فوق الحفر واللهابة	أنا الدليلة والخوي ماهو مرعوب



في مصادر اللغة العربية يُقصد بالمَخْرم الثَّنيَّةُ بين الجبلين، والطريق في الجبل أو الرمل. وجمع مخرم مخَارِم. وفي العامية يقال (الخرايم)، ويقصد الطرقَ بمتاهات الصحراء. وقال شليويح العطاوي (توفي عام ١٢٩٥هـ):

يا جاهل عني تراني شليويح — قلبي على قطع الخرايم عزومي

فرح الراضي بهذه الرسالة (القصيدة) من صديقه الخياري فردّ في الحال ممنياً نفسه بأن يلتقيا في القريب العاجل، ومما قال:

حـي الجـواب وحـي شـخص لفا به	ترحيبة المشـفق على شوف محبوب
زود علـى لطـف النبـا والحبابـة	حشـمة خويه غاية الكيف باسلوب

ثم يتذكر الراضي قسوة الرحلة من الرياض إلى العراق فيقول:

الماء نشاح وقل باقي زهابه	والجـو نار ومعظم الوقت به شـوب

إلى أن يقول:

ومـن عقبكـم مريـت مـع كل غابة	لين اسـتقر الحـال والوقت تجروب
الـدور ذاك اكـدار غـير امتشـابه	مع وقتنا الحاضر به الخير مكسوب
وحقـي عليـك وطالبـك بـه طلابه	انك تـزورن باقـرب الوقـت منبوب
ويـالله عسـى لي دعـوة مستجابه	نشوف ابن مفلح على الجيب مركوب

وتبودلت بعد ذلك الزيارات والمراسلات بين الصديقين الشاعرين، ومما يشير لصداقتهما النقية قول الراضي في الخياري:

مـا هو مـن اللـي كل قولـه هرابيد	اللـي عـن الطولات يقصـر معشـاه
عيد الخـوي باوقات خلـف المواعيد	يـوم الليـال الدمـس ما تاه ممشـاه

ومما قاله الخياري بعد أن عاد يوماً راضي المريض:

ضـيق يضـك وبالضـمير انحشـاره	من شوفتي راضـي دريكن ومرضان
مـا غير أنـا لحـالي بوسـط الغمارة	ما حرزت اسوق ومحجر العين غرقان

وبقي الصديقان وفيين لبعضهما حتى توفيا يرحمهما الله.

ومـن قصائـد راضي – التي يرويها ابنه اللـواء عبدالعزيز الراضي – تلك التـي نظمها وكان يقضي رحلـة عـلاج في لندن عام ١٣٩٩ هــ، وقد رافقه فيها أحـد أقاربه هناك. ولما شاهـد الشخص المرافق أن راضـي أنهكه المرض أخذه في جولات سياحيـة ليريه مباهج الطبيعة في لندن، وليروِّح بها عن نفس راضي المريض ويخفف من معانـاة بعده عن الأهل والوطن، ولكن ابن الصحراء بقـي محباً لطبيعتها ووفياً لها، فيقول راضي:

شـفنا الديـار اللـي تراكم ضبابه	طـول السـنة ما كـف عنهـا مطرها
ليـت الغمـام اللـي تراكم سـحابه	ينسـاب لديـار تعـزك ديرهـا
الى اخضـرت وديانهـا مـع هضابه	مـا احـلا نباتـه لا تخالـف زهرها
ياما حـلا الوقـدات زيـن التهابه	رمث وغضا كـن الجواهـر جمرها
في سـهلة قفـر مـن الناس مـا بـه	كـود الحبـاري دوجـن بمحجرهـا
مـا لي بلنـدن شـف لـو هـي طرابة	ودي بربعـي والنشـاما سـفرها



الرمث، والغضا بعد احتطابه (أعلى) نباتان يعتبران بعد الأرطى (أسفل) من أكثر الأشجار التي يستفاد منها في المناطق الصحراوية في المملكة لغرض استخدامها كوقود في السابق، وتستخدم مؤخراً حطباً للتدفئة. وقد ساهمت مشاريع شق الطرق خاصة في الدهناء والنفود الكبير في تسهيل عمليات احتطاب الأشجار وبيعها. ومثلما تنقرض الحيوانات تنقرض أيضاً النباتات، وقد سُجل في المملكة وفقاً لإحصائيات نشرت عام ٢٠٠٤م أن هناك (١٠٠) نوع من النباتات مهددة بالانقراض و (٤٠٠) نوع أصبحت قليلة الانتشار



الخوي

بقلم الشاعر والإعلامي / علي بن عبدالله المفضي

للطريـق وحشة وثقل وللسفـر وعثاء ولذا قيل عن الزوجة أنها رفيقة الـدرب. ورفاق الدروب متنوعون فمنهـم مـن يضيف إلى العنـاء عناء أكبر وتحس معه بثقـل الزمن وكسل الدقائق وترهـل الوقت والضيق والضجـر، وربمـا تمنيت أن الصمت كان رفيقك تتمتع بفضاء الوحدة بـدلاً من اختناقك بوجود هو أقرب إلى العدم.



وكـم تعجبنـي عبارة مـن أظن أنه تعب كثـيراً إلى أن وصل إلى (ليست الوحـدة أن تكون وحدك ولكن الوحـدة ألا تجد من يفهمك) أوعبـارة الكاتبة غادة السمان (أن تكون معي وأكون معك ولا نكون معاً ذلك هو الفراق).

قال الشاعر سليمان بن شريم (توفي عام ١٣٦٣هـ):

ان كان منتب مصافيني على الشدة وقـت الرخـا واجـدٍ ربعـي وخلاني

(والخـوة) لها طقوس ومبـاديء ترتكز على سمو الخلـق والتعامل الراقي وتقاسـم النشوة والانكسار والشراكة في الكثير من الأشياء، وربما فضّل بعض ممن وصلت إلينا أخبارهم (خويه) على نفسه. وقصة (نويشي الحربي) لم يضرب المثل بها عبثاً بل لكونها تمثل علامة فارقة في الدفاع عن العهد، وإن لم يبرم بالكتابة والشهود، حيث انتقم لقتل (خويه) بستة من بني قومه، وكان يريد أن يستمر لولا وسطاء الخير.

وقصص (الخوة) هي نماذج مضيئة من الإيثاروإنكار الذات تتجلى بها الطبائع الإنسانية الأصيلة من الوفـاء والكرم والمروءة، وقـد درج الناس على أن (الخوي) هو رفيق الطريـق، ولأن كل الحياة طرق منها



المعنــوي ومنهــا الحسي فقد نعتبر أن الجار والصديق لهما من الحقــوق ما لـ(الخوي). وقد عرف التاريخ مــن قصص الوفــاء ما لا يمكن حصره حتى أن المثل درج على الإشــادة بـ(السموأل) حين يقال عمن يبلغ القمة في الوفاء (أوفى من السموأل).

وهنــاك قصص عن (خوة) الذئاب للإنسان وكيف أن الحيوان ربما كان به شيء من الوفاء لـ(خويه) حتى أن علي بن الجهم حينما أراد أن يمدح لم يجد للتدليل والبلاغة في المدح لمدوحه إلا أن يقول:

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب

وهنــاك من ارتبط اسمه بالذئاب، ومنهم من يسمى بـ(معشي الذيب) وهو مكازي بن دغيم الشمري؛ حيث قام بربط خروف لذئب جائع حينما علم أنه مسنّ لايستطيع الهجوم على الماشية، وقد اشتهر بذلك حتى أن أحد أبنائه حينما شاهد ذئبا تمثل قائلاً:

ياذيب مانستاهله منك ياذيب — افعالنا ياذيب نبي الجزا به
ابوي عشا ابوك بالوقت ياذيب — في ليلة غدرا مظل السحابه
يوم العفون مطولين المشاعيب — وكل يصيح ويستدين كلابه

أتمنى أن اكون قد وفقت بالحديث عن (الخوي) بما يتوافق مع أهداف الكتاب متمنياً للكاتب الأستاذ محمد اليوسفي التوفيق والنجاح؛ وهو بما أعرفه عنه أهل لذلك.



طيور البر

- (دايم يغر الناس كبر الجهامة)
- طير بر.. وطير عُشَر
- طير شلوى
- طير حوران، طير سنجار، طير غيمار، طير السعد، طير الفلاح، طير الهداد، القطامي
- طير ابن برمان
- طيور العشا
- الحُمّرَة والصعيوي (هذا زمان من تواليه أنا ذال)
- محيرّ بيض النعام: معركة بين سبع قبائل بسبب بيض حباري
- الرخمة

(دايم يغر الناس كبر الجهامة)



من المعتاد أن يكون لهاوي الرحلات البرية مجموعة من الأصدقاء يشاركونه الهواية أو الاهتمام فيما يعـرف لدى بعضهم بـ(شلة الكشتات)، ومثل هؤلاء تجدهم مجموعة يسود بينهم الانسجام. ولا تخلو هذه (الشلة) أو تلك من أن ينضم لهم بين وقت وآخر عضو جديد فيصبح واحداً منهم.

هـذا مبتـدأ حديث أبي فواز الـذي أضاف قائلا: إن (شلة الكشتات) الذيـن أسعد في الانتظام معهم في رحلاتهم البرية خلال إجازة نهاية الأسبوع، يجمعهم رابط أنهم (فطموا على الشيح والقيصوم)، ولو فاتت أيام المربعانية ولم (يكشتوا) لانزعج الواحد منهم، ومن غير المستبعد أن تجده – تحت وطأة إدمان التعلـق بالرحـلات البريـة – قد حط رحالـه وحيداً في أيام الأسبـوع بطرف وادٍ أو روضـة ليوقد ناره بين الأعشاب ويضع عليها دلة القهوة ويراقب الطيور ويتأمل في ملكوت الله.

وقد حدث في صيف فائت خلال اجتماعاتنا في استراحة بشرق مدينة الرياض أن انتظم ضيف جديد مـع (الشلـة) يلقب بأبي حمد، يبدو لمـن يتعرف عليه للمرة الأولى أنه يتحلـى بصفات (الرجل الجهبذ)، ففـي حواراتـه يصفف الكلام بأسلوب يضفي عليه هالة وحجة، فـلا تتجرأ في التمادي معه بالنقاش حول رأي يتبنـاه أو فكرة ناهيك عن معارضته، ولو كان الحديث عن أنظمة تحديد المواقع وأجهزتها فلن يباريه محترفـو تصميـم الخرائط الرقمية، ليس لأنه عـارف بها أو متقن لبرامجها، كلا وألـف حاشا أن يشغل

تفكيره بهذه النتف البسيطة، إذ إن لديه نظام تحديد مواقع – كما يؤكد باستمرار – خاص به اكتسبه كما يقول من خبرته في الطرق والدروب والمسالك البرية مع تبحُّره بعلم الفلك، ولهذا فهو يترك علم الخرائط لمن هم أقل منه معرفة وخبرة، فليس هناك داع مادام أنه عرف أرض الجزيرة (حصاة بوسط شغية)، ويسخر باستمرار إذا سمع قصصاً عن أشخاص تاهوا في الصحراء. ولكي تعرف بعضاً من سيرة (أبي حمد الجهبذ)، إليك قصة إنقاذ أصحابه عندما تاهوا ذات رحلة برية:

(فحسب رواية أبي حمد): كنت نائماً في السيارة أثناء عودتي مع أصدقائي في رحلة برية، وأيقظني أحدهم طالباً العون عندما تاهوا عن الطريق، فلما كان الوقت ليلاً والسماء ملبدة بالغيوم بحيث لا تُرى النجوم ليستدل بها، ترجلت من السيارة وجمعت كمية من التراب بيدي وفركتها فعرفت بخبرتي الأرض وطبيعتها، ووجهت أصحابي الوجهة الصحيحة وعدت لأواصل نومي بالسيارة، وبعد أن وصلوا المدينة أيقظوني مرة أخرى ليشكروني، فقلت لهم – والحديث ما زال رواية عن أبي حمد – إن الأمر لا يحتاج إلى شكر (وحب خشوم) فهذه مواهب يؤتيها الله عباده، ولن أجحد عنكم علمي وما وهبني الله من دراية وفطنة.

باختصار – كما يؤكد أبو فواز – مهما أوتيت من معرفة وخبرة فلن تستطيع أن تباري (الخبير البري). ويمضي أبو فواز قائلا: في أول المربعانية، وكنا في منتصف الأسبوع تلقيت اتصالاً طارئاً من كبير (الشلة) الصديق (أبو لطيفة)، يطلبني وبقية الأصدقاء لاجتماع عاجل، ولما اكتمل حضورنا بادرنا قائلا: يا جماعة (الذيب بالقليب!)، فقد هاتفني اليوم الخبير أبو حمد واقترح أن نذهب في رحلة برية طويلة تتطلب أن يتقدم كل واحد منا بطلب إجازة إضطرارية من الوظيفة والزوجة والأبناء لنمضيها في البر والقنص. فقلت للخبير: أنت تأمر، ونعدك برحلة لروضة التنهاة والدهناء لأن مقامك عندنا كبير بكبر مساحتها ولم يؤيدني الخبير لكنه لم يعترض.

واستمر ذلك الاجتماع برئاسة أبو لطيفة إلى قرب صلاة الفجر، وتمخض عن القرارات التالية:

١- من الأنسب أن نقصد مكاناً مختلفاً في الطبيعة والتضاريس، وستكون روضة حسناء في الصمان مكاناً لرحلتنا، إذ من المتوقع أن أبا حمد من كبار هواة الصيد، ولهذه الروضة ذكريات ووقع خاص في نفوسهم.

٢- يسبقنا أصغر اثنين من (الشلة) في الذهاب يوم الثلاثاء لتجهيز المكان هناك على ألا يحملوا الخيام مثل كل مرة، بل يستأجرون بيت شعر ويبحثون عن عمال أو خبراء في نصبه وشده حتى لا نكون عرضة لسخرية هذا الصديق الجديد.

٣- نرحل مع الخبير يوم الأربعاء لروضة حسناء على أن يستقل السيارة الثانية، أما السيارة الأولى فتتقدمنا مع الحرص على إخفاء ما يشير إلى استخدامنا لأجهزة تحديد المواقع (الماجلان) في رحلتنا.

٤- يتم إخفاء أجهزة الاتصال اللاسلكي وملحقاتها. وعلى من يرغب أن يتسلى باستخدام هذه الأجهزة أو يستمع لأخبار الأمطار والصيد أو قنوات الشعر والألغاز المعتاد استخدامها من هواة الرحلات أن يبتعد فلا يكون بحضرة الخبير؛ حتى لا يسمع ألفاظاً طائشة ممن يستخدمون تلك الأجهزة بلا ضوابط.

٥- تـوزع المهـام بـكل دقة ويكون أمـير الرحلة أبو لطيفـة، ولن نتوانـى ﰲ معاقبة من يرتكـب هفوة أمام الخبير.



فيضـة التنهـاة يميزهـا كثافة أشـجار الطلح وقربها مـن أطراف كثبان الدهناء. وتشـاهد الرمـال الذهبية خلف الأشجار ﰲ هذه الصورة



فيضة حسناء من أشهر وأكبر فياض الصمان يحيط بها تلال وحزوم صخرية وتتميز بكثافة أشجار السدر لكنها أصغر مساحة بكثير من فيضة التنهاة وتختلف عنها ﰲ الطبيعة والتضاريس كما تشاهد ﰲ الصورتين

ويستمـر أبـو فواز في السرد: في الليلة الأولى بعد تأدية صلاة العشاء في روضة حسناء، وأثناء انشغالنا بطبخ اللحم باستخدام قدر الضغط (الكاتم)، أمرنا أبو لطيفه جميعاً بالتنحي خارج بيت الشعر لاجتماع سريـع، وترك الخبيـر وحده وطلب منه (على استحيـاء) أن يتابع عملية الطبـخ. وكان أبو لطيفة يوصينا بتجهيـز وجبة الإفطـار بعد أن نفرغ من تناول العشـاء مباشرة، معللاً ذلك بأن أبـا حمد سيكون أول من يصحـو قبل صلاة الفجر كما هي عادة أمثاله من كبار هواة الرحلات البرية والصيد، فنتحاشى لومه إن لم يجد وجبة الإفطار جاهزة.

وقبل أن ينتهي أبو لطيفة من إلقاء أوامره سمعنا صوت انفجار صدر من داخل بيت الشعر!



عدنـا فزعـين، وتبـين أن الخبير فتح غطـاء قدر الضغط مباشـرة قبـل خـروج البخـار وتبعثر اللحـم والأرز، ولما لاحظ استغرابنا المزوج بالحسرة قال (بثقـة): اعذروني، أنـا لا أجيد التعامـل إلا مـع (القـدر القديم المصنوع مـن النحاس) الذي لا يستطيـع تحريكه إلا ثلاثة رجال (بثيابهم المرودنة) ليضعوه على (المـركاب: القوائـم التي يوضع عليهـا القـدر). وهنا تدخَّل أبو لطيفة ووجه إلينا إنذاراً بعدم العودة لاستخدام قدر الضغط، وأمرنا بذبح الخروف الثاني إرضاء لأبي حمد، وتجهيز وجبة العشاء من جديد.

وبعـد تنـاول العشاء كنا نمنِّـي أنفسنا بجلسة سمر مع هـذا الخبير يتخللها حديـث ودروس منه على الطبيعـة عـن علم الفلك والنجـوم، ولكنه صبغ ليلتنـا بالحديث عن البترول والشـرق الأوسط وما تقذفه الفضائيـات. ونمنـا في تلـك الليلة علـى أمل التعويـض في يوم الغد لننهـل من تجـارب وقصص الخبير البري.

استيقظنا وأدينا صلاة الفجر في اليوم التالي ثم نهض الخبير مشيراً إلى أنه سيمارس رياضة المشي بـين النباتـات والزهور، ورافقه أبو لطيفة بعد أن صرخ وأصدر أمراً بإعداد القهوة ووجبة الإفطار، أما هو فسيكون برفقة الخبير في رياضته!

استغـل أصغرنا غياب الاثنين وكشف عن أن الخبـيـر أثناء نومنا ليلة البارحة كان كلما سمع صوت أبا الحصـين (الثعلـب) أو حفيـف الأشجار حمل فراشه ليندسَّ وسط المجموعة، ويسأل هـذا الصغير: هل تظنـون أن الخبـير كان خائفاً؟ وكان تبرير البقية لملاحظة الصغير أن الخبير قد يهدف من توسط أفراد المجموعة إلى حمايتها فيما لو تعرضت لغارة لصوص!

عاد الخبير وأميرنا، ولاحظت – كما يقول أبو فواز – أن أبا لطيفة زائغ العينين، كأنه سمع شيئاً كدَّره! فلم أنتظر، أخذته جانباً وسألته: ماذا فعلت، سوّد الله وجه العدو؟

قال: أذهلني الخبير عندما سأل، لماذا لا نرى (الزحمة والتفحيط) وصراخ الأطفال والشباب الذي يقولون إنه من مظاهر فيضة التنهاة في فصل الربيع؟ ولما أجبته بأننا لسنا في التنهاة، رد الخبير: اعذرني، أنا خبير في أرض الصمان التي أعرفها شبراً شبراً!

احتار الأصدقاء وبدأ بعضهم بفرك أيديهم ولكن (بدون تراب)، وأجمعنا على عدم إخبار الخبير أننا في الصمان حتى لا يصاب بخيبة أمل من قصور علمه وخبرته بطبيعة تلك الهضبة الجميلة والمعروفة لدى الكثيرين.

وقبل مغرب ذلك اليوم تصدَّر الخبير المجلس، وبدأ بسرد إحدى بطولاته عندما قال: قبل سنين ولّت ذهبت في رحلة صيد إلى فيضة حسناء بالصمان، عندما كانت الدروب المؤدية إليها عسيرة بحيث لا يصلها إلا من هم مثلي أو على شاكلتي في التجربة والمراس بمسالك الصمان وخفاياه، قبل أن تصبح (مكشاتاً) للقاصي والداني وربما تكون مزدحمة بكل من هب ودب...

هنا قفز أبو لطيفة مقاطعاً ومنفعلاً وقال: آن لأبي لطيفة أن يمد (أريل جهاز الاتصال اللاسلكي) ولا يبالي، وأردف: دعنا نسمعك أخبار الصمان على أجهزة الاتصال اللاسلكي، وندربك على استخدامها واستخدام أجهزة تحديد المواقع والخرائط، لأننا متواجدون في (حسناء) بما فيها من هب ودب، وشعر الخبير بوقوعه في مطب (بايخ)، فلاذ بالحديث عن الألغاز والشعر..

ولم يعطه أبو لطيفة الفرصة فقال له: يبدو يا خبيرنا أنك (طير عَشَر)، وما دمت في الشعر فهذه أبيات للشاعر الكبير أحمد الناصر الشايع لعلها تناسب ذوقك ومقامك:

يا بو حمد هذا زمان التهاويل	**أثر الرجال أشكال ذيب ونعامة**

إلى أن يقول الناصر:

إليا اشتبهت بوزن بعض الرجاجيل	**اسمع كلامه واوزنه في كلامه**
السالفة تحتاج شرح وتفصيل	**دايم يغر الناس كبر الجهامة**

رد الخبير ببلاهة: أبيات جيدة! وسأل؛ وهذه المرة الأولى التي يسأل، فالمعتاد أن يجيب عن كل شيء حتى لو لم يسأل عنه، وقال: ما المقصود بـ(طير عشر)؟

ولم يجبه أحد فيكفيه في ذلك معانى أبيات الشاعر أحمد الشايع. وانتهت في اليوم التالي رحلتنا وكانت درساً لنا وللخبير.

أما معنى (طير عشر) فستجده في الصفحة التالية.

طير بر.. وطير عَشَر

من المألوف بين سكان المملكة، خاصة في منطقة نجد وربما في بعض دول الخليج العربي، قولهم عن شخص ما بأنه (طير بَرّ) للدلالة على معرفته بالدروب والمسالك وحسن التصرف وأحيانا شدة البأس. ويشعر هاوي الرحلات البرية والصيد بالزهو عندما يوصف بأنه (طير بَرّ).

وفي المقابل يقال في الأمثال (طير عَشَر)، ويقصد بالعُشَر شجرة صحراوية لا يقع عليها أو يقترب منها من الطيور إلا أضعفها وأصغرها.





الهدهد واحد من أضعف الطيور وفي الصورة وقع على شجرة عشر. وغالباً لا تقربه الجوارح بسبب أنه يفرز من معدته إفرازا كريه الرائحة يستخدمه لتنفير أعدائه فيحمي نفسه. وعشه أيضا كريه الرائحة بسبب تعمده ترك فضلاته وفضلات صغاره فتكون وسيلة لحماية الصغار، وفي الأمثال يقال (أنتن من هدهد). وهو من الطيور التي نهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتلها. وللهدهد المقدرة على نبش التربة ليتغذى على الديدان كما تشاهد في الصورة التالية

وعندما يقال إن فلاناً (طير عَشَر) فيقصد أنه سيء التدبير والاختيار والطبع، على العكس تماماً من صفات (طير البر). ونسمع من كبار السن قولهم عن الصبي إذا كان ممتلئ الجسم ولم يوهب الذكاء وحسن التدبير أنه (تفخة عَشَر)، وتفخة العشر هي ثمرتها التي تكون منتفخة ويتوهم من لا يعرفها أنها صلبة وثقيلة بينما هي خفيفة وشبه جوفاء. وفي نفس المعنى يقال (خضرة عشر)، والمعروف أن أوراق نبات

العشـر لا تتأثر بحرارة الشمس في أشهر الصيف فتبقـى خضراء، على العكس من معظم النباتات البرية التـي تيبسـ في تلك الفترة وتظهر بلون أصفر باهت، كما أن لشجر العشر أزهار جميلة تخدع من لا يعرف حقيقـة أنه سام ولا يستفاد منه في الغالب. ويقـال في نفس المعنى أيضاً (كسرة عشر) والمقصود بالكسرة سيقان النبات بعد جفافها وسقوطها على الأرض.



ثمرة (نفخة) العشر



أوراق وأزهار شجر العشر الزاهية والسامّة

وتتميـز (كسـرة العشـر) بخفة وزنهـا، وإذا كُسرت يتناثر من داخلها مـادة تشبه الدقيق، والمعـروف أن هـذه السيقـان أو (الكسـر) لايستفـاد منهـا كحطب بـل إن الدخـان المنبعث مـن إحراقهـا ضـار بالجهـاز التنفسـي. وحول خضـرة العشر يقول الشاعـر عبدالله بن سبيّل (توفي عام ١٣٥٢هـ):

وخطـوى الولد رجم على غير حله	لـو جـاز لـك مبنـاه بـرق بساسـه
خضـرة عشـر ما هوٍ على شـوفةٍ له	يـزوم روحـه وا حسـايف لباسـه

طير شلوى

قال الشاعر تركي بن ماضي التميمي (توفي عام ١٢٩٢هـ) في الشكوى من المحبوب:

يابو حمد اشكي لك اليوم شكوى	قلب غدا به قايد الريم منهوب
افهم وقاك الله يا طير شلوى	مضمون سر قوم على الطرس مكتوب

ولا زال عامة الناس في بعض مناطق المملكة خاصة في الشمال والوسط بفئاتهم المختلفة يطلقون على الشخص المعروف بتقديم العون للآخرين أو الشجاعة أوالنشاط وصف (طير شلوى). فما قصة طير شلوى؟

ثمة قصتان تفسر هذه المقولة الشعبية فضلاً عن تفسير ثالث، **فالقصة الأولى** تتحدث عن رجل اسمه عكرش مات هو وزوجته مخلفين ثلاثة أطفال هم (شويش وهيشان وعدامة) تتراوح أعمارهم بين سنتين إلى ثلاث سنوات، ولم يكن لهؤلاء ليتولى رعايتهم وتربيتهم سوى (شلوى)؛ وهي جدتهم لأمهم لكنها لا تملك من متاع الدنيا شيئاً، فاضطرت إلى سؤال الناس، وكانت تتودد إذا قصدت البيوت بقولها (ما عندكم أكل لطويراتي؟) وتقصد هؤلاء الصغار.

ويتبين في المصادر الشعبية التي وثّقت هذه القصة أن العجوز تقيم في مضارب قبيلة شمر؛ ذلك أن عبدالكريم الجربا (توفي عام ١٢٨٥هـ) أحد شيوخ شمر لما علم بحالة العجوز وصغارها أمر ببناء بيت لهم بجواره، واهتم بهم إلى درجة أنه يوجه رجاله عندما يُقدم له الطعام بقوله (لا تنسون طويرات شلوى).



الأبناء الصغار الذين شبهوا بـ(الطويرات) التي تتسول لهم جدتهم الطعام ظهروا بموقف بطولي يتبين في نهاية القصة



معاناة أبناء البادية قديماً في سنوات الجدب تدفعهم إلى التنقل والبحث عن الماء ومصادر الغذاء لماشيتهم التي يعتمدون عليها في غذائهم، لكن هذه المعاناة خفّت إن لم تكن غير موجودة حاليا مع توافر الأعلاف ووسائل النقل

وبعد مضي أعوام وفي سنة مجدبة أضطر الجربا وجماعته؛ بمن فيهم (طويرات شلوى) الذين بلغوا مرحلة الشباب، إلى الانتقال والإقامة في مكان آخر بالقرب من قبيلة تخضع لسيطرة الأتراك الذين يفرضون وقتذاك على القبائل ما يعرف بالودي (وهو الإتاوة أو الضريبة). وذات يوم جاء مندوب من الأتراك إلى الجربا يبلغه أن على شمر دفع (الودي) فاجتمع الجربا بأفراد قبيلته للتشاور وأجمعوا على أن رفض دفع الضريبة سيؤدي إلى هجوم الأتراك والقبيلة الأخرى مما سيجلب لهم المشاكل مادام ميزان القوة العددية ليس في صالحهم، ولذا دفعت شمر الودي لكن الأتراك بعد فترة ضاعفوا المبلغ المطلوب ورضخت شمر. وبعد أيام قام الأتراك والقبيلة الأخرى بحصار الجربا وجماعته، وتقدم مندوب يبلغهم هذه المرة أن الأتراك يطلبون من شمر (الخاكور)، وهو تقديم نساء إلى الجيش التركي من أجل المتعة.

وكان رجل مسنّ من شمر يراقب الموقف أثناء المفاوضات مع مندوب الأتراك، ودفعته الحسرة والغيرة إلى التنحي ثم أنشد مخاطباً قبوراً غير بعيدة عن المكان فقال:

هنيكم يا ساكنين تحت قاع　　　ما مركم ودي تقفاه خاكور
هنيكم مُتم بحشمة وفزاع　　　وما من عديم ينغز الثور

وفي البيت الثاني إشارة إلى خرافة تقول إن الدنيا فوق قرن ثور إذا ثار تقوم القيامة. وهنا يأتي دور واحد من (طيور شلوى) وهو شويش الذي ثار ودفعته الحمية إلى امتطاء جواده حاملاً سلاحه ومندفعاً وحده مجازفاً باتجاه الجيش التركي المتأهب وهو يقول رداً على الرجل المسنّ (أنا.. وأنا طير شلوى). وأمام هذه الشجاعة لحقه أخواه هيشان وعدامة، ثم انقضت قبيلة شمر على المحاصرين ودارت رحى معركة انتهت بدحر الأتراك ومن معهم. وتشير المصادر الشعبية التي تناولت هذه الحادثة إلى أن الجربا وبقية الفرسان كسبوا مغانم كثيرة.

كل هـذا الانتصـار جاء بعد إطلاق شرار الدفاع عن النفس والشرف التي أشعلها واحد من (طويرات شلوى). فأنشد المسنّ مرة أخرى، ومما قاله:

قالـوا شـويش وقلـت لا لا عدامـة	**او زاد هيشـان زبـون الملابيش**
مـا هـو ردى بمدبريـن الجهامـة	**لكن هوش شـويش يالربع ما هيش**

أمـا **القصـة الثانيـة** التي تفسـر مقولة (طير شلوى) فقـد جاءت في كتاب حديث يوثـق تاريخ منطقة الجـوف والحيـاة الاجتماعيـة لسكانها بعنـوان أوراق جوفية لمؤلفـه معاشي بن ذوقـان العطية، وتتحدث القصـة عـن شاب اسمه محمد كان أبوه مُقعداً بعدما طعن في السن، وطلب الأب من ابنه ذات يوم السعى في تزويجـه بفتـاة صغيرة، ثم بحث محمد حتى استدل على فتاة تسمى (شلوى)، ولما تقدم إلى أبيها وافق ظنـاً منـه أنـه يريدها زوجة لـه. ولم يتراجع أبو شلوى عن الموافقـة لما علم أن الابن يريدهـا زوجة لأبيه. وتذهب القصة إلى أن الابن ساعد أباه (المُقعد) وهيأ له الأمر في ليلة دخوله بشلوى، وتأكد أنه باشر جماع الزوجـة. وتسببـت هذه المعاشرة بموت المسنّ ثم رحلت شلوى إلى أهلها. وبعد عدة سنوات تجمعت عشائر على مورد ماء، وكلما مر محمد عليه صادف طفلاً لم يبلغ العاشرة مع رجل يقسو عليه ويضربه دون رحمة، وشعر محمد بعاطفة غريبة تجاه الصغير ورقّ لحاله مما دفعه إلى البحث عن أهله ليخبرهم. وكم كانت المفاجـأة لما علم أن أم الولد هي شلـوى التي أخبرته أنها تزوجت بعد موت أبيه مباشرة، وأن الابن هو من صلب أبيه لكن زوجها الثاني يرفض هذه الحقيقة.

وتخلص القصة إلى أن محمداً والرجل ومعهم الطفل ذهبوا إلى أحد العوارف (والعوارف قديماً هم رجـال حكماء بمثابـة القضاة يلجأ إليهم المتخاصمـون حول أمر ما فيستمعون إليهـم ويكون الحكم الذي يصدرونه ملزماً للطرفين)، وكان العارف من قبيلة آل مرة واستخدم فراسة إحدى بناته حيث طلب منها أن تأخذ الصغير ليساعدها في تجميع (البَهَم: صغار الضأن). ولما عادت إلى أبيها قالت: (أشهد إنه ولد عود وبكر بنت). والقصة طويلة تنتهي باستخدام العارف للحيلة والحكم بأن الصغير هو أخ لمحمد.

وقـد أشار مؤلف الكتـاب إلى أن أشقاء شلوى كانوا (يعتزون وينتخـون) بمقولة (أخوان شلوى)، وفي شرحه قال المؤلف: (يبدو أن شلوى من النساء اللاتي اشتهرن بعمل كبير مصدر اعجاب وإعتزاز لأهلها، ولهـذا تسمـى العائلة باسمها. ويقال للرجل الموصوف بالكرم والشجاعـة والنشاط وتقديم العون للمحتاج أخو شلوى أو طير شلوى).

ولا يوجـد في القصـة ما يشـير إلى الحقبة التي حدثت فيها، ولا ما إذا كانـت حقيقية أم خيالية، لكن المؤلف وضعها في فصل بعنوان (القصص التربوية التي يرددها الكبار).

تبقى الإشارة إلى أن هناك من يشير إلى **تفسير ثالث** عندما يطلق المثل (طير شلوى)، وهذا التفسير **وهـو الأقـرب إلى منشـأ المثـل**، حيـث أن شلوى هي منطقة في بـلاد فارس تشتهر بوجـود صقور من أقوى الأنواع، فالمعنى وفقاً للتفسير الثالث يشير إلى القوة والإقدام والشجاعة التي يتصف بها الصقر الجارح، وعلـى ذلـك فقول (طير شلـوى) مثله مثل قولنا (طير حـوران، طير سنجار، طير غيمـار) ويقصد بهذه الطيور صقور مميزة تنسب إلى أماكنها (أوكارها).

طير حوران، طير سنجار، طير غيمار طير السعد، طير الفلاح، طير الهداد، القطامي



درج الشعراء الشعبيون على وصف الرجال الشجعان بالصقور التي تتميز عن أنواع أخرى من الجوارح بالشجاعة والإقدام والبطش بفرائسها، لكنهم يستخدمون الكلمة (الشعبية) الدارجة فيقولون طير كذا بدلاً من صقر كذا، لأن الصقور تسمى الطيور خاصة بين فئة هواة الصيد. ومن ذلك قولهم طير حوران. وحوران هو إقليم في سوريا أشتهر بوجود نوع قوي من الصقور يستوطن ويفرخ ويتكاثر فيه. فإذا قيل فلان طير حوران كان ذلك للدلالة على الشجاعة والإقدام. وفي قصيدة أرسلها الشاعر عبدالعزيز الفايز إلى الشاعر سليمان بن شريم (توفي عام ١٣٦٣هـ) قال موصياً المُرسل:

انشد وقل وين بن ناصر سليمان	ابن شريم اللي به الطيب مشهور
وقل له فؤادي صار للحب نيشان	ونيشان سهم الحب لابد مكسور
اشكي عليك الحال يا طير حوران	حيثك براي الله على الضد منصور

ومن أشهر الرجال الذين وُصِفوا بطير حوران القائد الموحِّد الملك عبدالعزيز طيّب الله ثراه. وقد قال الشاعر نافع بن فضلية الحربي؛ وكان برفقة الملك في الحجاز، متوجّداً على ديار جماعته في الأسياح بمنطقة القصيم:

وجدي عليهم وجد من طاح وجعان	تهشه الحمى ليالي الصخونة
يا حسين عنكم حدني طير حوران	حده جميع الناس ما يقطعونه

وبمناسبة الحديث عن الملك عبدالعزيز، ومَنْ وصفه بـ(طير حوران) هذه قصة تؤكد على حكمة الملك

وحنكته وذكائه ومعرفته بالرجال، وتبين أمانة هذا الحربي وحسن تدبيره للأمر الموكل إليه، وقد قال الملك عبد العزيز عن هذا الرجل بعد أن جرت أحداث القصة (أمي أمين خير من كاتب سروق). أما لماذا أطلق تلك المقوله، فقد لاحظ الملك إبّان حرب حائل هزال الإبل التي كانت بمثابة (آليات وعربات) الحرب الرئيسية بمعيار الوقت الحالي، فطلب من نافع الحربي أن يذهب إلى مدينة بريدة بالقصيم لشراء عدد من الإبل القوية وزوّده بالمال وخطاب لمدير المالية هناك يوجهه بسد حاجة الحربي إذا طلب مالاً إضافياً. ولما كان نافع يخشى من الخطأ في الحسابات وإضاعة المال اعتذر في بداية الأمر مفيداً أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب لكن الملك منحه الثقة كاملة وأمره أن يمضي في مهمته.

فطن نافع قبل وصوله إلى بريدة إلى أن التجار أو السماسرة قد يطمعون فيرفعون أسعار الإبل لمعرفتهم بأنه مندوب الملك وليس تاجراً سيشتري الإبل لنفسه، فقصد بيت شخص يتبين من سياق القصة التي أوردها الراوي منديل الفهيد أنه تاجر أمين ونزيه في التعامل مع الآخرين، وهو إبراهيم الجربوع، وصرّح نافع بما كُلف به، وسلّم المال للجربوع وطلب منه شراء الإبل وتسجيل ما يصرفه مكتوباً بورقة ليسلمها الملك. وحقق الجربوع مطلب الحربي واشترى إبلاً أصيلة قوية دون الحاجة إلى دعم من مدير المالية، ليس هذا فحسب؛ بل إنه وفّر مبلغاً من المال سلّمه الحربي الذي عاد فرحاً إلى حائل فمنحه الملك المال المتبقي مكافأة على حسن تصرفه، وقال له: (أمي أمين خير من كاتب سروق).

ويذكر الراوي الفهيد أن نافع الحربي كان ضمن مجموعة خاصة من المرافقين المقربين للملك عبدالعزيز تضم أيضا مطلق الجبعاء وماجد بن خثيلة وغصاب بن منديل الخالدي، يمازحهم الملك عبدالعزيز ويأنس بطرائف أشعارهم، ومن (فكاهيات) نافع الحربي قصيدة منها:

عاداتنا عند السماطات تنشاف ... لا طار ستر مغطيات البوادي

تلقى الصياني قدمنا بيض ونظاف ... ما كنه إلا ممرح به جرادي

نعود إلى الحديث عن وصف الرجال الشجعان بالصقور التي يعرف عنها أنها لا تضع أوكارها ولا تبيض -في معيشتها الفطرية- إلا في أعالي الجبال والحواف الصخرية، فمثل قولهم طير حوران؛ وهو الصقر المنسوب إلى مرتفعات حوران بسوريا، يُقال أيضاً طير سنجار نسبة إلى جبل سنجار بالعراق، وطير غيمار، ولعل المقصود بغيمار هضاب الغيمار التي تقع شرقي المدينة المنورة بمسافة أفقية (مستقيمة) تقدر بـ(٢٠٠ كم تقريباً)، ويتجاوز ارتفاع أعلى نقطة فيها ألف متر فوق سطح البحر، ويحيط بها جبال



أكثر ارتفاعاً، ومنها فرقين وعاج والرُّبوض وراكِس، وأبعد من هذه الجبال قليلاً جبال ماوان والعجام والعقار، وربما كانت هذه الجبال (مواكر) للصقور قديماً. كما يقال الحُرّ، والحُرّ الأشقر، وهذان (نوعان) من فصيلة الصقور بحسب معيار اللون والسمات الشكلية.

وفي ذات المعنى؛ أي وصف الرجال الشجعان بالصقور، يُقال طير السعد وطير الفلاح وطير الهداد، والفارق هنا أنه لا يقصد بالسعد والفلاح والهداد (نوع) من الصقور بل صفة لما يُنتظر من الصقور أن تفعله وتؤديه لصاحبها، ومن ذلك قول شالح بن هدلان (توفي عام ١٣٤٠هـ) في مدح ابنه الفارس ذيب:

يضحك ليا صكت عليه الطوابير	**طير السعد قلبه من الخوف خالي**

وفي بيتين للشاعر عشوي الحسني قالهما بعد أن فقد راحلته مادحاً الشيخ محروت بن هذال (توفي عام ١٣٨٨هـ) الذي عوّضه بعد المدح بمنحه من إبله:

الله يعينك عانك الله على اعداك	**وكيف انت يا طير السعد والفلاحي**
وا بكرتي يا طير غيمار تفداك	**وانت الخلف باللي غدا لي وراحي**

وعلى ما سبق نجد أن وصف الرجال بالشجاعة والإقدام يأتي في قصائد المدح غالباً أو الإعجاب، ومن ذلك الوصف بـ(طير الهداد) وهو الصقر القوي المدرب الذي يفتك بطرائد الصيد، وفي أبيات لشاعرة؛ لم يُذكر اسمها في المصدر الذي وثّقها وهو كتاب شاعرات من البادية لعبدالله بن رداس، تزوجت رجلاً من قبيلة غير قبيلتها اسمه (بادي)، وبعد أن حدثت حرب وعداوة بين القبيلتين منعها أهلها من الاتصال به، ولكن العداوة لم تمنعهما من محاولة اللقاء، وفي يوم خرجت الزوجة إلى مكان رعي الإبل صادفت أحد الرعاة فأخبرها أن زوجها مرّ بهذا المكان وغادر في سعيه للبحث عنها، فأنشدت متمنية لو انتظر زوجها:

سرني بشرى نبا ريف الفوادي	**عن سواد الناس وده ينتحي بي**
قمت عجله باغية طير الهدادي	**ابا اتروى من تعاليل الحبيبِ**

إلى أن تقول:

ليتني في فزتي واجهت بادي	**كود ينهبني وليفي ويغدي بي**
ليش ما ريّضت ليّه بالقعادي	**لين اشدك بالايادي من قريبِ**

وتمدح شاعرة أخرى تدعى عمشا الدغيلبية العتيبية أخاها فتقول:

لا حسود ولا بخيل ولا يذلي	**كامل الأوصاف طير الهدادي**

ومما قاله الشاعر فجحان الفراوي المريخي المطيري (توفي بعد عام ١٣٠٨هـ) في مدح أحد شيوخ الظفير:

انا ليامنه بدا اللازم ابدي	**انصا الشيوخ اللي تعرف المبادي**
جيت الشيوخ وجيت حرّ وعبدي	**ورجعت للي مثل طير الهدادي**



(طير الهداد) هو الصقر القوي المدرب الذي يفتك بطرائد الصيد



القطامي من القطم، وإذا قيل قطم الصقر إلى اللحم فالمعنى اشتهاه

ومثـل قولهـم طير حـوران؛ للوصف بالشجاعة، يقـال في اللفظ العامـي (القّطَامـي)، ويقصد بعض (الصقاريـن) بالقطامي الصقـر المميز بشكل منسره، لكن هذه الكلمة مأخـوذة من القَطَم وتعني شهوة اللحم والضراب والنكاح. وصقر قَطام وقُطامي وقَطامي- وفقاً لما قال صاحب اللسان- هو المشتهي للحم. وقَطِـم الصقـر إلى اللحم أي اشتهاه، وأيّا كان المعنى فـإن كلمة (القطامي) ترد في الشعر الشعبي غالباً

إمـا لذكـر الجوارح أو لوصف الشجعان من الرجال، ومن أمثلة ذلك ما قاله مسعود؛ وهو شاعر وعبد عند آل هذال من عنزة (عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر):

أمس الضحى عديت في راس مزموم	تومـي بـي الارياح شـرق وشـامي
ماكـر حـرار مـا يوكّـر بـه البـوم	كـود العقاب الصـيرمي والقطامي

وفي قـول الشاعـر الفارسـ محمـد بن علـي العرفج (توفي عـام ١٢٥٨هـ) جاء الوصـف بالقطامي للشجاعة، لكنه يقصد شجاعاً مغلوباً على أمره حيث قال:

ومـن العنـا يا ناس هيض كلامي	حيف ولا يصبر على الحيف شغموم
دار جفت عيّانها والقطامي	يوطى بها وطي الوطا كل محجوم
يـا دار عيانـك غـدوا بـك رمامـي	ام الذهـب يا مـا غدوا فيك من يوم
دار بهـا الداشـر غـدا لـه سـنامي	ياخـذ عليهـا منعـم الـراي معلـوم
الحـر يـا صـبيان وان ضـيم شـامي	والـدّر بالسـكر مـع الهضـم زقـوم
من يوم شفت بها الجفا من عمامي	بعـت الرجا بالياس منها عن اللوم
حـل الرحيـل وبـاح مـا كـنت كامـي	بازكى صلاة للي عن اللوم معصوم

وهـذه الأبيات من قصيـدة مناسبتها أن العرفج تـولى إمارة بريدة في فترة خـلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، لكن إمارته لم تدم طويلاً فقد نُفي إلى الرياض، ثم أُفرج عنه وعاد إلى بريدة بعد سنتين بشرط ألا يتعرَّض لابن عمه الأمير المعيّن، ومكث العرفج أياماً في بريدة ولم يجد الأمر كما كان قبـل نفيه أميراً يبذل المال كرماً ومساعدة للآخرين، وحوصر بالديون، وقوبل بنظرة ازدراء من المتحلقين حولـه أيام تمتعه بالإمارة، وهجـره الأعيان والوجهاء فأصبح كالغريب، ورأى أن هذا النكران من الأقرباء وضـع لا يحتملـه كبرياء وأنفة الأمير السابق ولهذا قـرر أن يرحل مهاجراً مع العقيلات من أجل العيش في العراق، وأنشد وهو راكب ذلوله مودعاً بريدة قصيدة منها الأبيات السابقة. وبالمناسبة فقد عانى العرفج من سنين الغربة في العراق حتى عاد إلى موطنه بريدة وقُتل فيها عند عتبة باب منزله.

طير ابن برمان



نجد في الشعر الشعبي خاصة القديم منه قولهم (طير ابن برمان). فما المقصود بذلك؟

يُذكر أن ابن برمان رجل من محبي القنص بالصقور، وكانوا قديماً لايتملكون الصقور إلا بـ(شبكها) بأنفسهم أو بالبحث عنها وأخذها صغيرة من الوَكْن أو الوَكْر، وليس كما هو الحال الآن حيث تباع الصقور وتشترى، ويقلّ (شبكها)، إما لأن (الصقّار) يرغب في الحصول على الصقر بأيسر السبل، وإما لأن الصقور لا توجد مثلما كانت في السابق حيث يروي كبار السن أنهم يجدونها مستوطنة في كثير من المناطق الجبلية في المملكة.

وقيل إن ابن برمان عثر على صقر صغير فرباه ودربه على الصيد، وحينما بلغ الصقر مرحلة إطلاقه على طرائد الصيد خرج به ذات يوم وكشف برقعه وأطلقه خلف حبارى فحلق الطير عالياً وما لبث أن انقض ولكن ليس على الحبارى بل على ثعبان يزحف على الأرض فأمسك به وعاد يحلق فوق رأس ابن برمان وأسقط الثعبان عليه، وكاد الثعبان يعض صاحب الصقر. وصارت قصة (طير ابن برمان) مضرباً للمثل لمن يجد عاقبة سيئة ممن يتوقع أن يأتي منه فعل حسن. وفي ذلك قال الشاعر مرشد البذال (توفي عام ١٤١٠هـ) في رده على الشاعر سليمان بن شريم (توفي عام ١٣٦٣هـ) في محاورة بين الاثنين:

أنا مالي بها ميرا اقترشني طير ابن برمان   يجيب الحية الرقطا على راسي يدربيها


المعارك

بعض الصقور يكون مدفوعاً بسبب خوفه من سلاح الحبارى إلى سلوك لا يتوقعه الصياد الذي يطلب غالباً الحبارى. وقد قالت العرب في الحباري أمثال، منها قولهم: أَذْرَق من حُبَارَى، وأَسْلَح مِن حُبَارَى، لأنها ترمي الصقر بسَلْحها إذا أراغها ليصيدها فتلوث ريشه، ويقال: إن ذلك يشتد على الصقر لمنعه إياه من الطيران.

ومن أمثال العرب يقولون: «مات فلان كَمَد الحُبَارَى»، وذلك أنها تُلْقي ريشَها مع إلقاء سائر الطير ريشَه، ويُبطىء نباتُ ريشها، فإذا طار سائر الطير ولم تَقْدر هي على الطيران مَاتت كَمَداً.

وهذه أبيات لشاعر يُدعى نايف بن عواد يتضح منها أنه عانى من عقوق ابنه عيد حيث وصفه بـ(طير ابن برمان) فقال:

يا عيد انا شيبت والحيل بادي	هملتني يا بوك وعيالي صغار
يا عيد اشوفك في رداك متمادي	ما هوب لك مرة تراديد وامرار
غاذيك أبا صيدك ليالي الهدادي	يا طير ابن برمان يا ناقل الضار
كل غذى له طير واصبح وصادي	وانا غذيت وصيدتي بس الاصفار
واللي قنص بالكندره ويش صادي	وابو حقب ما ينقله كل صقار

وفي البيت الأخير ذكر الشاعر نوعاً من الطيور الجوارح السيئة (في عرف الصقارين) هو (أبو حقب)، ونوعاً آخر من الطيور آكلة اللحوم هو (الكندرة)، فما المقصود بـ(الكندرة)؟

الكَندَرة اسم محلي (شعبي) لنوع من طيور البوم، وهي البومة العقابية. والكَنْدَرَة (بالفتح في القاموس المحيط) والكُنْدُرة (بالضم في لسان العرب) كلمة فارسية تعني: ما غَلُظ من الأرض وارتفعَ، وكُنْدُرة البازي: مَجْثِمُه الذي يُهَيَّأ له من خَشَب.

وتعرف بومة الكندرة باسم محلي آخر هو (البَوَه). وفي لسان العرب جاء أن (البُوهَة والبُوه: ذَكَرُ البُوم، وقيل: البُوه الكبير من البوم)، و(البُومة طائر يقَع على الذكَر والأنثى). (والنَّئيم: صوت البُوم).



الكندرة نوع كبير من طيور البوم وتسمى باسم محلي (شعبي) آخر هو البوه. وفي المصادر المتخصصة تسمى البومة العقابية

والكنـدرة نـوع كبير الحجم يقارب حجم الصقر، وتفضل هذه البومـة العيش في سفوح الجبال والتلال وأعـالي الأشجـار، وتلجأ إلى الكهـوف والخرائب والأشجار كثيفـة الأوراق، وتنشط بعد الغروب لتبحث عن فرائسها، وتتغذى على القوارض وصغار الطيور والحشرات. وتستطيع معظم طيور البوم تحديد مكان الفريسة في الأرض بدقة في الظلام الدامس خلال طيرانها من خلال الصوت الذي تحدثه الفريسة من حركتها بين الأعشاب، ذلك أن البوم طيور تعتمد بالدرجة الأولى على حاسة سمع شديدة، ولهذا فهي ليلية المعيشة رغم أنها تبصر في النهار.

وتعتـبر الكندرة وجميع أنـواع البوم من أفضل الطيور في مساعدة الإنسـان في الحدّ من كثرة الفئران والجرذان في المناطق البرية والحقول الزراعية، لكن هذه الأفضلية يطغى عليها خرافة التشاؤم من طيور البوم واحتقارها واحتقار من يشبه بها. وقال الشاعر محمد بن راشد بن عمار (توفي عام ١٣٦٧هـ):

وهـو يشـابه بومـة في خرابـة ... لا ينتقـد هرجـة ولا كفـو هرجـات

وممـا قالـه الفارس خلف الأذن (توفي عـام ١٣٠٠هـ) لما اختلف مع الشيخ نـوري الشعلان (توفي عام ١٣٦٣هـ)، وكلاهما من الرولة من قبيلة عنزة:

لا عـاد لا معـزب ولاني بعـد ضيـف ... ولا لي علـى مـن جيت يمـه طلابه
الحـر يسـكن عاليـات المشاريـف ... والبـوم مسكانه بوسـط الخرابـة

وقال سلطان بن سالم الثوري السبيعي:

ولا كل من طـب البحـر قال أعومي ... ولا كل علـة قلـب يوجـد لها اطباب
الحـر والله مـا سـكن عش بومـي ... والبـوم ما يجديـك لو فيـه مخلاب



ليس في كل الأحوال (البوم ما يجديك لو فيه مخلاب)، فهي من أفضل الطيور في تخليص أصحاب المواشي والمزارعين من تكاثر الجرذان الناقلة للأمراض التي تصيب الحيوانات والبشر وتخرب الحقول الزراعية



البومة البيضاء (بومة المخازن) وتسمى محلياً (البومة، والبَوَه) وهي في الحجم أكبر من الحمام، وتوجد في معظم دول العالم. وتستوطن أكثر مناطق المملكة، وتسكن عادة في المناطق المكشوفة والأراضي الزراعية التي يقع حولها آبار ومنازل مهجورة وخرائب، وتبني أعشاشها فيها. وتشكل القوارض غذاءها الرئيسي، وتصطاد ليلا وهي على ارتفاع منخفض بطيران رشيق يتخلله تغيير متكرر في الاتجاه دون أن تُحدث صوتا، ومعظم سلالات هذه البومة شديدة البياض في الجزء السفلي، ولا تظهر ألوان الظهر الشاحبة عند الطيران

ومـع كل هـذا التحقير للبـوم في ثقافتنا الشعبية فالمصـادر العلمية تعدها طيوراً تـؤدي دورًا مهماً في حفـظ التوازن بين الأحياء الفطرية، ولو راقب مـزارع أو صاحب أغنام كيف تفترس طيور البوم الجرذان التـي تعدّ من القوارض الضارة بالحقول والناقلـة للأمراض، أقول لو راقب البوم وهي تخلصه مما يُلحِق الضرر بإنتاجه ربما تعمّد تهيئة أماكن ملائمة لسكن البوم بالقرب منه كما تفعل بعض الدول المتقدمة في السنوات الأخيرة؛ حيث تعمد إلى جلب أنواع من الطيور إلى أراضيها وتوطينها للاستفادة منها في تنظيف الحقول والمراعي والماشية من الحشرات والقوراض.

ومـن أمثلـة أنواع البوم التي توجد في المملكة البومة الصغيرة التي يطلق عليها محلياً اسم (أم قويق)، والبومة الصَّمعاء، وبومة المخازن.



البومة الصـمعاء تعرف محلياً باسـم البومة، والبَوَه، وكليب الدَّوْ وهي نوع مهاجر متوسـط الحجم، تتناسـل في أمريكا الشـمالية وأوربا وآسـيا، وتمر على المملكة في أواخر الشـتاء وأول الربيع. وتوجد في المناطق البرية جاثمة في النهار على الأرض أو الأشـجار أو قرب المسـتنقعات. وتنشـط غالبا في الليل للبحث عن فرائسـها من القوارض والزواحف والطيور واللافقاريات. وتصطاد أيضاً في النهار

طيور العشا

قال الشاعر الساخر حميدان الشويعر (توفي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري) في الهجاء:

يا شويخ نشا مع طيور العشا	ضاري بالحساسات والقرقرة
فارس بالقهاوي وانا خابره	بالخلا تاخذه فرّة الحمّرة

فما المقصود بطيور العشا؟

قال الدكتور عبدالله بن ناصر الفوزان في كتاب بعنوان (رئيس التحرير حميدان الشويعر)، فيما قد يفهم منه أنه يفسر معنى طيور العشا: (إن القرقرة هي أصوات طيور القِرقِر). وقال خالد الفرج في شرحه بكتاب ديوان النبط إن طيور العشا هي الخفافيش.

والتفسير الصحيح، أن طير العشا هو الخفاش الذي يُعرف أيضاً باسم (السحاة)، لأن الشويعر قال في بيتين من قصيدة أخرى:

أيّ طير الى طار عشّى الفريق	وايّ طير العشا ذاك أبا الصرصرة
ماكره كل ليل بعرض الجدار	وكل ساس الى اضحى الضحى نغبره



تبقى الخفافيش (في النهار) على هذه الهيئة في البيوت والآبار المهجورة، وتطير (في الليل) طيراناً متواصلاً في بحثها عن غذائها من الحشرات الطائرة. وتطلق بعضها أصوتا قريبة من (صرصرة) الحشرات

والذي يلتصق أو يسكن بالجدران (ماكره بعرض الجدار) بالتأكيد هو الخفاش، أما القرقر فهو طير لا يعشش ولا يسكن في الجدران. وربما جاء التفسير الأول بسبب التسمية المحلية (الشعبية) التي تطلق على طائر الوروار الذي يعرف باسم محلي (شعبي) في منطقة نجد هو (القرقر)، كما يعرف في المملكة بأسماء محلية (شعبية) أخرى منها (القارور، القواري، والخضيري، والصقرقع، وأبو ورقة). وهذا طائر

يميزه التحليق على هيئة أسراب تطلق صوتاً مميزاً (قررر.. قررر)، ولهذا سمي بالقارور أو القرقر. ويأتي أكثر من نوع من طيور الوروار مع أول الطيور المهاجرة التي تعبر الجزيرة العربية مرتين في العام الواحد، منهـا (الوروار أزرق الحلق، والوروار الأوروبي)، وتختلف عن بعضها بألوان الريش، ويُطلَق في المملكة على عموم الأنواع الأسماء الشعبية المذكورة.



نوع من الوروار (الوروار الصغير)، بحجم العصفور مستوطن في المملكة، ويعرف فيها باسم (القرقر أو القارور)



نوع مهاجر من الوروار (الوروار الأوروبي)، بحجم طائر اليمام، ويعرف في المملكة باسم (القرقر أو القارور)



وعلى ذلك فـ(طير العشا) هو السحاة أو الخفاش (تشاهد في الصورة أحد أنواعه) غير أنه ليس طائراً من فصيلة الطيور إنما حيوان ثدي يتزاوج ويلد ويتكاثر تماماً كما تفعل الحيوانات الثديية، لكنه ينفرد بأنه الوحيد من الحيوانات الذي يستطيع الطيران باستخدام يديه اللتين تأخذان شكل الأجنحة مع أنه لا يملك ريشاً كالطيور، ويغطي جسمه الشعر ما عدا جناحيه المكونين من غشاء جلدي مرن يستخدمهما أيضاً للإمساك بما يأكله، ولتغطية وتدفئة جسمه، كما يستطيع استخدامهما كمراوح للتبريد.



نوع مهاجر (الوروار أزرق الخد)، بحجم اليمام، ويعرف في المملكة باسم (القرقر أو القارور) وأسماء أخرى



نوع صغير من الخفافيش يبلغ طوله أقل من ٥ سم

والخفاش أو طير العشا

حيوان مكروه وقبيح الشكل و(ليلي) المعيشة حيث ينشط مع غروب الشمس ليبحث طوال الليل عن غذائه من الحشرات والفواكه ويتوارى في النهار بالكهوف والآبار والبيوت المهجورة، ويعتبر - بعد الكلب- عائلاً رئيسياً لفيروس داء الكَلَب (السعار).

أما طيرة الحُمّرَة في بيت حميدان الشويعر فيقصد بها قبرة الصحراء؛ وهي أصغر من العصفور وتعرف بالضعف. ويطلق عليها في معظم مناطق المملكة اسم الحُمّرَة، وتندرج كواحدة من أنواع فصيلة القبرات وستشاهد صورتها مع نصائح أبي زويد الرخيص في الصفحة التالية.

الحُمّرَة والصعيوي
(هذا زمان من تواليه أنا ذال)

خده من الموت الحمر به دواوير	كن الصعيوي دورجن في نقوشه

ما الصعيوي الذي جاء ذكره في هذا البيت؟

قبل الإجابة لعلك سمعت أو قرأت للشاعر خلف أبو زويد (توفي عام ١٣٦١هـ)، ومن نصائحه تلك القصيدة التي وجهها إلى ابنه دخيل، متمنياً أن يكون رجلاً فوق المعتاد، ومما قاله:

احشم خويّك عن دروب الرذالة	ترى الخوي عند الاجاويد له حال
والمرجلة بالك ترخي حباله	وبالك تعيل ولا تراخى لمن عال
يا علّ رجل عيشته قد حاله	عسى تدور زوجته منه الابدال
الحمرة تدرك معوشة عياله	والا الرجل يبغى منه بعض الاحوال





الحُمّرَة نوع صغير (أصغر من العصفور) من الطيور التي تعيش في الصحاري المفتوحة ولا تحط على الأشجار بل تعيش وتعشش وتتكاثر على الأرض خاصة عند البقايا والآثار التي يتركها البدو الرحل أو أصحاب الماشية، وتنتمي إلى فصيلة القبرات، وتسمى في المصادر المتخصصة (قبرة الصحراء)، ومن أسمائها المحلية في المملكة (القنبرة) لكنها معروفة لدى الكثيرين باسم الحُمّرَة. وتوجد في مناطق عدة من المملكة، وتعرف بالضعف. وغالباً يصعب على المرء مشاهدتها لأن لونها وشكلها مندمج بشدة مع لون التربة مما يساعدها على التخفي، وفي الصورة الثانية يظهر بيض الحُمّرَة

وتلـك الأبيـات التي يوصي فيها أبو زويـد ابنه كغيرها من قصائد أخرى اتجه فيهـا إلى النصح والحكمة ووصف الإبل ومدح شيوخ القبائل، وامتنع عن الغزل وتعفف عنه بشعره. ومما قاله في شكوى الزمان:

أشـوف دنيـا يـا عـرب شـيلها مـال	ومـنـين مـا عدلتها مـا تواسـه
هـذا زمـانٍ مـن تواليـه أنـا ذال	وقـت بـه الحصـني يـدور الفراسـه
راعي الجحش شره على طرح خيال	متحـزمٍ فوقـه بـدرعٍ وطاسـه

وفي قولـه (هــذا زمان من تواليه أنا ذال) كأنـه يقرأ مستقبل أيامه، إذ لم يدم هذا التعفف عن الغزل حيـث ورد يوماً بعد أن تقـدم به العمر على غدير اجتمعت حوله فتيـات إحداهن معروفة بالجمال وتدعى خزنـة الفضيـل، رأت أن جمالها لن يكتمل إلا إذا ذاع صيته بين الناس، ولن يرضي غرورها إلا إذا أجبرت هـذا الشاعـر الذي (ما يقصد بالحريم) على التغزل بها. فركبـت راحلتها وسط تحدي الفتيات بأنها لن تبلغ غايتها، واتجهت ناحيته وأظهرت الدلال ومازحته، أو فعلت ما سره منها، فقال أبو زويد في حينه أبياتاً منها ما يشير إلى أنه لم يقاوم إثارة شكل النقوش (الدق) التي زينت وجه خزنة، ومما قاله:

القلـب يـبرم بالهواجيس ويدير	مـن جـادلٍ جتنـا طـوارف طروشـه
خـده مـن المـوت الحمـر بـه دواوير	كـن الصـعيوي دورجـن في نقوشـه



يتواجد طير الصـعو غالباً في أطراف المستنقعات وهو كثير الحركة ويتميز بأصابعه الطويلة التي يرسم بها في مشيه أو (دورجته) على الوحل أشكالاً مختلفة

ولما ذاعت فيما بعد قصيدة خلف بن زويد ومنها البيتين السابقين، سمعت بما حدث فتاة أخرى جميلة معجبـة بنفسها، وتسمى – نقـلاً عن عبدالله بن رداس في كتابه شاعرات من البادية– مكيدة بنت جمعان الغيثي، وأرادت أن تنال مما حصلت عليه خزنة.

رصدت (مكيدة) الشاعر يوماً وقد ورد غديراً ليسقي غنمه، ودخلت مع الغنم تخوض في الماء، وأبدى أبـو زويـد ببقايا الحكمة تذمره من تعكيرهـا الماء فردت بالسلام عليه مبدية أسفهـا على هذا الاستقبال الـذي لم تتوقعـه وربما ظهر منها مـا يفيد أنها أتت يحدوها الشوق لرؤيتـه بعدما سمعت عنه وعن شعره، وغادرت المكان جزعاً دون أن تخبره عن اسمها.

بقيـت صـورة تلك الفتاة الجميلة في مخيلة أبي زويد مـع مرور الأيام، وبدأ يتقصى ويبحث عنها حتى استـدل علـى أهلها. ثم قصد بيت أبيهـا خاطباً، وعرض الأب الأمر على ابنته وأشـار عليها بقبوله مبدياً تخوفه من هجاء الشاعر الخاطب إذا قوبل طلبه بالرفض.

وافقـت (مكيدة) مشترطة أن يكون الزواج مدة محدودة علـى أن تبقى عند أهلها. وتزوجها وأصرت على تنفيذ شرطها بعد المدة المتفق عليها، وغادر أبو زويد موصياً الأب أن يقوم بالوكالة عنه بتطليقها إذا لم تحمـل، وعاد هذا الذي قال في الشكوى (هذا زمـان من تواليه أنا ذال) لما علم أن مكيدة حامل وأصبحت -كما قال ابن رداس- زوجته وأم أولاده.





الذعرة البيضاء التي تسمى في المملكة بأسماء محلية (شعبية) أخرى منها (الصـعوة البيضـاء، والمسْلَق أو المسـيلق، و الفُتّاح، و أم حمـدان) وتعـرف في المصـادر المتَخصصـة في الطيور باسـم الذُعرة البيضـاء، وتضـم فصيلة الذعرات أيضـاً أنواعاً أخرى منها الصعوة الصفراء في الصورة التالية (أسفل). ومن الأمثال المشهورة قولهم (مثل بيض الصعو يذكر ولا يشاف). والمعروف أن طيور الصعو هي من تلك الأنواع المهاجرة التي تعبر أراضي الجزيـرة العربيـة مرتين في العام الواحد وليسـت مـن الأنواع المحلية التي تبيض وتفرخ وتتكاثر فيها. وتتغذى بشكل رئيسى على الحشرات الصغيرة. وفي الصورة الثانية الذعرة (الصعوة الصفراء

محيّر بيض النعام
معركة بين سبع قبائل بسبب بيض حبارى

عُرف بعض شيوخ قبيلة بني خالد بلقب (محيّر بيض النعام)، ومن أشهرهم سعدون بن عريعر الذي قال عنه الفارس شايع الأمسح الشمري لما سجنه ابن عريعر عدة سنوات حتى تمكن ابنه من فك أسره:

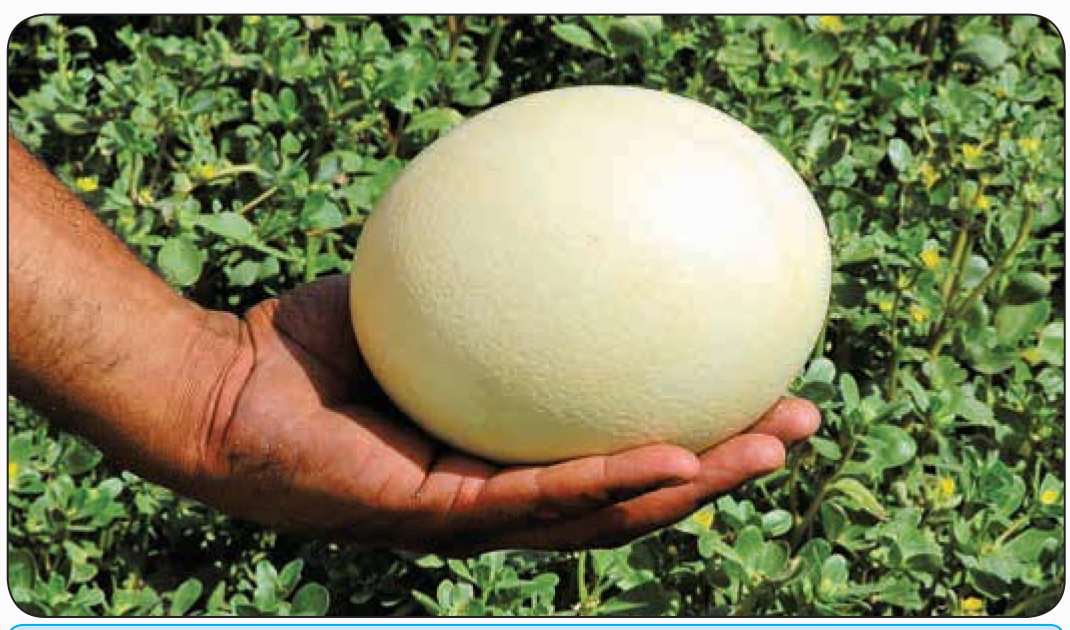
مضى لي ثمان سنين في حبس خيرّ	وبالتاسعة جاني صدوق الفعايل

إلى أن يقول فيما قيل أنه قصد سعدون بن عريعر:

فرس من حمى بيض النعام عن الملا	شيخ تخضّع له شيوخ القبايل

وفي بعض المصادر يروى هذا البيت على النحو التالي:

فرس من حمى بيض الحباري عن الملا	شيخ تخاضع له شيوخ القبايل



بيضة النعام

ومن شيوخ بني خالد ماجد بن عريعر (توفي عام ١٢٤٥هـ) عُرف عنه أيضاً أنه يمنع الناس من أكل بيض النعام والحبارى. وربما كان هذا المنع بسبب أن الناس سيقضون على النعام بأكل البيض واستخدامه كأداة لحفظ البارود بعد تفريغه من المح، مما يؤدي إلى عدم تكاثر النعام ثم انقراضها فيكون المانع بذلك صاحب وعي بأهمية تقنّين الصيد والمحافظة على الأحياء الفطرية في تلك الحقبة التاريخية التي سيطر فيها الجهل على حياة عامة الناس. وقد يكون مردُّ المنع سطوة الحاكم وحب الاستئثار بامتلاك ما تجود به الطبيعة خاصة أن بعضهم كان مولعاً بصيد النعام. أو قد تكون هناك أسباب أخرى.





النعام طيور كبيرة لا تطير، وقد كانت منتشرة في مناطق واسعة من الجزيرة العربية قبل أن تنقرض، ويرجح أن عام ١٩٤٣م هو عام انقراض النعام العربي من الجزيرة العربية

وقد حدث في عام ١٢٣٨هـ مناخ (معركة) الرضيمة بين قبيلة بني خالد بقيادة ماجد بن عريعر يناصرهم أفراد من قبيلتي عنزة وسبيع وغيرهم، وفي الجهة المقابلة قبيلة مطير بقيادة فيصل الدويش ومعهم قبيلة العجمان والدواسر والسهول. وقال ابن بشر في (عنوان المجد في تاريخ نجد) عن هذه المعركة ما نصه: (ووقع بينهم مناخ طويل وقتال بين الخيّالة والرجّالة، ثم زحفت الجموع على الجموع وتضاربت الفرسان وتعانقت الشجعان، وحصل قتال شديد يشيب من هوله الوليد).

أما لماذا حدثت هذه المعركة، فقد جاء في بعض المصادر أن شرارة الحرب تعود إلى أن ابن عريعر قتل عدداً من قبيلة العجمان بلا سبب. وفي كتاب بعنوان قاموس البادية ذكر مؤلفه شاهر المطيري سبب قتلهم، رغم أن الكتاب يبحث في الموروث والشعر الشعبي دون أن ينسب مئات الشواهد الشعرية إلى أصحابها، ما يعني أن مثل هذا الكتاب قد لا يُعول عليه كثيراً في تسجيل ورصد الأحداث التاريخية. وعلى أي حال جاء في الكتاب تحت عنوان أسباب معركة الرضيمة ما يفيد أن عشرة رجال من قبيلة العجمان كانوا في رحلة عابرة؛ ومعهم من لا ينتسب إلى القبيلة، توقفوا في طريقهم وعثروا على بيض حبارى وأكلوها، ثم تابعوا رحلتهم إلى أن مروا على منازل آل عريعر فباتوا ليلتهم فيها. وأخبر مرافقهم (الذي لا ينتسب إلى العجمان) ابن عريعر سرّاً بأن هؤلاء الرجال خالفوا أمره وأكلوا البيض، فما كان منه إلا أن قتل العجمان وأطلق سراح واحد منهم بقصد أن يذاع الخبر وينتشر بين الناس فيحذرون من أكل البيض ويأخذون تهديده على محمل الجد.

وفي تلك الحادثة التي لم يسلم منها سوى رجل واحد قيل:

ركب من العجمان ربي رما بهم مثل الجلب صكّوا عليه القصاصيب

وكان رد فعل العجمان السعي إلى الأخذ بالثأر فطلبوا المساعدة من القبائل المذكورة، وفي ذلك قال شاعرهم علي الخفيف العجمي:

رحنا وجبنا بالدويش المسمّى له هجمة عند الضحى ينحكى بها
ورحنا وجبنا بالسهول وخلطهم برازية بالضيق تروى حرابها
ورحنا وجبنا بالدواسر اولاد زايد اللي تحابا بالاحدّة ركابها

استمرت المعركة (المناخ) سجالاً ما يقارب ثلاثة أشهر، وانتهت بتراجع كل طرف إلى موقعه بعد أن تكبد الجميع خسائر في الأرواح والممتلكات.



من الأساطير أو الخرافات الشعبية قديماً التي قد يُفهم منها أن الآباءِ في (عصور الجهل) لديهم (اعتقادات) تجاه طيور النعام، حيث يزعمون أنها تتزاوج بواسطة دمع العين، ووفقاً لهذا الزعم يقترب الذكر بعينه فيذرف دمعة على عين الأنثى. والحقيقة أن النعام تتزاوج مثلها مثل الطيور الأخرى لكنها تتبع نفس طريقة الجمل والناقة فتنزل الأنثى برجليها على الأرض للذكر وتتم عملية التلقيح.

وربما تعود بنا مثل هذه الصورة إلى الماضي فنتصور أن النعام أطلق صوته وذرف الدموع كلها قبل أن ينقرض نهائياً من الجزيرة العربية مثلما ستذرف الأجيال القادمة الدموع على الطيور والحيوانات التي تعيش في المملكة وسيقضي عليها الصيد المفرط

الرخمة

شمت لك من لابتي لما لومي	داخل في خاطري آخذك عشاقة
يا شبيه اللي على الرمة يحومي	أبرقٍ الجنحان رجلينه دقاقة

هذان بيتان لشاعرة، هي بنت لرجل يُدعى بادي العضيباوي الشمري، قالتهما لما تزوجت رجلاً تخيرته من بين أقاربها متوسمة أن يكون ذا خصال حميدة، وأسقط في يدها بعد الزواج والمعاشرة، وانكشفت الحقيقة على عكس المتوقع. وفيما يظهر أنها في البيت الثاني شبهت زوجها بطائر الرخمة الذي إذا ذكر تبادر إلى الذهن معاني الجبن والتحقير وسوء التدبير والتصرف.



شبراق

الرخمة طائر من فصيلة النسور، وكلمة (يا رخمة) هي أشبه بالشتيمة وما زالت تستخدم إذا أراد شخص أن يحتقر أخر ويصفه بسوء التدبير والجبن

والرخمة طائر من فصيلة النسور يعرف في المصادر العلمية باسم النسر المصري. أما في مصادر التراث العربي فهو (الأنُوق)، وجاء في لسان العرب أن (الرَّخَمَة: طائر أبقع على شكل النَّسْر خِلْقَة إلا أنه مُبقَع بسواد وبياض يقال له الأنُوق، والجمع رَخَم ورُخْم) وفي مقاييس اللغة ورد أن (الرَّخَمَة: الطائر الذي يقال له الأنوق، يقال سمّي بذلك لرَخْمته على بيضته، يقال إنه لم يُرَ له بيض قطّ) حيث تضع الأنثى بيضها في أعالي الجبال. وفي أمثال العرب قيل (أبعد من بيض الأنوق) للدلالة على كل شيء تصعب مشاهدته ويندر وجوده.

وتشاهد في صورة النسر (الرخمة) لونه الأبيض، ولوناً أسود في أطراف الجناح، أما الرأس والرقبة فلونهما أصفر، وله منقار (منسر) شبه مستقيم مقارنة ببقية أنواع النسور. ويعيش في المناطق المفتوحة والمرتفعات وأطراف التجمعات السكانية، ويوجد في الجزيرة العربية، والعراق، وشمالي إفريقيا.

ويوصف هذا الطائر بالخسة ولا يأكل إلا الجيف، ولا يبذل مجهوداً كبيراً في الحصول على غذائه. ولأن منقاره (منسره) لايمكّنه من تمزيق الجيف فهو يعتمد على ما يسقط من كبار النسور عندما تتغذى، ويخاف من الحيوانات الحية بما فيها الحيوانات غير المفترسة التي تصغره في الحجم.

ومن الشائع قديماً وحتى في الوقت الحاضر في المملكة أن يوصف الشخص الجبان بهذا الطائر. وإذا قيل عن شخص أنه (رَخَمة) تبادر للذهن الجبن والتحقير وسوء التدبير والمعاملة على العكس تماماً عندما يوصف الرجال بالصقور، وهو وصف يأتي غالباً في قصائد المدح والفخر في الشعر الشعبي قديمه وحديثه، ومن ذلك قول الشاعر عبدالله بن صقيه التميمي:

افتخر باللي تداريه عدوانه	الرخوم اللي تراخا ما ادانيها
مالحرار اللي توالف كرّوانه	الحرار اللي تنادى باساميها
ما تساوى صقور نجدٍ وغربانه	الطيور أنواع يا جاهلٍ فيها

وثمة دراسات علمية وصفت طائر الرخمة بالذكاء بعد أن رُصد في إفريقيا يأكل بيض النعام؛ حيث يحمل حجراً بمنسره ويقذفه على البيضة فتتكسر ليتغذى على ما بداخلها.



العقاب

ومن الأخطاء الشائعة لدى عامة الناس وفي بعض الكتب تسمية كل الطيور الجوارح الكبيرة بالنسور، فيقع هذا الاسم على طائر العقاب. لكن العقاب؛ وهو على عدة أنواع تندرج في فصيلة العقبان وليس النسور، وعلى العكس تماماً من كل أنواع النسور فصفاته المميزة هي القوة والشراسة والجرأة، ويلقب بسيد الجوارح؛ فما من طير إلا ويخشاه، ويتميز عن بقية الجوارح بالبطش والفتك بفرائسه التي لاتكون إلا من الحيوانات والطيور الحية فلا يأكل الجيف إلا إذا غلبه الجوع ولم يجد غذاءه من الطيور والأرانب

بـل والثعالـب وصغار الذئـاب، وقد سجلت مشاهـدات ورُصدت أنـواع كبيرة من العقبـان تقتنص صغار الأغنـام (الحمـلان). وفي موروثنا الشعبـي يأتي وصف الرجـل بالعقاب في سياق المـدح والثناء وإعطاء صفـات الشجاعة والقـوة والبطش. وإلى وقت قريب كان سكان المملكة مـن البادية يسمون أبناءهم باسم هذا الطائر (عقاب).

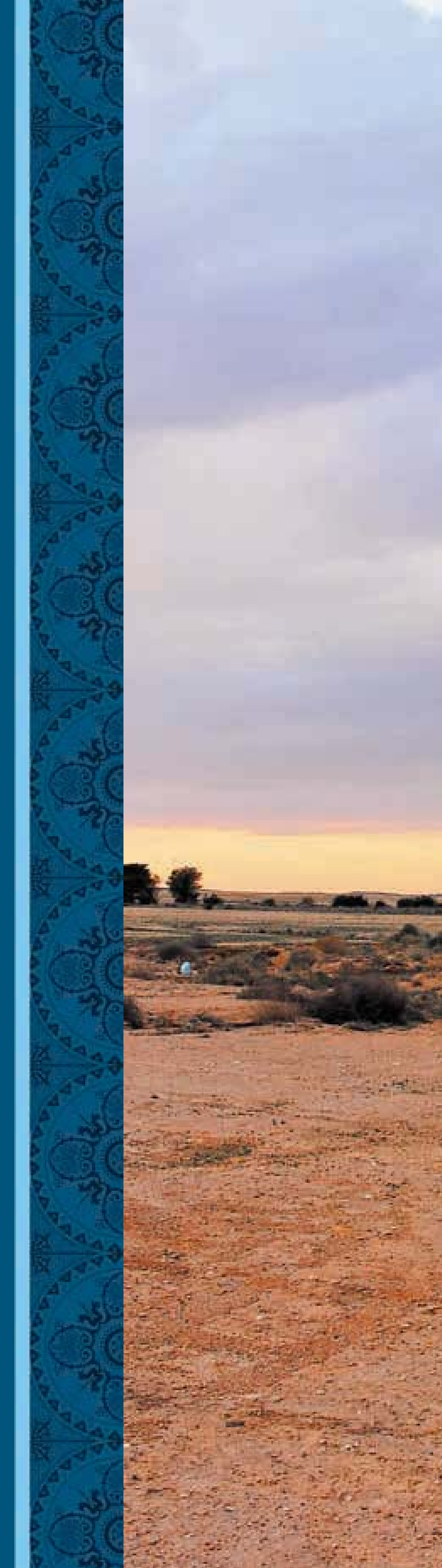


في شهر أكتوبر من كل عام يمكن مشاهدة أنواع من العقبان المهاجرة، في البراري وأطراف التجمعات السكانية

روّاد الصحراء ... محمد اليوسفي

(راكب اللي)

- فواز والسيارات والشعر
- غناء (سيور الهاف)
- صاروخ كروز
- (شيهان مع الجو حلّق)
- إف ١٦
- حتى أم عزيز
- نهاية (راكب اللي)



فواز والسيارات والشعر



في كل بداية فصل من فصول هذا الكتاب نمضي في رحلة مع أبي فواز، فيطرح فكرة وموضوعاً يتعلق بشــأن يهــم بالدرجة الأولى مرتادي الصحـراء، وفي هذه الرحلة يتحدث عن ابنه فواز في شأن لايخرج عن محيط الاهتمام بالصحراء وروّادها. فيُبدي قلقه من تعلُّق فواز بسيارات الدفع الرباعي وشغفه في متابعة مــا يتصــل بها؛ حتى بلغ الأمر من شدة الاهتمــام أن تصفُّحه لشبكة الإنترنــت انحصر بمواقع ومنتديات السيــارات، وأن عنايتــه بالجوال كوسيلة لحفــظ المقاطع المصورة التي يظهر فيهــا مراهقون في مثل سنه يستعرضــون بسيارات الدفع الرباعي طغى على استخدامــه كوسيلة اتصال، ناهيك عن إلحاحه على أبيه مع كل بداية عام جديد أن يستبدل سيارته بنوع جديد من سيارات الدفع الرباعي.

والمظهــر الآخر الذي قــال أبو فواز إنه منزعج منه؛ هو احتفاظ ابنــه بكراسة وضع لها عنوان (راكب اللــي) وتأنق في كتابتها وتزيينها وانتقى طرائف أبيات من الشعر الشعبي جمعها من دواوين شعرية، ومن أشرطة كاسيت زاد انتشارها مؤخراً بشكل لافت بين فئة الشباب من هواة الرحلات البرية والصيد، ففي كل موســم رحلات تسوّق أشرطة جديــدة تحمل نفس المضمون والطابع (مجموعــة من المنشدين يرددون قصائد وأبيات من الشعر الشعبي تصف السيارات خاصة ذات الدفع الرباعي).

قلت لأبي فواز إذا كان يطربك خلف أبو زويد في وصف الإبل من مثل قوله:

يـا راكـب اللـي كنّهـا سلْوَعة ذيـب	حمـرا ولا عمـر الحويّـر غـذى بـه
ياراكـب حمـرا تسـوف العراقيـب	حمـرا تسـوف كعوبهـا في سـبيبه

فإن ابنك سيطرب (على سبيل المثال) للأبيات التالية من شعر لافي بن حمود الغيداني:

راكـب اللـي كـن زولـه زول ذيـب	ان نطحتـه وان قفيتـه مـن ورى
وان عرض لك قلت ما بالوصف ريب	جنـب ذيـب لاحقـه جـوع وعـرى
شاصـي التصـميم لنـد كـروز جيب	مـا يبيعـه مـن شـراه اليـا شـرى
ناحـل الاطـراف تصـميمه عجيـب	مـع سـماح الـدرب مشـيه بختـرى



يقول المؤرخ عبدالله فيلبي في سياق وصف لمظاهر وأحداث عام ١٩٥٤م: (إن الاستخدام المتزايد للسيارة قضى على أعداد كبيرة من قطعان الغزلان في الصحراء السعودية مثلما قضى تماماً على النعام. كما استمرت أعداد حيوان المارية (يقصد الوضيحي) في التناقص في مناطق الربع الخالي، علاوة على أنها كانت قد انقرضت في مناطق الشمال منذ أكثر من عشر سنوات). وفي رؤيته التحليلة لهذا الوضع قال: (إن العربي الذي اعتاد على عيش الكفاف تجده لا يشعر بوخز الضمير لفناء معالم تراثه). وحقيقة الأمر أن فيلبي يشخّص واقعاً لازال سائداً دون أن تتصدى لسلبياته حملات وبرامج وطنية شاملة لتحقيق الوعي، فكثير من هواة الصيد لازالوا يستخدمون السيارات والبنادق المتطورة في ممارسة فوضوية للهواية ولم يتبقّ أمامهم إلا أعداد قليلة من الأرنب البري والوبر، أما الضبّ فيلاقي في السنوات الأخيرة هجوماً كاسحاً بسبب أنه الحيوان الوحيد الذي لا زال موجوداً في معظم المناطق. وستؤدي الطفرة في سيارات الدفع الرباعي وزيادة نسبة مستخدمي الإنترنت وأجهزة الملاحة والاتصال- خاصة لدى هواة الصيد- إلى الوصول إلى كل أماكن تواجد الضبّ وبالتالي القضاء عليه سريعاً

يا أبا فواز: الأمر ببساطة أنك من جيل مختلف عن جيل ابنك في الاهتمام والصفات والسلوك وحتى الذوق أو الذائقة. ولا أرى في الأمر ما يدعو إلى الانزعاج.



قــال أبــو فــواز: أنا مدرك لما تقــول ولا يهمني كثيراً فساد ذائقــة ابني والجيل الذي ينتمــي له بأكمله، لكــن هذه الأشرطــة والطرب و الشعر سيؤدي إلى تفاقــم الأمر، وأنت تعرف أن الشعــراء يتبعهم الغاوون والمنفلتــون. ونحــن لسنا بحاجة لمــن يوظف الشعر ليغــذي هذا الاهتمــام ويوصل أبناءنــا إلى (التفحيط والتهور) الذي قد يعقبه الموت بسبب الاستخدام السيئ للسيارات.

قلقــك على ابنــك مشروع يا أبا فــواز، وينبغي أن تسعى للسيطــرة على ألا تؤثر هوايتــه على تحصيله الدراســي، وبالتــالي مستقبلــه ومستقبل الوطن الذي سيعتمــد على هذا الجيل في يوم مــا، لكن فواز مثل كثيريــن لديهم مخزون من الطاقة والنشاط وربما الهوس بحاجة إلى تنظيم أو (تصريف) بشكل يبعدها عــن الفوضى، وإلا مــا المانع من وجود أندية منظمة للسيارات وسباقاتهــا حتى في (التفحيط والتطعيس) كــي يفرغــوا فيها طاقاتهم في هــذه المرحلة الحرجة، بدلاً من التسكع والتجمهــر في أطراف المدن والقرى في تجمعــات (التفحيــط) التي لاتخلو من أولئــك (الدشير) الذيــن يتصيدون أفراد هــذه الفئة العمرية ويزينــون لهم ألواناً مــن الفساد. ودعك من الفعاليــات التي تستغلُّ فيها بعض الجهــات المعنية بالسياحة مواســم الرحلات البرية و(تستورد) لهــا أبطال سباقات الراليات من خارج الوطن فيما يسمونه (سياحة الصحــراء). إن سياحــة الصحراء في هذا الجانب لن يتفاعل معهــا الشباب إذا كانوا عاشقين للصحراء ودورهــم لا يتجاوز المتفــرج. هم يحتاجون إلى من ينظم لهم الميدان ويتفرج عليهــم. ولا تُحمّل يا أبا فواز الآخريــن أو الشعراء ما لا يحتملونه. ومــا علينا من هذا كله، حدثنا عن كراسة (راكب اللي) بما فيها من شعر وصور.



غناء (سيور الهاف)

استرعـت اهتمـام بعض الشعـراء الشعبيين واحدة من أوائـل السيارات التي دخلـت إلى المملكة وبدأ ينتشـر استخدامهـا في الخمسينيـات والستينيات من القـرن العشرين وهي من نوع (فـورد) التي رافقت سكان البادية والحاضرة في حلهم وترحالهم، وربما بهرتهم إلى حد أن سائقها في تلك الحقبة يُعدّ بمنزلة قائـد طائرة ماهر بمعيار الوقت الحاضر. وثمة قصائد للعديد من الشعراء الشعبيين في وصف السيارات مطلعها غالباً (راكب اللي). وحتى الشاعرات ركبن (راكب اللي)، فالشاعرة نورة السبيعية تصف سرعة هذه المركبة (الراحلة)، وربما قصدت سيارة فورد، فتقول:

راكب اللي لا مشى يسهي سهياني	ما يداني رجل سواقه تنوشه
إن عطا له مع طمان أو بياني	والدريول شد سكانه يهوشه

وعنـد الحديث عن هـذه السيارة فإن كثيراً من متابعي شعر وصف السيـارات يتذكرون الشاعر بندر ابن سرور (توفي عام ١٤٠١هـ) الذي قال في (الفورد) أو كما تنطق (الفرت) أو (ونيت الهاف) في تسمية محلية للتفريق بينها وبين شاحنة من فورد تسمى (اللوري):

ان نعشته بالثلاثة مع اللفة عوى	عوي ذيب محتدينه مربية النعاج
ثابت ما يختلف كل ما لف انزوى	وارتفع ثمً ارتخى مثل طايرة المراج

وقال أيضاً

يوم يتخشع في محير الاداعيب	يشدى تخشع جادل في حريره
لا يجربونه ما يا الفرت تجريب	قد جربه بالبيت الابيض خبيره

وقال:

ياعبيد غنّ سيور الهاف	لا يا بعد كل من غنّا
عرق الابيتر رماه خلاف	ودليلته واحدٍ منّا



صاروخ كروز

سـرت قبيل النكسـة في الدول العربيـة حملة مقاطعة ضد بعض الشركات الغربيـة فأوقف استيراد سيارات (فورد) التي توارت فيما بعد، وبرزت بدلاً منها عند عشاق الصحاري سيارة (GMC)، أو كما كان يطلـق عليها (الجمس الحمر) للتفريق بينها وبين سيـارة أخرى من نوع (شيفر) سميت آنذاك (الجمس المُصَفّـح). ولهذا توارى (القصيد بالفرت) فوجـه المهتمون بالسيارت من الشعراء الشعبيين شعرهم إلى (الجمس الحمر) وإن كان شعر بعضهم يأتي في سياق قصائد المراسلات التي تتضمن عادة ذكر المرسل ووصف راحلته أو (مركبته).

الشاعـر سعد بن جدلان الأكلبي، وهو واحد من الشعـراء الشعبيين المعاصرين كأنه يشير إلى إعجاب الذيـن سبقـوه بـ(الجمس الشكمانـين أو القزوزين) الذي منـح تاج سيارة الصحـراء الأولى بعد انقطاع (الفرت)، فيقول ابن جدلان:

ياراكـب اللـي صـممته الولايـات	اللـي امريـكا فالمصـانع تصبـه
تصـميم شـركة كلهـان الخواجـات	ومـورده مـن نيويـرك ونصبـه
سـاعة فتـح بابه عطـوه السـويكات	شـغل وللمـاء مـع قـزوزه يصبـه
قـام يتسـمع وش تقـول القـزوزات	لهـي تقـول ابغـاك ممـه وببـه

وفي الأبيـات التاليـة يسمـي الشاعر عبـدالله بن عبار العنزي هـذا السيارة؛ التـي أطربت بن جدلان بصوت (القزوزات)، باسمها المعروف آنذاك (الجمس الحمر)، فيقول العنزي:

جمسـن حمـر يمتـاز عـن كل وانيت	ولا صـار مثلـه في تكاسـي وهافـات
وانـا اذكـر الله كان للبنصـن رصيـت	كنـه كـروز الى انطلق من منصـات
يا كثر اللي من سومته قال هجيت	يطلـب عليـه مـن المبالـغ الوفـات
يبهـج ضـمير اللـي يحب المكاشـيت	آخـر مديـل ودخلـوا فيـه اضافـات
لـو كنـت مرهـق لا ركبتـه تعفيـت	والـدرب سـمح ولا بدربـه مطبـات



(شيهان مع الجو حلّق)

مثلما نظم شعراء شعبيون؛ قبل دخول السيارات، قصائد تستقل بوصف الإبل (الراحلة) محبة وإعجاباً بها، بالغ شعراء في قصائد طريفة تصف السيارة (المركبة) وصفاً يحركه الإعجاب ويدفع به إلى مسافات بعيدة في خيال الشاعر. وعندما تتابع القصيدة التالية للشاعر أحمد الفريسي الجربا، والتي سمعتها من برّاك الفريسي الجربا بلهجته الشمالية العذبة، ربما بدا لك أنه يصف مارداً عندما يقول:

دايم على خوض الصعيبات يشفق	لا شاف صعب قال ربي رزقيا
عزمه قوي ما عمر يوم تعلّق	يا شاف حمر النفد فاع انطلقيا
يشبه لشيهانٍ مع الجو حلّق	يا جاك موحف شايف له سمقيا
يا شم راس الطّعس ارقب ودنّق	والقَمْه نمرة وانتهضٍ وانصلقيا
يفرح اذا شاف الوعر ويتشقق	قلبه حديد وقلب غيره مزقيا

ولم يكن هذا الذي تشُوقُه الصعاب سوى:

جيب زرق بالبيد معها تمزلق	اللي لمتاهات الفيافي عشقيا
أركى على كبد المواتر وحرّق	من بينهن يشدى لميع البرقيا
الجمس والتايوت والفرد الاخرق	كله مع البترول خاق وخقيا
كنق الصحاري دقدق خشومها دق	دقدق خشوم اللي تريد السبقيا



إف ١٦

في القصيدة السابقة حلق الجربا بسيارة النيسان (البترول) مع الشياهين، أما الشاعر حمود بن نايف العنزي فيذهب لأبعد من ذلك في هذا الذي يقول عنه:

بيّن كما ابو الهول مبنى الفراعين	كله حجر ما به حديد وطوبه
وبين المواتر سكبته تجلي البين	سكبة زعيم ومحتفل في خطوبة
وحمولته بالكيلو الفين والفين	على الشدايد فيه عزم وصلوبة
من قوته يصبر على الزين والشين	الطقس ما همه جليده وشوبه
ولا قبل كما الجاكوار والا السكستين	في وقت غارة والعدو ولعوا به
ولا عرض شهاب مرسل للشياطين	ضرب غلاف الجو واحدث شبوبة
ما يمنعه لا رمل لا حجار لا طين	غريب ما تمشي المواتر دروبه
وان قلت للسواق يا اللخو من وين	يعطيك علم ارض قفر ما وطوا به

وهذا الذي حلق به الشاعر مع الشهب والطائرتين الحربيتين (إف ١٦، والجاكوار) لم يكن إلا:

لاند الكروز اللي تعشقه ملايين	قبل يجي للشرق تباشروا به

جاء في كتاب صدر في عام ٢٠٠٦ لأحد المتخصصين في دراسات البيئة الصحراوية بأن انتشار السيارات والبنادق الحديثة واستعمالها في الصيد في صحراء الجزيرة العربية بعد الحرب العالمية الثانية استعمالاً سيئاً؛ حيث بلغ حد أن الرجل الواحد يصطاد ما معدله (١٠٠) غزال في اليوم الواحد، ولهذا فليس غريباً أن تنقرض الغزلان بسرعة. ولازالت السيارات والبنادق تستخدم في الصيد مع عدم توعية هواة الصيد؛ الذين ورثوا الصيد الجائر وتشربوه جيلاً بعد جيل، التوعية الشاملة التي يصمم لها برامج متنوعة تراعي تنوع فئات المتلقين واختلاف خصائصهم.



يحتفظ المؤلف بالمصدر

حتى أم عزيز

للشاعـر محمد بن سعد الشمـري قصيدة طريفة يقارن فيها بين (الفـرت) وبين (الددس) ويقصد سيـارة من نوع (بيك أب داتسون) التـي أُطلق عليها في بعض مناطق المملكة (أم عزيز). وربما كان يشير بشـكل غير مباشـر إلى المعاناة التي واكبت شراء واستيراد (الفرت) قبـل عشرات السنين عندما لم تكن قطـع الغيـار متوافرة مع ندرة وجود الفنيـين المتخصصين في إصلاح الأعطال بحيـث ينتهي أمر السيارة المتعطلة إلى الإهمال والتخلي عنها قبل أن تكمل عمرها الافتراضي. وقال الشمري:

صـنعة اليابـان صـنعة مسـتقلة … اعدمـت صـنع اليهود السـرمداني
يـوم راح الفـرت راح الفقـر كلـه … ويـوم كـثر الددس تو الوقـت زاني
لـو هـو فـرت كل قراش بـه تفلـه … يخلـي الـدزدان ويقصـي بالاهـالي
وقـد شـرينا الددس وذقنا لـذة له … مـار ضـعاف الناس تمـدح كل فاني
مـن أسـعفها بالوعـر في ماقف لهٍ؟ … يـوم اسـعاف الفـرت يبطـي بالمكان
أيهن اكثر بالشوارع من فطن له ؟ … وايهـن اكـثر بالجفـورة دهلـكاني؟

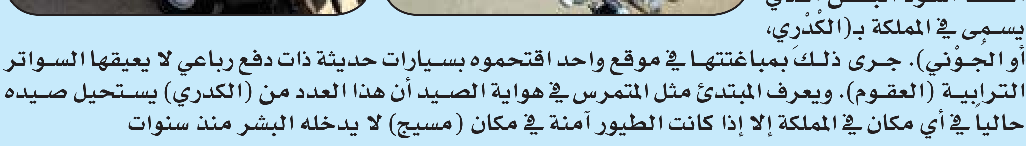
ومثـل هذه المقارنة الناقمة على (الفرت) لاتخلـو منها القصائد التي تصف السيارات الجديدة، ومن ذلك البيت الأخير فيما قاله الشاعر لافي بن حمود الغيداني:



راكب اللي لا شتغل كنه بوضع السكوت ... جيب لاندكروزر يدنّي بعيد النوا
ان وقف مقفي كنه شيخ بحالة قنوت ... وان وقف مقبل وجه فتنة اصحاب الهوا
عيبه مع الدرب زود الرّساوة والثبوت ... ثابتٍ ثبوت جندي قدم رتبة لوا
شهرته غطت على شهرة ايام الفروت ... لو قالوا.. عصره وعصرهن ما هو سوا



بين عدم قدرة سائقي المركبات على إصلاح السيارة وعدم توافر قطع الغيار وندرة فنيي الإصلاح التي صاحبت بدايات دخول السيارات إلى المملكة، وبين تعقيد الأنظمة الكهربائية والإلكترونية للسيارت الحديثة، لازال كثيرون يهملون فحص السيارة بشكل دوري للتأكد من سلامتها قبل القيام برحلات في صحاري المملكة الشاسعة. وأصدق شاهد على ذلك الأخبار الموسمية التي تجدها في وسائل الإعلام عن موت من تهاونوا في ركوب متاهات الصحراء دون التأكد من سلامة المركبة فتعطلت بهم



يحتفظ المؤلف بالمصدر

هذه الصور التقطت في شتاء عام ٢٠٠٦م لمجموعة أشخاص (استمتعوا) في يوم واحد بصيد عدد (١٦٠) من أحد أنواع الطيور التي تتناقص بشكل حاد مؤخراً، وهي طيور يعرفها الصيادون بحذرها الشديد وهي القطا أسود البطن الذي يسمى في المملكة بـ(الكُدْري، أو الجُوْني). جرى ذلكَ بمباغتتها في موقع واحد اقتحموه بسيارات حديثة ذات دفع رباعي لا يعيقها السواتر الترابية (العقوم). ويعرف المبتدئ مثل المتمرس في هواية الصيد أن هذا العدد من (الكدري) يستحيل صيده حاليا في أي مكان في المملكة إلا إذا كانت الطيور آمنة في مكان (مسيج) لا يدخله البشر منذ سنوات

أعود بك عزيزي القارئ من دائرة الحديث عن السيارات واستخدامها في الصيد الجائر إلى موضوع فصل (راكب اللي)، فالواقع أن الاهتمام بالسيارات وسباقاتها بلغ منذ عدة سنوات عند فئة من الشباب في أكثر من مدينة إلى حد يعرف بـ(الترهيم)؛ إذ يتخصص بعضهم في توليف سيارات تُنتج في ورش خاصة للخروج بأنواع من السيارات تجمع بين غرابة الشكل وقوة المحركات من أجل الاستعراض فوق الكثبان الرملية في ساحات وتجمعات فوضوية أصبحت معروفة ومكشوفة، ومقلقة -بما تنطوي عليه من ممارسات- للآباء والتربويين. ولا غرابة في تزايد هذه التجمعات في أطراف المدن والقرى، فما من جيل منذ عرفنا السيارات إلا وأصيب بالإعجاب أو العبث بمقدرته على قيادتها ومارس (فنّه) بطريقة أو بأخرى إلى أن يخف الاعجاب ويتلاشى العبث بعد تجاوز عنفوان الطاقة وطيش الشباب، والفارق بين جيل الأمس وجيل اليوم أن ما كان (عبثاً) يُمارس على استحياء أصبح (فناً) له منظموه خاصة في المدن التي تقع بالقرب من حواف كثبان الدهناء، لكنه تنظيم بعيد عن المرمى المباشر لأعين الآباء وفي غفلة من الجهات التي يهمها الضبط والانضباط. وربما وجدت – عزيزي القارئ – بعض الحل في مقال الأستاذ أحمد الفهيد في (نهاية راكب اللي).

نهاية (راكب اللي)

بقلم الإعلامي السعودي / أحمد بن سليمان الفهيد

لو أنني استمعت الآن إلى بيت من الشعر كتبه صاحبه حديثاً وجاء فيه وصف للإبل كوسيلة تنقل وسفر ومراسلات سأتهم كاتبه بالكذب والتزوير لأنه ينقل للأجيال التي تليه معلومات خاطئة عن الزمن الذي عاش فيه، فليس من الجائز التحدث عن الإبل بينما السيارات تخنق الشوارع بكثرتها وتلوث الأسماع بصرير عجلاتها وأبواق تنبيهها والضجة الصادرة عن محركاتها، ليس من المنطقي تقبُّل هذا الاستخدام المخادع للإبل، وليس من المنطقي أيضاً أن يصادر شاعر ما زمنه وعمره ويذهب إلى الماضي الذي لم يولد فيه ليتحدث عنه، لأن هذا غلط تأريخي وتصرف غير حكيم..!

ثم إن السيارة تقوم مقام الإبل والبيت مقام الخيمة و(الهمبرجر) مقام (الجريش)، صحيح أن هناك كمّاً كبيراً من إرثنا يعيش معنا حتى اللحظة لكن يجب الاعتراف أن استخدامه هامشي ويأتي من باب التشبث بالجذور لا أقل ولا أكثر..!

لكن إن أسهب شاعر في وصف سيارته التي تقاسمه مشقة أو متعة رحلاته البرية سأعتبر ذلك أمراً منطقياً وربما مفيداً أيضاً..على أساس أنه يتحدث عن بيئته بغض النظر عن قبولي لهذا النوع من القصائد أو عدم قبوله..ولا يبدو لي أن هناك رابطاً بين القصائد من هذا النوع وبين محبة (طلعات البر)..!

فأنا وأعوذ بالله من هذه (الأنا المهلكة) مدمن رحلات بر وأقطع مئات الكيلو مترات أحياناً من أجل الذهاب إلى منطقة برية منعشة وأتلذذ بمغامرات الصيد الشهية، وإن كنت لا أصيد ليس خوفاً من قتل ما أحل الله لحمه وإنما لأنني لست قناصاً ماهراً ولا لياقة عندي تساعدني على ملاحقة الطريدة...المهم أنني وعلى الرغم من هذا الحب للبر شكلاً ومضموناً لا أجد في القصائد التي تصفه وتصف أجوائه ما يثير انتباهي أو يحرك مشاعر الإعجاب عندي ولا أرى أن رواج هذا النوع من القصائد بين العامة كثير لدرجة الاعتقاد أنه مطلوب..وبصدق لا أعلم إن كانت أسواق الكاسيت تروّج هذه الأشعار لتتكسب من ورائها..!

هناك من يبحثون عنها حتماً ويحفظونها عن ظهر قلب لكنني أظن أنهم فئة محدودة ولا علاقة لولعهم بها بعشق الرحلات البرية، فالاستمتاع لا يتحقق بهذه الطريقة ومتعة البر كما أشعر بها تكمن في البر نفسه وفي الرحلة ذاتها وفي الأشخاص الذين معك وفي برنامج (الطلعة) ثم ما يترتب عليه من ذكريات..!

وربما يكون هؤلاء المولعين أو المهتمين بقصائد وصف السيارات هم من هواة السيارات لا البر، وعليه فإنني أرى منحهم ما يستحقونه من اهتمام عن طريق إقرار برامج سياحية آمنة تتعلق بسباقات السيارات ومنافسات (التطعيس) وتحديات استعراض مهارات قيادة السيارة وإقامة معارض خاصة (للترهيم) وأكثر من ذلك، في مواقع خاصة مجهزة أمنياً وإسعافياً ومعدة للمشاركين وللجمهور في مناطق المملكة



الكبرى بدءاً بالعاصمة.. فمتابعة أخبار السيارات وملاحقة موديلاتها وتقصي مواصفاتها والتمتع بطريقة أدائها هو شكل من أشكال الهواية يجب ألا يستكثر على الشباب..!



أخيراً: لست هنا إلا واحداً منكم مواطناً وشاباً و(هاوي رحلات بر وصيد)، ولا أريد أن كون بمثابة الوصي والناصح والمنظّر الكبير، وكل ما ورد أعلاه هو مجرد تعليق أو رأي أو مقترح يحتمل الأخذ والرد...المهم أن نصل في نهاية الأمر إلى فهم حقيقة واحدة: أن التسلية يجب ألا تكون عبئاً على أحد أو هكذا أظن..!

والشكر من قبل ومن بعد للأستاذ محمد اليوسفي على اهتمامه المبهج والذي يشرح الصدر و (يبلّ الكبد) بإصدار مثل هذه الكتب التي توازي في مجهودها الفردي أو تزيد على ما تقدمه مؤسسات عملاقة وبكوادر كبيرة وميزانيات ضخمة..... والشكر أولاً وأخيراً على دعوته الكريمة لي لأكون جزءً من إصداره الجديد الذي أتوقعه وأتمناه نافعاً لي ولغيري من الناس.

روّاد الصحراء ... محمد اليوسفي

الملحق الأول
خلف القصيد

- بعير ابن حميد وسنة البروق في حائل
- ابن هذال والمطيري والحماط
- البدوية والزملوق
- أمرّ من الشري
- وسادة الخلاوي
- غزالة العنزي
- (الفقع في جنب الرقه والعلم بالتأكيد)
- قحويان في زبارة
- عين ابن دويرج والنقيع
- جويدل ابن سبيل و الهراس
- الشويعر والحمنانة
- ابن لعبون والخازباز
- ابن شريم والدغلوب
- ابن طواله والذرناح
- أم سالم : أم صالح
- الغرنوق والسبيل، وشاربك لا طال

بعير ابن حميد وسنة البروق في حائل

قيل في وصف بعير:

عليه خرج من سلوك الحريري   عصاه عود البروقه عقب ما فاح

قبل أن نأتي إلى من نسب إليه هذا البيت، فيما يلي لمحة لمعاناة الأباء عندما تشتد عليهم سنوات الجدب ويضطرون إلى أكل نباتات رديئة في قيمتها الغذائية، ومنها نبات البرَوَق أو (البرّوقه) وفقاً لتسميتها في البيت المذكور.

ربما لا زال بعض كبار السن ومن يهوون الإقامة والتنقل في الصحراء خلال فصل الربيع يأكلون نباتات بريّة مثل القريص (القرقاص) والحوى والبسباس واليهق (الجهق)، وتلك أعشاب ذات قيمة غذائية جيدة ويمكن أن تؤكل بعد تنظيفها جيداً. وكان يطلق على عملية جمعها وجلبها للأهل والأصحاب (الجَنَا). ويؤكل كذلك فطر الكمأة (الفقع) الذي بلغ مؤخرا أثماناً مرتفعة جداً جعلت بعض المتاجرين يستوردونه خلال فصل الربيع من دول المغرب العربي ويباع على أنه محلي. وأكل تلك النباتات حالياً يعد مظهراً من مظاهر الاستمتاع بفصل الربيع، وربما - بالنسبة لأكل الفقع - عُدّ عند بعضهم مظهراً من مظاهر الترف، ولكن النباتات - كما نسمع من كبار السن - كانت قبل عشرات السنين مصدراً من مصادر الغذاء.

صورة لنبات البروق أو البروقة بأعواده المستقيمة ولكنها ضعيفة، وهذا النبات غير مستساغ حتى للماشية

وكان عام ١٣٤٤ هـ عام مجاعة في منطقة حائل بشمالي المملكة، وأضطر الأهالي إلى العيش على نبات الحنبزان المعروف في بعض مناطق المملكة باسم الحنبزا أو الحنباز، وهو نبات له جذور (درنات) بيضاء تشبه أصابع الجزر الصغير، ولها طعم حلو وغنية بالماء، فكانوا يجمعون الجذور وينظفونها من التراب ويأكلونها نيئة أو مطبوخة، وعاشوا على الحنبزان عدة أشهر.



عشب الحنبزا أو الحنبزان من النباتات المأكولة



وشهدت منطقة حائل أيضاً سنة جدب أخرى أطلق عليها سنة (البرّوق). والبروق نبات صحراوي ينمو في الشتاء من أقل المطر ولا يؤكل لأنه يسبب عسراً في الهضم وغير مستساغ الطعم حتى للماشية. وفي عام ١٣٤٩ هـ اشتد برد الشتاء ولم تهطل الأمطار إلا قليلاً في حائل ولم يجد الناس -خاصة الطبقة الفقيرة- مما تجود به الأرض نباتات يأكلونها سوى البروق الذي نما بكثافة لم تعهد من قبل، فكانوا يحصدونه غضاً ويطبخونه ويتناولونه كحساء، وعاشوا أشهراً على هذه الحالة.

وفي مرحلة متقدمة من عمر البروق عندما تكتمل دورة النبات الحولية (يعوّد) ينتج بذوراً سوداء صغيرة، فاضطر أهل حائل إلى حصد هذه البذور وتجفيفها

وطحنها لصنع الأرغفة أو طبخ ما يعرف بالعصيد، واستمروا على هذه الحالة بقية الأشهر إلى أن مضت سنة البروق.

ويضرب المثل بأعواد نبات البروق في الضعف. وقد ذُكر عود البروق في مساجلة طريفة؛ تنسب إلى تركي بن حميد (توفي عام ١٢٨٠هـ) من شيوخ عتيبة ومحمد بن هادي (توفي فيما بين ١٢٩٨-١٣٠٥هـ) من شيوخ قحطان، شكك بعض الرواة والباحثين؛ ومنهم الباحث فايز بن موسى الحربي، في نسبها إلى الشيخين، ورجح من شكك أن تلك المساجلة هي من عبث الرواة.

فقال ابن حميد – إذا صحّت الرواية أو كانت عبثاً من الرواة- عن جمل لم يوجد إلا في مخيلته:

يا راكب اللي ما يداني الصفيري	هميلع من نقوة الهجن سرساح
أمه نعامة واضربوها بعيري	جا مشّبهاني على خف وجناح
عليه خرجٍ من سلوك الحريري	عصاه عود البروقة عقب ما فاح

إلى بقية الأبيات الطريفة التي يتصور فيها ضخامة الجمل وأنه إذا أراد الشرب فيرد ثمانين بئراً.

فجاء الرد المنسوب لابن هادي في أبيات منها:

يا تركي بن حميد وش ذا البعيري	ما تجلبونه كان تبغون الارباح
لا عاد له خف وجناح يطيري	أنا أذكر الله راكبه كيف ماطاح
كيف النعامة نوختٍ للبعيري	اقول ذا كذب على الناس فضاح

وربما كان مثل هذا الخيال مقبولاً إذا قارنته عزيزي القارئ بمساجلة بين شاعرين، حيث قال الأول يصف جملاً في خياله:

رجليه في صنعا وراسه بسنجار	وعالي سنامه حلّق الطير دونه
وبطنه كبير ويحتمل كلّ الاشجار	عجزوا حشاحيش الملا يشبعونه
الشط شربه والحقه سبعة ابحار	والشط الاخر ما يندي سنونه

فرد عليه الشاعر الآخر، وقيل إنه علي العبيدي التميمي:

والله يا سبع يذكر بالاقطار	سبع يهوّل طافحاتٍ سنونه
نابين بالمشرق وناب بالامصار	تناوشه بالناب واعمى عيونه
وكلا الجمل واقفى ولا كن شي صار	صريخه اللي بالسما يسمعونه

ابن هذال والمطيري والحماط

يا رب عجل بالنظر والعوافي   وافرج لعين قد تدانى نظرها
تسعين ليلة ما تهنيت غافي   كن الحماط بموق عيني جمرها

بيتين لمشعان بن هذال (توفي عام ١٢٤٠هـ) من شيوخ قبيلة عنزة في قصيدة قالها متحسراً لمّا أصيب بالرمد، وأضطر إلى استخدام الطريقة المتبعة قديماً وهي عصب العينين فلا يرى المصاب النور مدة طويلة، ثم وقع غزو على قبيلته فأزال الرباط فسالت عيناه دماً ولم يبصر.

وقريب من ذلك المعنى قول مثّال القريفة المطيري:

يا عيني ياللي نومها بالتململ   كن الحماط مركزٍ في جفونه

ولا يقصد بالحماط شجرة التين البري، المعروفة في بعض مناطق المملكة باسم الحماط، إنما الحماط الذي قصده ابن هذال والمطيري هو ذلك العشب الذي تراه في الصورة، ويعرف أيضاً باسم آخر هو الحَلَم، تكسوه، شعيرات شوكية أشبه بشعيرات (أشواك) ثمرة البرشومي، وهي أشواك مؤذية إذا التصقت (أو ركزت) بكف من يلمسها.



الحماط أو الحَلَم عشب ينمو في الرمال ويصل طوله إلى أقل من نصف متر وترعاه الإبل. له أزهار صغيرة بيضاء إلى وردية تتحول إلى لون وردي داكن أو أرجواني مع مرور الوقت. ويكسو الحماط شعيرات خشنة، وهي مؤذية إذا التصقت بكف من يلمسها

البدوية والزملوق

قالت شاعرة بدوية:

متى على الله يهب الهيف　　　　يومي بعشب الزماليق

جاء في لسان العرب أنه يقال للرجل الخفيف الطَّياش زُمَّلِق وزُمَّلوق وزُمالِق. وهناك معنى آخر يتعلق بحالة الرجل الجنسية، لكن المقصود بالزملوق في قول الشاعرة هو شيء آخر لا علاقة له بهذا المعنى. فالزماليق؛ ومفردها زملوق، في اصطلاح البادية هي فروع الأعشاب التي تحمل أزهارها.



زملوق

ويطلق في البادية اسم الزملوق على بعض أنواع النباتات مثل عشب رجل الغراب ولكن الأكثر في الاستخدام في اصطلاح البادية أن الزماليق يقصد بها الفروع التي تحمل أزهار الأعشاب، وليس نباتاً بعينه، وفي الحاضرة أيضاً نجد هذا الاصطلاح، فيقول الشاعر سعود الهامل القحطاني في مدح صديق له من قبيلة حرب:

من لابةٍ بالهوش تبرا الغليلي　　　　ياما رعن اذوادهم كل زملوق

ومما قاله الشاعر سرور الأطرش (توفي عام ١٢٨٥هـ) في وصف إبل:

تقطف من النوّار وتعاقب الجر　　　　تقطف زماليق اليهق والخزامى

وقال الشاعر مشعان الهتيمي (من شعراء أواخر القرن الثالث عشر الهجري):

ليا روّحت من وادي فيه خمخم　　　　وغير الشقارى نابتٍ له زماليق

وتلاحـظ في الأبيات السابقـة أن (الزملوق والزماليق) يقصد بها جزء مـن النبتة وليس نبتة بعينها.
وإليك فيما يلي النباتات التي جاء ذكرها في الأبيات السابقة:



في الصورة عشبة الحوذان، وتعرف في بادية وحاضرة المملكة باسم آخر هو (النّوار)، لكن كلمة النوار تطلق بشكل عام على زهور أعشاب أخرى تتميز بأزهار فاقعة اللون



في الصورة عشبة رجل الغراب التي تسمى أيضاً (الزملوق)، لكن الزملوق يقصد به بشكل عام في اصطلاح البادية فروع النبات التي تحمل الأزهار. ويظن البعض أن نبتتي رجل الغراب والحوذان متشابهتان.



الشُّقَّار والشُّقَّارى (كما جاء في مصادر اللغة العربية) نبتَة ذات زهيرة فيها حمرة. وتسمى في معظم مناطق المملكة باسمها المحلي وهو (الشّقَارا، أو الشقاره)، ولها اسم آخر في بعض المناطق هو (القْرِينة)، وهي عشب حولي قصير طيب الرائحة، ومن علامات خصب المراعي، وتحبه الإبل



عشب اليهق أو الجهق، واسمه الفصيح الأيْهُقان. وفي الصورة تعلوه (زماليقه)، وهو من النباتات التي تؤكل أوراقها، ولها طعم بمذاق أوراق الجرجير



الخَمْخَم الذي جاء في بيت مشعان الهتيمي يعرف بهذا الاسم في مصادر اللغة العربية، وبالإضافة إلى هذا الاسم يعرف في مناطق المملكة بأسماء محلية أخرى منها (النطي، والرابي) وهو عشب حولي قائم (لاينفرش على الأرض) يصل ارتفاعه إلى نصف متر تقريباً، له أزهار بيضاء كثيرة بلا رائحة، وترعاه الإبل. وهذه النبتة تشبه النباتات التي تستخدم لتزيين باقات الورد في محلات بيعها، وتتحمل حرارة الشمس، ويقف نموها في الصيف وتجف، ولهذه النبتة - سواء بنزعها من التربة أو بقطع فروع منها - القدرة على البقاء على حالتها فترات طويلة، ولهذا يمكن استخدامها في الزينة



عشب الخزامى له رائحة عطرية زكية، ولدى البعض حساسية من هذه الرائحة الشديدة

أمرّ من الشري

قال عبد الرحيم التميمي (مطوع أشيقر) في الغزل:

خليلي لو يرعى الجراد رعيته	أهظّله من حشمته ورضاه
خليلي لو يبزق على الشري ريقه	غدى عسل والتاجر يزيد شراه



الشري أو الحنظل عشب سام سريع النمو، واسع الانتشار في معظم مناطق المملكة، وينمو ممتداً على الأرض، ويصل طوله إلى أكثر من مترين، وتعتبر ثماره أشد أجزاء النبات سميّة

وقد تقبل المبالغة من الشاعر حتى لو كان غير آبه بما يقال بين عامة الناس إنه إذا لمس الشخص قطعة أو شريحة من الحدج - وهي ثمرة نبات الشري - سواء باليد أو بالرجل فإنه يشعر بطعم مرارتها في فمه، وهذا القول ليس له ما يؤيده في المصادر العلمية، كما أن التجربة الشخصية تفيد أن هذا قول فيه مبالغة. والأقرب إلى النتيجة التي توصل إليها أحد مراكز الأبحاث العلمية ما تجده في البيت الأخير من أبيات الحكمة التالية للشاعر عبدالله بن عبد الرحمن العنقري الشهير بعبدالله اللويحان (توفي عام ١٤٠٢هـ) حيث قال:

من عاش في حيلة وكذب وتهاويل	يا سرع من عقب الطلوع انحداره
والطبع ما ينزال غيره بتبديل	مثل الجدي مرساه ليله نهاره
والحنظله لو هي على شاطي النيل	زادت مرارتها القديمة مرارة

فلقد أجرى المركز الوطني لأبحاث الزراعة بالمملكة مؤخراً تجارب علمية لتهجين الشري مع نبات من نفس فصيلته القرعية - وهو البطيخ - للتثبت من احتمال فقدان الشري الطعم المرّ، وثبت من التجارب

عدم إمكانية الحصول على سلالة شري حلوة الطعم بعد عدة أجيال مهجّنة. ويقال في المثل الشعبي (أمرّ من الشري)، وفي قصة وقصيدة تحمل مهمل المهادي القحطاني (عاش في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الهجري) وصبره على جاره قال:

أربع سنين وجارنا مسرف بنا	وهو مثل واطي جمرة ما درا بها
الاجواد مثل الدر من شمخ الذرا	والانذال مثل الشري مرّ شرابها
الانذال لو غسلوا يديهم تنجست	نجاسة قلوب ما يسرّ الدوا بها



والحنظل هو الاسم المرادف للشري غير أن البعض يقصد بالحنظلة ثمرة الشري أو طلعها، وقال الشريف شكر بن هاشم (من حكام مكة في القرن الخامس الهجري):

ومن الناس نوّار الربيع الى زها	تظل البوادي في هواه نجوع
ومن الناس طلع الشري مر مذاقه	الى ذاقه الجيعان ظل يزوع

ويسمى طلع الشري أو الحنظلة أو ثمرتها بكلمة فصيحة يظن البعض أنها عامية وهي (الحَدَج). ففي لسان العرب جاء أن (الحَدَج: الحَنْظَل، وحَمْل البِطّيخ ما دام رَطْباً) و (الجُح: صغار البطيخ والحنظل قبل نُضْجِه، واحدته جُحَّة، وهو الذي يسميه أهل نجد الحَدَج).

والحدج إذا اكتمل نموها تكون الواحدة بحجم فاكهة التفاح وتنفصل عن النبتة في الخريف، وتكاد تغطي سطح الأرض في بعض الأماكن ذات التربة السهلية التي ينتشر فيها الحنظل بكثافة، وقد شبه الشاعر فجحان الفراوي (توفي بعد عام ١٣٠٨هـ) الحدج المتناثر بالرؤوس المجندلة بعد معركة بين أمير بريدة حسن المهنا وبين ابن رشيد، فقال مخاطباً (صديقه) ابن مهنا الذي خسر المعركة:

عز الله انّا يابو صالح نهيناك	ولا ربح واحدٍ قبلك قد عصاني

ما انت بردي مير سيفك بيسراك	جوك الرشيد سيوفهم باليماني
واجهت مسطالروس ماهي حكاياك	مثل الحدج في ناعمات المثاني





ورغم أن العرب كانوا قديماً يأكلون ما يعرف بالهبّود أو الهبيد، كما أن سكان بعض مناطق المملكة يأكلونه حتى وقت قريب، والهبيد بذور توجد في ثمرة الشري تؤخذ وتغسل جيداً وتطبخ وتحمص وفقاً لطريقة خاصة، ورغم أن الحدج كان يتخذ في البادية إلى وقت غير بعيد في تغذية المواشي وذلك بعد دفن الحدج في التربة لفترة محددة ثم إخراجه لتأكله الماشية وتستفيد من الماء الذي يحتويه، فرغم ذلك كله فالمعروف في المصادر العلمية أن الشري نبات سام، ويسبب التسمُّم به تهيجاً للمعدة والأمعاء وإسهالاً قوياً وتدميراً لوظائف الكلى، لكن هذا اللب يستعمل في الاستخدامات الطبية كمسهّل ومُدّر للبول، كما تستعمل جذور الحنظل طبياً لعلاج اليرقان والاستسقاء والروماتزم والكحة والربو.

يتحمل هذا النبات حرارة الشمس، وتظهر في الصيف أزهاره الصفراء، ولا يتحمل برودة الطقس فينحسر في الشتاء. ولا ترعاه الماشية بينما تأكله الحمير. وقد أثبتت الدراسات أن ثمار الحنظل سامة للحيوانات، وتبين أن الجزء اللحمي والبذور إذا استعملت بجرعات صغيرة فإنها تسبب إسهالاً قوياً، وإذا زيدت فهي سامّة للإنسان. ولو أكل الإنسان ربع (حدجة) لتسببت في موته، وقد حدث أن امرأة تناولت ما يقارب هذه الكمية توفيت بعد يومين رغم علاجها. وكانت المرأة – كما جاء في كتاب متخصص في النباتات السامّة – تحاول إسقاط جنينها بأكل الحدج.

وسادة الخلاوي

نعد الليالي والليالي تعدنا   **والاعمار تفنى والليالي بزايد**

بيت شعر معروف للشاعر راشد الخلاوي (عاش في القرن الحادي عشر الهجري إلى أوائل القرن الثاني عشر) في قصيدة تزخر بالنصح والحكمة والمواعظ، ومنها قوله:

ويا طول ما وسدت راسي كتاده   **من خوفتي يعتاد لين الوسايد**

فما الكتادة؟

الكتاد من الأسماء المحلية لنبتة شوكية تعرف باسمها الفصيح وهو القتاد: وهي شجيرة معمرة تزهر في الشتاء والربيع، واسعة الانتشار في المناطق الشرقية والشمالية والوسطى من المملكة. يميز فروعها كثافة نمو أشواك حادة ووجود ثمار صغيرة منتفخة.

ويعرف هذا النبات أيضاً باسم الكداد لكن في معظم مناطق المملكة يسمى الكتاد، وقال عبيد العلي الرشيد (توفي عام ١٢٨٩هـ):

الناس من نوح الى حشر الاجناس   **قد قيل ما يلقى العنب بالكتاد**

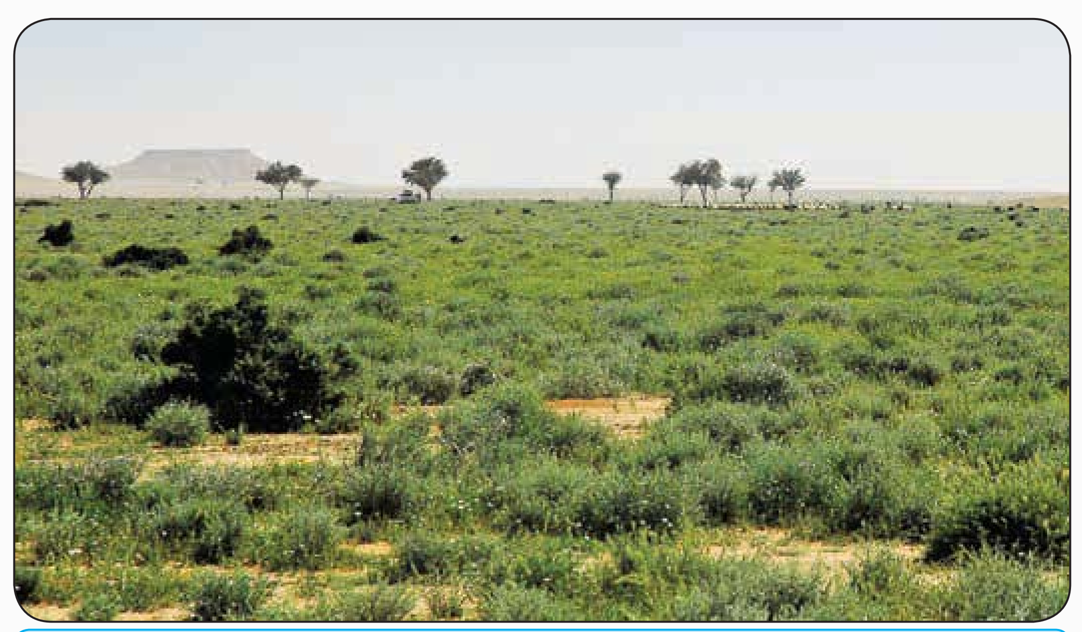
وقال الشاعر سليطين العنزي:

شجرة الكداده من يدوّر ذرا به   **مابه ذرا واطراف شوكه منابيل**



نبات القتاد المعروف بأسماء محلية في المملكة هي (الكتاد، الكداد، الشّوَيّط)

وتدل كثافة انتشار القتاد في المراعي على تعرض الأرض إلى الرعي الجائر. ولا تستطيع الحيوانات



عدم تعرض المراعي للرعي الجائر يبقي خاصية تنوع الغطاء النباتي فيها. وتقل النباتات الرعوية في الأرض كلما ازداد تعرضها للرعي لأن كثافة أنواع معينة من النباتات؛ بسبب عدم أكل الحيوانات لها لأنها سامّة أو غير مفيدة، يؤدي إلى انحسار النباتات القليلة التي تتعرض لشدة الرعي. ومثلما تنقرض الطيور والحيوانات تنقرض أيضاً النباتات، والمعروف أن الحيوانات العاشبة لديها القدرة على معرفة النباتات السامّة فتتجنبها، كما أنها لا تقبل على النباتات غير المفيدة، ولهذا فإن أكثر المتضررين من الرعي الجائر بشكل مباشر هم أصحاب الماشية

رعي القتاد بسبب كثافة وحدة الأشواك. وإذا أضطر أصحاب الماشية قديماً- بسبب سنوات الجدب التي تقل فيها النباتات الرعوية- إلى تغذية ماشيتهم بالقتاد كانوا يقصون أفرعها ويعرضونها على النار فتحترق الأشواك اليابسه وتبقى الأوراق الخضراء. ويسمى القتاد في البادية الشويط، وتقول بنت لصنيتان بن راجح البدراني الحربي:

يا من لقلب كن في داخله نار   نار الشويط ابعامرات الهبايب

وقد استُخدِم القتاد في قرى بمنطقة نجد قبل وجود الكهرباء للتخلص من الخفاش (السَّحاة) عندما يدخل المساجد، والمعروف أن العلماء تمكنوا من اختراع الرادار الذي يقوم على فكرة ارتداد الموجات، وذلك بعد دراسة سلوك الخفاش ومعرفة تلك الخاصية لديه. ويصدر الخفاش خلال طيرانه أصواتاً عالية التردد من فمه وأنفه - ليس بمقدور الإنسان سماعها - ثم ترتد منعكسة (صدى) بعد اصطدامها بالأجسام المقابلة له، فيسمعها بأذنيه شديدتي الحساسية ويتعرف على هذه الأجسام مهما صغرت، ويحدد مكانها بدقة متناهية، ولا تستغرق هذه العملية عند الخفاش سوى بضعة أعشار من الثانية الواحدة، ويعتمد على هذه الخاصية في الظلام- رغم أنه يبصر- في التقاط الحشرات وتحديد مسار طيرانه. وكان سكان قرى بمنطقة نجد يستخدمون نبات القتاد لمنعه من تدنيس المساجد حيث يلجأ الخفاش إلى الكهوف والأبار والبيوت التي لا توجد بها حركة للبشر في أولى ساعات الصباح مثل المساجد التي كانت تبنى من الطين ويوجد بها فتحات تسمح له بالمرور داخلها، ويخرج في الليل ليبحث عن غذائه. فكانوا يوقعون

بالخفاش ويتخلصون منه يوضع أفرع كثيرة من القتاد (الكداد) الشوكية متدلية من سقف وجدران المسجد، فإذا دخل الخفاش وتوغل بينها أصبح فيما يشبه الشراك المتشابكة فلا يستطيع الفكاك من الأشواك الحادة، ولا تفيد مقدرته على استخدام خاصية ارتداد الموجات الصوتية بسبب كثرة وتشابك الأشواك، فيسقط على الأرض بعد اصطدامه وإصابته بالأشواك الحادة.





بالإضافة إلى أن أشواك القتاد (الشويط) حادة جداً فهو نبات من المعتاد أن توجد به خلايا للنحل البري خاصة في فصل الربيع. وتدافع (شغالات النحل) بضراوة فتلسع من يقترب من الخلية. وبعض الأشخاص لديهم حساسية عالية من سم النحل قد تؤدي إلى نتائج خطيرة جداً، ولهذا يفضل ألا يلعب الأطفال في النزهات البرية في المكان الذي يوجد به القتاد



غزالة العنزي

الله من قلب عذلته ولا طاع — متولع بالاجنبي من هباله
الاجنبي يرث على القلب الاوجاع — عقب العسل يسقين مرّ الغزالة

بيتين للشاعر ساكر الخمشي العنزي (توفي في خمسينيات القرن الرابع عشر الهجري)، فماذا يقصد بالغزالة؟



الغزالة أو اللبينة أو أم اللبن أو الغَلْقَة نبتة شديدة المرارة، وهي من أشد النباتات البرية سمِّيّة وأخطرها

الغزالة اسم محلي (شعبي) لنبتة برية سامة وخطيرة جداً تعرف في مصادر التراث العربي باسم الغَلَّقَة، ومن أسمائها المحلية (الشعبية) أيضاً أم اللبن، وأم لبينة، واللبينة. وهي شجيرة ملتفة الأفرع يصل طولها إلى متر، سريعة النمو وواسعة الانتشار في المملكة، لها ثمار قرنية وأزهار نجمية تظهر في الصيف. تفرز هذه النبتة مادة لبنية عند جرح أو كسر جزء منها، واستخدمت قديماً في عملية نزع الأصواف والوبر من جلود الحيوانات قبل دباغتها، واستعملت عصارتها في علاج الجرب، وفي تسميم الرماح. وتعتبر العصارة اللبنية أشد أجزائها سمِّيّة، وتتسبب في حساسية وضرر حاد على الجلد، وقد يؤدي ابتلاع جزء منها إلى الموت. ولقد عرف سكان البادية بالمعايشة شدة مرارة وضرر هذه النبتة وأنها تتسبب في موت المواشي إذا أكلت علائق من الأعشاب اختلطت بها نبتة الغزالة. وتعرف الحيوانات العاشبة بالفطرة هذه النبتة ولا ترعاها ولا تقترب منها إذا كانت في المرعى.



فرع من شجيرة الغزالة، وفي الصورة الثانية ثمرتها. وهذه النبتة خطيرة جداً ويجب تحذير الصغار في النزهات والرحلات البرية من العبث بها أو لمسها أوالاقتراب منها. وهناك نبتة سامة أخرى تسمى في المملكة بأسماء محلية (شعبية) هي (الغزالة أو أم اللبن أو خرزة الداب)، غير أن الغلقة أخطر بكثير من خرزة الداب



(الفقع في جنب الرقه والعلم بالتأكيد)

في محاورة بين الشاعرين أحمد الناصر الشايع ومطلق الثبيتي (توفي عام ١٤١٦هـ)، قال الثبيتي:

عطوك البندقيه ماريا جعلك تصيد الصيد	**لها روحين صار البندقة ماهيب ممهوره**
يجيبون الدوا للعود يبونه يصير وليد	**واليا شافوه يعرج بين اهل رابغ ومستوره**

فرد الشايع:

تشوف اللي قريبة يالثبيتي ما تشوف بعيد	**سواة التاجر اللي في البحر غرقان بابوره**
اظن الفقع في جنب الرقه والعلم بالتأكيد	**ولو ما تحسّن اللحية لقيت البيض منثوره**

في بيت الشاعر أحمد الناصر تضمين للمثل الشعبي (الفقع حول الرقروق) أو (الفقع جنب الرِّقه). والرقروق أو الرقه أو الجرّيد وفقاً للتسميات المحلية (الشعبية) في مناطق المملكة هو العشب الذي جاء تعريفه في لسان العرب (الإِجْرِد: نبت يدل على الكمأة، واحدته إِجْرِدَّة). وتلك الدلالة أتت من معرفة العلاقة التكافلية بين النباتين؛ حيث تنمو الكمأة (الفقع) اعتماداً على جذور الرقروق (الإِجْرِد)، فما النبتة الأكثر في الدلالة على ظهور الفقع؟ ومتى يظهر الفقع؟ وما المؤشرات التي تسبق الظهور؟



الرقروق أو الرقة أو الجرّيد العشب الحولي القصير، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنمو فطر الفقع (الكمأة). والعشب الحولي يموت ولا ينمو من جذوره في السنة التالية، بل ينبت ويتكاثر بالبذور

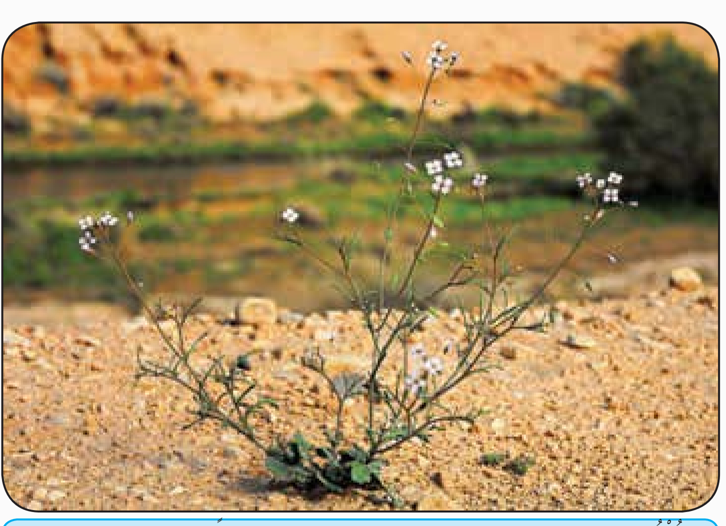
تُعرف الأرض التي يمكن أن يُجنى منها الفقع بدلائل ظهور نبات الرقروق، وهو عشب ينبت بتأثير هطول الأمطار خلال شهري أكتوبر ونوفمبر (الوسم أو الوسمي)، وهناك من يفرق علمياً بين نوعين من عشب الرقروق الحولي، وكلاهما متشابهان جداً، ويصعب التفريق بينهما. وفي بعض مناطق المملكة - خاصة في البادية - يطلقون على النبتتين اسم (الجرّيد) ولا يفرقون بينهما لشدة التشابه.



القصيص الذي يسمى أيضاً الرقروق، هو نبات دائم (أكثر من حول)، أقل في الدلالة على وجود الفقع

ويطلق اسم الرقروق في المنطقة الوسطى على نبات (القصيص)، والقصيص نبات دائم، وهو غير الرقروق (العشب الحولي) المعروف في شرقي وشمالي المملكة.

والرقروق الحولي والقصيص الدائم من العلامات التي يستدل بهما على ظهور الفقع، غير أن الرقروق (الحولي) أكثر دلالة من القصيص (النبات المعمر)، ذلك أن جذور القصيص قد تكون من العام السابق ونمت مرة أخرى، وليست نبتة من نبات الموسم القائم، ولا يكون ذلك في الرقروق الحولي. كما أن وجود النبتتين ليس شرطاً لازماً لوجود الفقع، ففي حالات كثيرة يمكن أن توجد في الأرض نبتتا القصيص والرقروق أو إحداهما ولا يوجد الفقع. وهناك من يظن أن نبتة القُلْقُلان أو كما تسمى محلياً (القليقلان، أو القلقلان، أو الجلجلان) من العلامات التي يُستدلُّ بها على الفقع، غير أنها ليست كذلك.



القُلْقُلان هو الاسم الفصيح للنبتة التي تسمى محلياً في المملكة بالقليقلان أو القلقلان، أو الجلجلان. وهو عشب وإن كان ينبت بكثافة مع الرقروق غير أنه ليس من دلائل الفقع



إذا شوّك الذعلوق تلقى الفقع نابي فوق. صورة لفرع من عشب الذعلوق (الحولي) الذي يطلق عليه في المملكة أيضاً اسم (لحية التيس)

ومن الأمثال الشعبية التي تدل على وقت جني الفقع قيل (إذا شوّك الذعلوق تلقى الفقع نابي فوق)، والذعلوق عشب من الأعشاب المأكولة، وينمو في أول الشتاء، ويظهر منه ما يشبه الشوك عند اكتمال نموه. والذعلوق المقصود هنا هو العشب الحولي وليس الذعلوق ذلك النبات الدائم الذي يسمى (ذعلوق الجمل).



ذعلوق الجمل، نبات مُعمّر، هو نوع مختلف عن الذعلوق الحولي (لحية التيس)

ومـن شدة اهتمام الهـواة في بعض مناطق المملكة بجني الفقع يحسبون لـه ويعدون الأيام بعد سقوط أمطـار الوسـم إلى أن تظهر على سطح الأرض التشققات التي تدل عليـه، وتسمى التشققات (الفقاعة أو الفلقاعة). وفي الحساب لوقت ظهور الفقع قال الشاعر والراوي منديل الفهيد (توفي عام ١٤٢٥هـ):

مـن الدلايل يعـرف الفقـع بالرقه　　　　واحسـب حسـاب الوقت سـته بسته

ويقصـد الفهيـد أن ظهـور الفقـع سيكون بعـد ٣٦ يوماً من الوسم، غـير أن هناك من يقول إن الحسـاب يتـم بعـد سبعـين يومـاً مـن اليـوم الـذي سقطت فيه أول أمطار الوسم على الأرض شريطة أن تصل غزارة الأمطار إلى حـد أن تصبـح المنخفضات غدرانـاً صغيرة لبعض الوقت. ويطلـق المتمرسـون في معرفـة طبيعـة الأرض المنبتة للفقع على تلـك المنخفضـات غـير العميقة (صحون الفقع).



الفقع بجانبه الرقروق قبل وبعد إخراجه من تحت سطح الأرض



وتعتـبر المناطـق البريـة في المنطقتين الشرقيـة والشمالية- خاصـة حفـر الباطـن وتحديداً (الدبدبة) - مـن أشهر أراضي المملكـة المنبتـة للفقـع، وعندما يقال عن أرض بأنها منبتة للفقع فـإن ذلك لا يعني أن الفقع ينبت في كل موسم. ويسمي بعض كبار السن الفقـع بـ(نبـات الرعد)، بمعنى أن الأمطـار المنبتة للفقع هـي أمطار الوسم الرعدية. ويصف سكان المناطق الشماليـة الشرقية الفقع والفطريات الأخرى بـ(فسق الأرضـ)، واستخدام كلمة الفسق عندهم هنا بمعنى (زيـادة الارتواء)، ودلالة ذلك كله أن الفقع لا ينبت إلا بعد تعاقب وغزارة أمطار الوسم الرعدية وارتواء الأرض.

قحويان في زبارة

الـثـا ثـمـانـه حـب رمــان طـايـف　　　　أو قـحـويـان في ريـاض عـطـايـف

هذا بيت من ألفية الشاعر محمد بن راشد بن عمار (توفي عام ١٣٦٧هـ)



زهرة للنبتة المعروفة في المملكة باسمها المحلي الشائع وهو (القحويان)، ومن الأسماء الشعبية الأخرى لهذا النبات الكربيان، والقحوان، وفي مصادر التراث العربي يعرف باسم (الأقحوان)

لقد ارتبطت نبتة القحويان عند الشعراء بتشبيه زهرتها بثغر الفتاة الصغيرة أو المحبوبة، ومن ذلك قول الشاعر محمد بن فهاد القحطاني (ابن حصيص) في الغزل:

والـثـنـايـا قـحـويـان في زبـارة　　　　نـافـل نـوره عـلـى كـل الـبـنـاتـي

والشاعر ابن حصيص توفي عام ١٣٥٤هـ ، عاش فقيراً وقد كُف بصره وهو صغير السن، وقد شاع أحد أبيات قصيدة له في محبوبته (ساره) حيث قال :

ولعتني بالهوى والزين ساره　　　　واخلفتني عن غنادير البناتي

إلى أن قال:

والـثـنـايـا قـحـويـان في زبـارة　　　　نـافـل نـوره عـلـى كـل الـبـنـاتـي

لايمـي يعطـى حنيشٍ في خبـارة　　　　سـمها يشـظى العظـام الصـالباتي

ومن فكاهيات ابن حصيص قال :

يـا لله علـى خمسـين خبـزة معيه　　　　وقت العشـا يـوم الخمايم يشـحون

واقـدع بهـن والحلـق توحـي دويه　　　　مثل المدافع يوم تزجر ضحى الكون

وسط الصحن تلقى مضارب يديه   مثل المساحي يوم قاموا يخلطون





بقي أن نعرف أن القحويان (الصورتان أعلى وأسفل) عشب حولي قائم يصل طوله إلى نصف متر، يميزه أزهاره البيضاء التي تظهر بغزارة بشكل جميل في فصل الربيع، ويتحمل النبات درجات الحرارة المنخفضة لكن فترة حياته قصيرة. وهو سريع وكثيف النمو في الروضات والفياض والأودية خاصة في المنطقة الوسطى والجنوبية، ويوجد بشكل أقل كثافة في بقية المناطق. ويستخدم النبات طبياً في علاج أمراض الصدر والجهاز التنفسي. وتشير رسالة علمية قدمت لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك سعود عام ٢٠٠١م إلى أن أوراق وأزهار وبذور القحويان سامّة ويؤدي التسمُّم بها إذا قُدّمت مع أعلاف الماشية إلى تقرح أفواهها وأنوفها، ويكسب حليبها نكهة كريهة. ولا ترعى الماشية النبات إلا أنه من أجمل النباتات البرية.

عين ابن دويرج والنقيع

قال الشاعر عبدالله بن دويرج (توفي عام ١٣٦٥هـ):

عين عيني كن به شوك النقيع	يا لطيف الحال ضاق بي الوسيع
عقب ماكولي الحب الحمر	ما مليت البطن من حب الشعير



النقيع نبات ذو أشواك حادة

النقيع نبات شوكي واسع الانتشار في معظم أنحاء المملكة يبلغ طوله نصف متر تقريباً، ويتحمل الظروف الصحراوية الصعبة، وله أزهار زرقاء بلا رائحة لا تظهر في بداية نمو النبات.

ويعرف هذا النبات بأسماء محلية مختلفة في مناطق المملكة منها (شوك الضب، وعكرة الضب، والناغي). وبسبب الأشواك الحادة يصعب السير في الأرض التي يكثر بها هذا النبات خاصة على الأطفال وكبار السن، ولذلك لا تعتبر المواقع التي ينتشر فيها أماكن مفضلة للنزهات البرية العائلية، ولا لرعي الماشية لأنه يؤذيها خاصة عندما تبرك وتحتها نبتة نقيع قصيرة لا تشاهدها، فتجرح ضروعها وأعضاءها التناسلية وأسفل البطن.

ومما جاء في كتاب حُكّم علمياً بجامعة الملك سعود وصدر عنها، وقام بتأليفه أستاذان من أساتذتها المتخصصين في علم النبات بعنوان النباتات البرية المنتشرة في منطقة الرياض: أن أوراق النقيع تستعمل (طبياً) مقوية للجنس. ولم يوضح الكتاب ما إذا كان هذا الاستعمال يتم بواسطة صنع عقاقير طبية فقط أو خلطات عشبية، لكن هذا النبات ليس من النباتات المأكولة ويوجد على حواف أوراقه تسنينات تنتهي برؤوس مدببة، ويحذِّر المتخصصون في علم العقاقير من تناول الخلطات العشبية إلا إذا أوصى بها طبيب

متخصص أو أشرف على إعدادها متخصص لديه إلمام بتأثير العناصر التي تحتويها النباتات. وقد تؤدي الخلطات العشبية غير المقننة طبياً إلى تكون عناصر جديدة ضارة غير موجودة أصلاً في تكوين النباتات قبل خلطها.



من أسماء النقيع عكرة الضب، وشوك الضب، والناغي



مقو للقدرة الجنسية وفقاً لما جاء في كتاب حُكّم علمياً في جامعة الملك سعود



جويدل ابن سبيّل و الهراس

قال الشاعر سعد المطوع أو سعيدان (مطوع نفي):

هيض علي جويدلن ما تغطى	ريحه زبادي بمسك مخلوطي
ياشبه غرنوق مع فرق بطا	بط البحر ماهو بط الشطوطي
كنه على شوك الهَرَاس يتوطا	والا المابر يوم بالرجل يوطي



الهَرَاس عشب حولي قصير يصل طوله إلى ١٥ سم، ويكون غالباً منفرشاً على الأرض. وقد يظن من لا يعرفه أنه مثل أنواع الأعشاب غير الشوكية المشابهة له في الشكل، إلا أن له أشواكاً صغيرة جداً وغزيرة ومؤلمة إذا وطأتها الأقدام. ولا يستطيع حافي القدمين المشي في الأرض كثيفة إنبات الهراس، وإذا اضطر لذلك فسيكون مرغماً على أن يطأ الأرض بخفة فيظهر كأنه يتراقص. وتأكل الإبل الهَرَاس، ويوجد في عدة مناطق من المملكة لكنه أكثر في المنطقة الوسطى، وينمو في أنواع مختلفة من التربة. ويسمى في شمالي المملكة (الضريسة أو الطريزي). وفي الأمثال الشعبية يقال (الهَرَاس ولا قطع الراس) ويضرب في تحمل الأذى الأدنى تفادياً لما هو أشد

وللأبيات السابقة قصة طريفة لمطوع نفي والشاعر عبدالله بن سبيّل (توفي عام ١٣٥٢هـ)، وقد شكك بعض الباحثين في التراث الشعبي في صحتها لكن أحد أحفاد الشاعر ابن سبيّل وهو الشاعر محمد بن عبدالعزيز بن سبيل كشف عن بعض تفاصيلها في ديوان شعر صدر في طبعته الثانية عام ١٤٢٥هـ. ونقل محمد بن سبيل عن عمته (بنت الشاعر عبدالله بن سبيل) المقصودة في هذه الأبيات أنها كانت في السنة السادسة من العمر تدرس مع الصغار عند مطوع نفي، وفي أحد الأيام كتب المطوع على اللوح؛ الذي يستخدم في الكتاتيب، تلك الأبيات وطلب من الصغيرة أن توصله إلى والدها الذي قرأ الأبيات وكتب تحتها رداً ساخراً لاذعاً وطلب من ابنته إعادة اللوح للمطوع، وكان الرد:

امطوع يا مال كشف المغطى | تاخذ على رقي المنابر شروطي
تشره على ورعٍ وهو ما تغطى | يلعب مع الصبيان بام الخطوطي

بقي أن تعرف عزيزي القارئ أن الشاعر الكبير عبدالله بن سبيل جمعته بمطوع نفي جيرة وصداقة ومداعبات شعرية، ومن ذلك أن (سعيدان المطوع) قال مدَّعياً الكرم:

لا ضاق صدري قمت اصوت لنورة | هاتي حطب وارميه للجار والضيف
من قبل ولد اللاش يبدي بشوره | حمست من بن اليمن غاية الكيف

فجاءت معارضة ابن سبيل في قوله:

امطوع يا كبر هوله وجوره | مشراه في دور السنة مد ونصيف
ودلالهم دب الليالي مهجوره | وخطارهم ما غير ابو زيد وحنيف

الشويعر والحمنانة

الشاعــر الساخر حميدان الشويعر (توفي في أواخر القرن الثاني عشر الهجري) اشتهر بالهجاء فلحق بنقده الساخر كل من عرفه من الأشخاص والجماعات حتى ابنه (ما نع وزوجته) لم يسلما من (شعره)، ومن ذلك قوله:

مــانــع خــيّــال في الــدكّــة	وظــفــرٍ في راســ المـقـصــورة

إلى أن يقول:

لــو تـفـتـش ثــوبــه تـلـقـاه	نجّــس ثــوبــه مــن هــرهــوره
وعــنــده عــذرا مــثــل الحــورا	نــورهـــا يــقــادي الــبــنــوره
تــلــقــاهــا مــن طــيــب المعلف	مــثــل الحَــمْــنَــانــة مــزكــورة

فما هذه الحمنانة التي شبه زوجة ابنه بها؟



هذه هي الحمنانة التي تعرف في المصادر العلمية بالقراد اللين، وقد غرست فمها وعلقت بالعضو التناسلي لجمل صغير

الحمنانــة كلمة فصيحة تعني القراد أو طوراً من أطــوار حياته، ففي اللسان الـحَمْن والـحَمْنان: صغار القِــرْدان، واحدته حَمْنة وحَمْنانة. وأَرض مُحَمِنة: كثــيرة الـحَمْنان. وفي القاموس المحيط ومصادر لغوية أخرى ورد أن الحمنانة هو القُراد. وفرقّت المصادر اللغوية بين أطواره فأول ما يكون وهو صغير لا يكاد يُرى من صغره، يقال له قَمْقامة، ثم يصير حَمْنانة، ثم قراد، ثم حَلَمة، ثم عَلّ وطِلّح.

ينتشر في العالم- وفقاً للمصادر العلمية الحديثة - أكثر من ٨٠٠ نوع من القراد يعرف بعضها بأسماء العائل الذي تتطفل عليه، مثل قراد الطيور وقراد البقر وقراد الكلاب وقراد الأغنام وغيرها، وتعيش متطفلة عليها وعلى الإنسان حيث يغرس القراد أرجله وفمه في الجلد ويبقى ليمتص من دم ضحيته، وهو مفصلي (حشرة) بيضي الشكل ودقيق الحجم يبدو جسمه وكأنه قطعة واحدة متصلة، وغالباً يكون بحجم حبة العدس أو أكبر قليلاً، وله ثماني أرجل بارزة على جوانب الجسم، وهذه الأرجل الثماني هي التي تمكننا من التفريق بين أنواع القراد المختلفة وبين الخنافس الصغيرة التي تشبه القراد، وأقل منه في الخطورة، وتمتلك الخنافس ست أرجل فقط إضافة إلى قرني استشعار.

يوجد حوالي ٨٠٠ نوع من القراد تتطفل على الإنسان والحيوانات الثديية والطيور (في الصورة نوع من القراد الجامد)

والمعروف عند سكان الجزيرة العربية- خاصة أصحاب الإبل- نوعان من القراد يطلق على أحدهما



سنام الناقة مصاب بالجرب جراء تطفل (الحلم)

اسـم القـراد والآخر اسم (الحَلَمَـة)، ويقصدون بالقراد ما تطلق عليه المصـادر العلمية القراد الجامد، ويقـع تحت هـذا الاسم مئات الأنـواع المتشابهة، أما الحلمـة فيقصدون به ما يعـرف في المصادر العلمية بالقراد اللين، ويقع تحت هذا الاسم أكثر من مائة نوع.

أما الحلم- حسب تصنيف المصادر المتخصصة- فهي مفصليات أصغر من الأنواع الصغيرة من القراد، ولا تُرى بالعين المجردة بسهولة حيث تتراوح أحجامها بين نصف مليمتر إلى ٢ مليمتر، وتتطفل بعض أنواعها على الثدييات بما فيها الإنسان، وهي التي يعزى إليها التسبب بالجرب. وقد أدرك الأجداد الخطورة البالغة للقراد والحلم بمقارنتهما بالحشرات الصغيرة التي تقل عنهما في إحداث الضرر، ولهذا قالوا في المثل الشعبي: (يـا رب سنة ذباب ولا سنة قراد)، ويربطون كـثرة القراد بالأعوام التي تشهد جدباً وضعفاً في المواشي، أما كثرة الذباب فيربطونها بالأعوام التي تشهد ربيعاً طيباً وتكثر فيه المواشي وتسمن.

لدغة القراد

إن القـراد الـذي يهاجم الحيوان ويتطفل عليـه يهاجم الإنسان أيضاً، وقد يهجـم وهو في أول مرحلة نمـوه عندمـا يكون بحجم رأس الدبوس، فيلتصق في الجلد إذا عضه ويحدث ألمـاً موضعياً وميلاً للهرش وتقرحـات جلدية، فضلاً عن أن بقاءه ملتصقاً بالجلـد يتسبب في نزف الدم وفقره بسبب استمرار مصه للدماء. وينتقل بواسطة القراد بعض الأمراض خاصة إذا كانت اللدغة في أماكن غير مرئية فلا ينتبه لها الملدوغ، مثل فروة الرأس لدى الأطفال.

الإجراءات الصحيحة بعد تعرض الإنسان للدغة القراد

- انزع القراد فوراً ولكن بالتدريج وبشدة ولا تنزعه فجأة، وقد ينتج عن نزعه فجأة فصل جزء منه وبقاء رأسه تحت الجلد.
- لا تستعمل يدين عاريتين عند نزع القراد خاصة إذا كان في اليد جروح أو خدوش، واستخدم قفازاً أو كيساً من البلاستيك أو ورقة أو حتى ورقة نبات.
- يفضل نزع القراد بملقاط إذا توافر لديك، واقبض به على أجزاء فم القراد الأكثر التصاقاً بالجلد، ثم انزعه بالتدريج بحيث تتمكن من إزالته كاملاً دون أن يبقى شيء من أجزائه في الجلد.
- لا تُّزل القراد بقطعه أو بحرقه أو بمسحه أو بوضع الزيت عليه.
- بعد إزالة القراد نظف مكان اللدغة بالماء والصابون، وضع مطهراً على مكان الإصابة. وللاحتياط احتفـظ بالقـراد بطريقة مناسبة كي يتمكن المختصون من فحصـه إن استدعت الضرورة الذهاب إلى المستشفى.
- إذا ظهر طفح أو أعراض تشبه أعراض الأنفلونزا خلال الأيام التالية فيجب مراجعة الطبيب. لأن أنواعـاً مـن القراد قد تنقل أمراضاً، منها مرض يعرف باسـم (لايم) وهو مرض تسببه جرثومة يمكن أن يصـاب بها القراد عندما يلتصق ببعـض الثدييات ويتغذى عليها مثل الفئران، وعندما يلدغ الإنسان ينقلهـا إليه. ويتسبب هـذا المرض بالضعف البدني والنفسي، ومن أعراضه التهاب المفاصل، والصداع، وفقدان الإحساس، وتصلب الرقبة.



ابن لعبون والخازباز

في قصيدة الشاعر محمد بن لعبون (توفي عام ١٢٤٧هـ) التي يرثي فيها محبوبته المتوفاة في الحج، ومطلعها:

سقى صوب الحيا مزن تهامى ... على قبر بتلعات الحجازِ
يعطّ به البختري والخزامى ... وترتع فيه طفلات الجوازي

إلى أن قال:

وصرت بوحشة من ريم راما ... ومن فرقاه مثل الخازبازِ

فما الخازباز؟

قبل الإجابة عن السؤال إليك صور بعض النباتات التي يأتي ذكرها عند بعض الشعراء لتمني أن تغطي قبور الأحباب، ومن ذلك قول الشاعر محمد بن مسلّم في بيتين ينسبان خطأ إلى نمر بن عدوان (توفي عام ١٣٠٠هـ)، وقيل إنه أطلق النار على زوجته وضحا وقتلها بالخطأ متوهماً أنها لص يريد سرقة راحلته في جنح الظلام، بينما هي تقوم بإحكام ربط وثاقها دون أن يدري. وأكثر الروايات تشير إلى أن زوجته توفيت بعد مرض أصابها، ومما قال ابن مسلم وليس ابن عدوان :

البارحة يوم الخلايق نياما ... بيحت من كثر البكا كل مكنون
جعل البختري والنفل والخزامى ... ينبت على قبر ادفن فيه مظنون



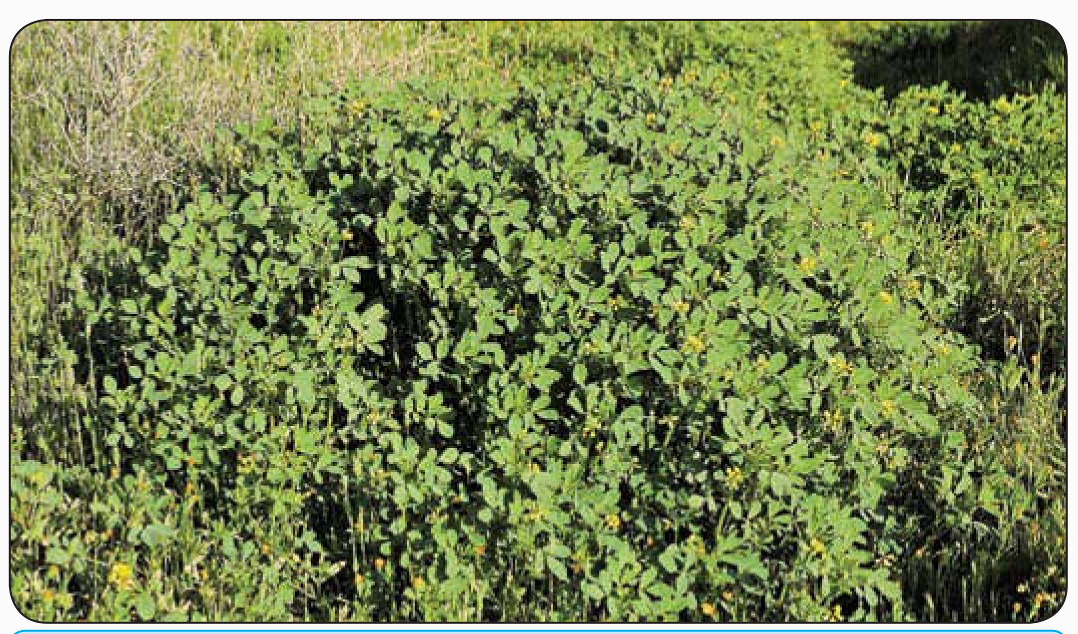
الخزامى، أو الخزام عشب حولي يصل طوله إلى ٤٠ سم، ينمو في السهول والشعاب والروضات خاصة في المنطقة الوسطى من المملكة. له أزهار جميلة ذات رائحة زكية تظهر في أوائل الربيع، وتكتسب ألبان الإبل تلك الرائحة إذا رعتها. وللخزامى ثمار صغيرة لامعة على شكل أقراص صغيرة لا تنفتح، لكنها تحضن البذور إلى السنة التالية وعندما تسقط الأمطار تتسبب الرطوبة في تطرية جدار الثمرة فتتحرر البذور خارجها لينبت الخزامى



البختري (الصورة) عشب حولي قصير يوجد في المناطق الشرقية والشمالية والوسطى، وينمو في الأودية وأماكن تجمع المياه والتربة الطينية، ويطلق عليه في بعض المناطق (الرقم أو الرقمة)، غير أن البختري والرقم نوعان مختلفان ينتميان إلى فصيلة من النباتات تسمى الفصيلة الغرنوقية، ويندرج تحت هذه الفصيلة عدة أنواع بعضها متشابه جداً، ومن هذه الأنواع المتشابهة ما تسمى محلياً في المملكة (رقمة الوعر، والتمير، والرقمة الشقرا، والرقمة الدهما، والقرنا، والبختري)، وفي الغالب لا يفرق العامة بين معظم هذه الأنواع. وللبختري زهور جميلة وكثيفة، وتتفتح إذا ارتفعت الشمس وتسقط في المساء عن النبتة فيظهر غيرها وبكثافة في اليوم التالي، وهذه الزهور المتساقطة غذاء يفضله نوع من الطيور الصغيرة من فصيلة القبرات توجد في المناطق البرية في فصل الشتاء والربيع، وهناك من يهوى صيدها وتسمى في المملكة بأسماء محلية (شعبية) هي (الجرجس، أو القرقس، أو الحصّد).



نوع من طيور فصيلة القبرات يفضل أكل زهور الرقم والبختري، يسمى في المملكة (الجرجس، أو القرقس، أو الحصّد) وهذه الأسماء تطلق على أكثر من نوع أشهرها ما يعرف في المصادر المتخصصة بالقبرة المطوقة



سجلت مصادر وزارة الزراعة بالمملكة ستة أنواع من النباتات التي يطلق عليها اسم النفل، تتميز كلها بأن أوراقها ثلاثية. والنفل المعروف لدى عامة الناس (الصورة) هو عشب حولي متجمع يظهر في الربيع، ويكثر في الروضات والأودية. وهناك من يُفرّق بين نوعين من النفل الموجود في الصحراء أحدهما (الصورة) يطلق عليه في بعض مناطق المملكة اسم (الروض)، وربما كانت هذه التسمية لكثرة نموه في الروضات، ويشتهر بطيب رائحته، ويطلق عليه أيضا الشمطري، وهو النوع الذي يدخل في استخدامات الزينة عند النساء قديما، وذلك لتطييب شعر الرأس؛ حيث يُسحق مع أعشاب أخرى مثل الخزامى، ويمشط به شعر الرأس فإذا أزيل عنه اصطبغت رائحته الطيبة بالشعر، وفي ذلك قال الشاعر سليمان بن شريم (توفي عام ١٣٦٣هـ):

ابو قرون تغذي بالشمطري	مثل السفايف على كور النجيبة
ابو عيون ليا دلت تخزري	ترمي بالاسباب ويل اللي تصيبه



وهناك عشب يسمى أيضاً النفل أو (الحسيكة)-الصورة الصغيرة- وهذا نوع مختلف يتميز بظهور شوك غزير في أواخر الربيع مكور الشكل وصغير بحجم حبة القهوة، وتشتهر رياض وخباري الصمان بإنبات هذا النوع. ويكره أصحاب الماشية أن تبقى قطعانهم في المراعي التي تكثر بها نبتة الحسيكة، لأن الأشواك تلتصق على أصواف الأغنام ويؤدي ذلك إلى إعاقة (فحول الأغنام) عندما تحاول إتمام عملية تلقيح الإناث، فضلاً عن أن النبتة لاتُرعى بسبب حرارتها، وإذا أكلتها الأغنام الصغيرة يصيبها إسهال، ولهذا يسمون الحسيكة بـ(الذرق)، وقد تنفق صغار الأغنام إذا أكلت منه بكثرة، ويقولون في البادية إن بطون الأغنام تنفجر بعد أكلها كمية كبيرة من الحسيكة، ولكن محبي لحم الضأن يعتبرون الأغنام التي التصقت على أصوافها الحسيكة هي بغيتهم لأنها علامة على أن الخراف (من النوع البلدي البري).

أمـا الأجابـة على السؤال المطروح عـن الخازباز قبل استعراض النباتات التـي جاء ذكرها في الأبيات المستشهد بها، فإجابته أن هناك أكثر من معنى لهذه الكلمة، فالخازباز هو نوع من الذباب يكون في الروض يتميـز بكثرة الدوران والحركة والطنين، وقد جاء في لسـان العرب أن خاز باز (اسمان جُعلا واحداً وبُنِيا على الكسر لا يتغير في الرفع والنصب والجر (وهو) صوت الذُّباب، سمّي الذُّباب به، وهما صوتان جُعلا صوتاً واحداً، لأَن صوته خازِبازِ).



في الصورة نوع كبير من الذباب يقارب حجم النحل يوجد في المناطق الصحراوية، ومن الأسماء المحلية التي تطلق عليه في بعض المناطق (الذُّبَه)، وهو كثير الحركة والطنين والدوران، وذلك الذي قصده بن لعبون بـ(الخاز باز)

ومما ورد في اللسان أيضاً (قيل إن الخازِباز بقلتان (نبتتان)، فإحداهما الدَّرْماء، والأخرى الكَحْلاء).

كما قيل إن الخاز باز هو ثمرة نبات العنصل.

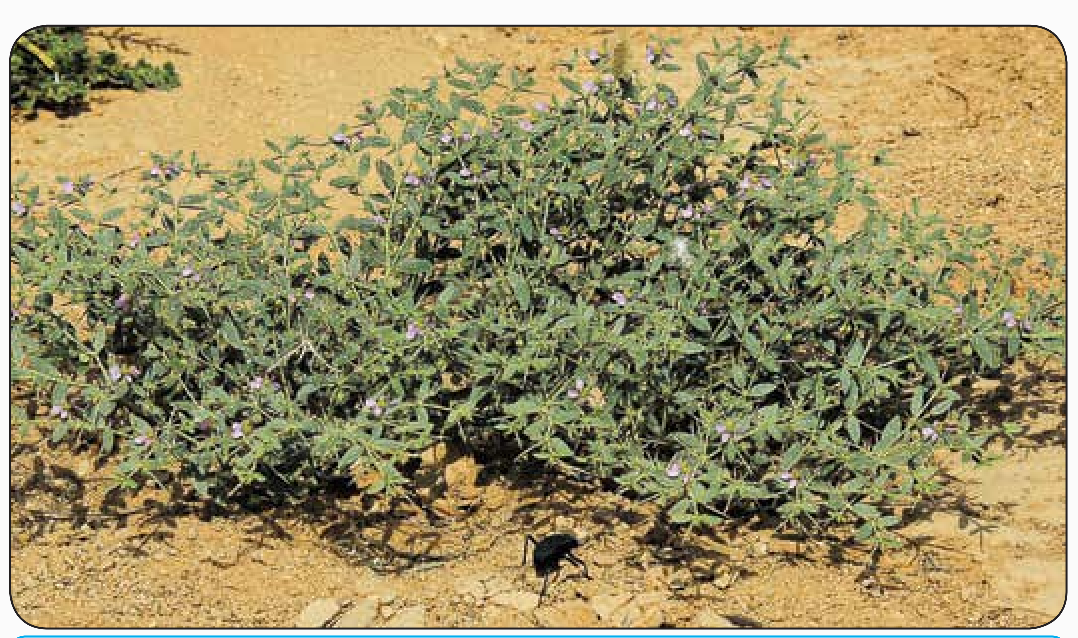
وقيـل أيضـاً إن الخازباز ورم يصيب الإبل والناس في الحلق، وربما قُصد بذلك التهاب الغدة النكافية التي تقع تحت الأذن.

ومثـل الخازبـاز في التركيب اللغوي قول العـرب (خاشَ ماشٌّ، و خاقِ باقِ، و حـاثِ باثِ، حاصِ باص) لكنها بمعان مختلفة، فتعني كلمة خاش ماش قماش البيت، وسَقَط متاعه.

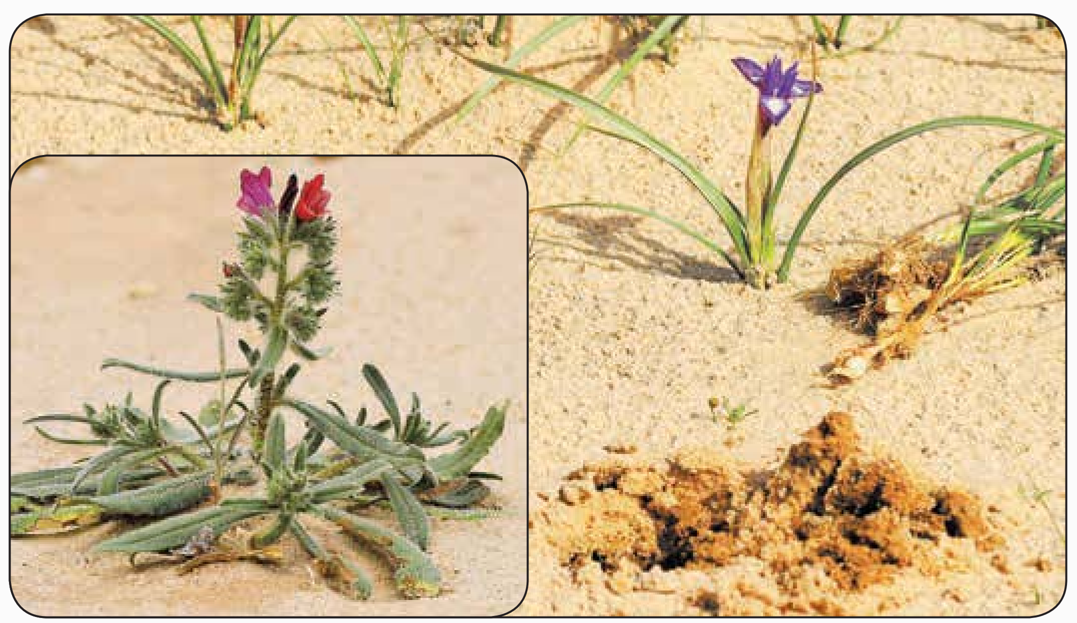
أما كلمة خاق باق فهي من أسماء الفَرْج.

ومما تعني كلمة حاث باث التفرق فإذا قيل ترك الناس حاث باث أي فرقهم وبددهم.

وإذا قلـت وقـع القوم في حَيْصَ بَيْصَ وحِيصَ بِيصَ وحَيْصِ بَيْصِ وحاصِ باص أي في ضيق وشدّة واختلاط من أمر لا مخرج لهم منه.



نبتة الدرماء، ومن أسمائها المحلية في المملكة الشويكة، والشكاعي، والجنبة، والدرما، والدريما، وهي شجيرة شوكية صغيرة بنوعين، فإما قائمة أو منفرشة على سطح الأرض، ولا يوجد فارق كبير بين النوعين. والنوع المنفرش على الأرض هو الذي يسمى الجنبة أو الدرما أو الدريما



ثمرة نبات العُنْصُل. وتُطلق أسماء (العَنْصَل أو العصنصل أو العنصلان) في المملكة على عدة أنواع من النباتات البرية البصلية . وفي الإطار نبتة الكحلاء، وتعرف عند عامة الناس في المملكة باسم الكَحَل، أو الكُحَلا، وهي عشب حولي يصل طوله إلى ٧٥ سم، ويغطيه وبر (شوكي)، وكانت تستخرج من جذوره أصباغ تستخدم في الكتابة وزينة النساء

ابن شريم والدغلوب

من أشعار سليمان بن شريم (توفي عام ١٣٦٣هـ) في الغزل قوله:

اول معرفتنا طرابات وعجوب ... واتلاه جرح ما يداوى صوابه

غديت من فقده غدير ودغلوب ... نشّ الغدير ولا بقى الا ترابه

وأترك لك عزيزي القارئ التأمل في (هذه الصورة) ومشاهدة الصورة التالية.



صورة مجهرية للدغلوب بعد أن تبخر الماء أو تسرب تحت سطح الأرض

(الدّغْلُوب) هو الاسم المحلي (الشعبي) لنوع صغير الحجم من الأحياء المائية ينتمي إلى طائفة القشريات والتي ينتمي لها أيضاً الربيان (الجمبري)، ويعيش الدغلوب في المياه العذبة في بعض المناطق البرية في المملكة؛ خاصة المناطق الوسطى والشرقية والشمالية، خلال مواسم هطول الأمطار في تجمعات المياه في التربة الطينية، أو ما يعرف بالخباري أو الروضات التي تبقى فيها المياه فترة من الزمن تتيح لبيض باقٍ في التربة من أعوام سابقة أن يفقس عن يرقات صغيرة لا تلبث أن تكتمل عن جسم لكائن صغير كمثري الشكل تقريباً.

ويمـوت الدغلـوب إذا تبخر الماء، لكنه يستطيع ترك بيض جديد خـلال دورة حياته القصيرة، ويبقى البيضـ في التربة ويفقس خلال الأعوام اللاحقة إذا توافرت الرطوبة والظروف الملائمة، ويتحمل البيض شـدة الحـرارة والبرودة سنوات عديدة. ويستدل العلماء من وجـود الدغلوب في صحاري المملكة على أنها كانـت بيئة أنهار في العصـور القديمة. ومن أشهر الأماكن التي يوجد فيهـا الدغلوب فيضة خريم وفيضة التنهاة (شمال الرياض)، وخباري وروضات الصمان إذا غمرتها مياه أمطار الخريف والشتاء.



من أسماء الدغلوب في المملكة برغوث الماء

بقـي أن ننبـه إلى أن الدغلوب لا يضر الإنسان بشـكل مباشر غير أن المياه التي يوجد فيها؛ إذا قاربت على التبخر، تنجذب إليها أنواع من الحشرات، وإذا تبخرت تتجمع الحشرات من أجل التغدية على بيضه والتكاثر، ولهذا تكون هذه الأماكن في تلك الحالة منطقة وجود وتكاثر للحشرات الناقلة للأمراض، فضلاً عـن أن الدغلـوب عائل لبعض الديـدان التي توجد في أمعاء الإنسان والـكلاب والقطط، ولهذا يجب عدم استخدام مياه المستنقعات (والغدران) التي يوجد بها.

ابن طواله والذرناح

البارحة عيّا يلجلج نظيري	لاكن به سمّ الافاعي وذرنوح

هـذا بيـت من قصيدة قالها حمدان الحودلة من الطواله وكان عمـه شيخ الاسلم من شمر برغش بن طواله قد وعد بتزويجه ابنته عندما تبلغ. وقد ذُكرت البنت لابن رشيد فخطبها من برغش وتزوجها. ومما قال الشاعر:

العام لي واليوم صارت لغيري	تعرّضه من وال الاقدار ساموح

والذرنوح الذي ذكره الشاعر هو الذرناح الذي ذكره الشاعر عبدالله بن سبيل في قصيدة قال فيها:

الى ذكرت اللي حديثه ذباحي	وغر يوريني عسلهن وهو شاح
واللبّة اللي مثل بيض المداحي	اسهرٍ وكن بناظر العين ذرناح



الذرناح أو الذرنوح أو أم علي حسب التسميات المحلية في المملكة؛ هي خنفساء يستخرج منها مادة تستعمل حديثاً في علاج الأمراض الجلدية وإنتاج اللصقات الطبية لمعالجة الجروح، وسترى في الصفحة التالية أن الآباء في نجد كانوا يستخدمون هذه الخنفساء في معالجة الجرب

الذرناح أو الذرنوح من الأسماء الشعبية لحشرة (من الخنافس) صغيرة لا يتعدى طولها مليمترات وتقارب حبة القهوة في حجمها، وتُعرف في المصادر العلمية باسم الدُّعْسُوقة، كما أن لها أسماء أخرى هي خنفساء أبي العيد، وذبابة أسبانيا، والليدي بيرد.

وقد استخدم سكان منطقة نجد قديماً هذه الخنفساء لعلاج جرب الماشية، حيث يمسكون بالحشرة ويهرسونها على موقع الإصابة بالجرب في الجلد المصاب، أو تدق ويداوى بها الجرب، وهي حارة على

الجلد من تأثير المادة التي توجد تحت الجناح، وربما كان هذا العلاج معروفاً بالتجربة. أما الآن فتستفيد بعض الدول من هذه الحشرة (في الأغراض الطبية الحديثة) لاستخراج ما بداخلها من مادة كيميائية تسمى (الكانثرين) التي تستخدم في علاج بعض الأمراض الجلدية وتدخل في تركيب المراهم واللصقات، ولكن تلك المادة سامة وخطيرة على جهاز البول إذا استخدمت داخلياً، ولهذا تظهر أعراض مرضية على جهاز البول لدى محبي صيد وأكل طيور الدُّخل وغيرها من الطيور التي تتغذى على الذرنوح ولا تنظف أو تنزع قوانصها وأمعاؤها قبل طبخها وأكلها.



وتوجد هذه الخنفساء (الذرنوح) بين النباتات البرية في الصحراء بكثرة في فصل الربيع، وتكثر في المزارع الخالية من المبيدات الحشرية، وهي حساسة جداً من المبيدات الحشرية؛ ولهذا يمكن اعتبار وجودها أو عدم وجودها - خاصة في فصل الربيع - معياراً في التمييز بين المزارع في المنطقة الواحدة في اعتماد أصحابها على استخدام المبيدات.

وتكون هذه الخنفساء غالباً حمراء اللون أو صفراء أو برتقالية زاهية ومنقطة بنقط سوداء، وتربى في بعض الدول - خاصة في أسبانيا - لغرض إكثارها والاتجّار من أجل استخدامها كوسيلة فاعلة للقضاء على الحشرات الضارة بالنباتات، وفي استخدامات طبية أخرى. وقد سجل في إحدى الدراسات أن يرقة واحدة من هذه الحشرة قضت على ٩٠ حشرة بالغة وثلاثة آلاف يرقة حشرية خلال ١٥ يوماً. وتذكر المصادر أن ولاية كاليفورنيا شهدت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي انتشار نوع من الحشرات التي كادت تُدمِّر محاصيل الفواكه هناك، وأمكن القضاء على هذه الحشرات وإنقاذ محصول الفواكه بعد أن نُشرت الدعسوقة (الذرنوح) في المزارع حيث قضت على الحشرات الضارة. و يحرص المزارعون في سوريا وبعض البلدان المنتجة للفستق على وجود هذه الخنفساء الصغيرة حيث تقضي على حشرة أخرى تشكل آفة على محصول الفستق. وهناك أنواع من الدعسوقة تتسبب في أضرار على محاصيل البقول والبطيخ.

أم سالم : أم صالح

ما فيها غير الطيور تصج وتلالي — مع شقة النور والاصوات مسحوبه
فيها ام صالح تجر الصوت موالي — تطلع وتنزل تقول بسلك مجذوبه
لا حصل فيها شبة نار ودلالي — هذيك غاية مناي وكل مطلوبه



أم سالم، وأم صالح من الأسماء المحلية (الشعبية) في المملكة لهذا الطائر المعروف في المصادر العلمية باسم القبرة الهدهدية، وفي مصادر التراث العربي تجده باسم (المُكّاء). وهي من الطيور التي تعيش وتعشش في المناطق الصحراوية المفتوحة

الأبيات السابقة من قصيدة للشاعر شقير بن عقيّل العتيبي يصف فيها الأرض البرية التي يرغب في التوجه إليها بعيداً عن صخب المدينة، ويصور المشهد والتغريد الاستعراضي لطائر سمّاه (أم صالح)، وهو اسم محلي في المملكة وبخاصة في بادية نجد لهذا الطائر المعروف في المصادر المتخصصة باسم (القبرة الهدهدية).

و تعرف أم صالح في مصادر التراث العربي باسم (المُكَّاء). والمُكاء في اللغة هو الصفير، وجاء في لسان العرب أن المكاء طائر يألف الرِّيف، وسمي بذلك لأنه يجمع يديه ثم يَصْفِر صَفِيراً حسناً. غير أن الاسم المحلي (الشعبي) الأكثر انتشاراً في المملكة لهذا الطائر هو (أم سالم) الذي يُطرب لصوته وحركاته الاستعراضية كثيراً من هواة التنقل والأقامة في المناطق البرية المفتوحة في بادية وحاضرة المملكة. وقال الشاعر عبدالرحمن بن سعد بن عفيصان في وصف غناء وطيران هذا الطائر الاستعراضي بعد هطول الأمطار على الأرض البرية :

تلقى ام سـالم في رياضـه لها صياح تصـيـر فـوق العشـب مثـل الملاويح

وقال الشاعر عبدالله بن عبار العنزي:

ورد الخمايـل في عبيره تداويـت والروض للقلـب المشـقى علاجات

مـا غيـر تسـمع لام سـالم زغاريـت الورق تسـجع والقنابر لها اصوات



تشبه أم سالم؛ التي لاتصنف كطريدة صيد؛ الحبارى في السلوك والمعيشة، وهما من الطيور البرية لكن الحبارى؛ طريدة الصقار الأولى التي تستوطن الجزيرة العربية، من الطيور النادرة جداً في المملكة حاليا بينما لازالت أم سالم توجد وبكثرة. وهذا مما يثبت أن الصيد الجائر هو السبب الرئيسي في تناقص أعداد بعض أنواع الطيور وانقراضها. وتشير المصادر العلمية إلى أن عام ٢٠٢٧م هو عام انقراضٍ أنواع الحبارى كلها في جميع أنحاء العالم إذا لم تتم السيطرة على عمليات صيدها غير المقنن. وازداد مؤخراً اتجاه (الصقارين) في المملكة إلى الرحلات الخارجية من أجل صيد الحبارى، ويصيدونها في الباكستان والجزائر والمغرب والسودان ودول إفريقية أخرى، وغالباً تكون هذه الرحلات قبيل موسم تزاوج الحبارى وتكاثرها

الغرنوق والسبيل، وشاربك لا طال

يا ركب عوجوهن بروس المصاليب ... شربة سبيل وجمرته ما رماها
ومراكيات كنّهن الغرانيق ... بيضٍ وسود جنوبهن من سناها

بيتان للشاعر شخيّر بن بصري الوضيحي (توفي عام ١٢٥٠هـ) يدعو فيهما ركباً إلى ضيافته مما لديه في السّبيل ودلال القهوة. فما هو السبيل؟

قبل الإجابة لعلك لاحظت في البيت الثاني تشبيه الشاعر لدلال القهوة بالغرانيق، وهذا تشبيه درج عليه كثير من الشعراء، فمما قاله الشاعر محمد بن عبدالله القاضي (توفي عام ١٢٨٥هـ) في قصيدته عن القهوة:

دنيّت لي من غالي البن ما لاق ... بالكف ناقيها عن العذف منسوق
دقه بنجر يسمعه كل مشتاق ... راعي الهوى يطرب الى دق بخفوق
واحشه بدلة مولع كنها ساق ... بلورةٍ منصوبةٍ تقل غرنوق



البلشون الصغير المعروف محلياً باسم (الغرنوق أو الغرنوق الزّنجي) نوع متوسط الحجم، وتواجه الأنواع الكبيرة في العالم خطر التناقص بسبب صيدها لاستخدام ريشها في صَناعة القبعات

والغرنوق طائر من فصيلة البَلشونات، وتضم هذه الفصيلة أنواعاً كثيرة، منها أنواع ذات لون رمادي وأخرى بلون أرجواني غير أن أكثر أنواع البلشونات (الغرانيق) شهرة هي تلك الأنواع المميزة بشدة بياض لونها. ومن الأسماء التي تعرف بها بعض أنواع هذه الفصيلة في بعض الدول اسم (مالك الحزين)، وجاءت التسمية من خرافة قديمة عند بعض الشعوب تقول إن هذه الطيور تبقى على حواف المستنقعات وتختفي بعد أن تموت حزناً إذا شربت الأرض الماء

وتتميز معظم أنواع البلشونات (الغرانيق) بانتصاب وقفتها إذا حطت على الأرض. وتجد في الشعر الشعبي خاصة القديم منه؛ مثل الأبيات السابقة، تشبيه انتصاب دلة القهوة بانتصاب وقفة الغرنوق أو التشبيه بشدة البياض ومن ذلك قول الشاعرة دبشة المضوية الشمرية بعد مقتل أخيها في غزوة حول منطقة جبل راف:

الله من قلب تولاه هفاف	تلعب به الارياح بين الصناديق
واخوي خلي يا خليفة ورى راف	جيّاب وضح مثل لون الغرانيق



بلشون القطعان يعد أشهر أنواع الغرانيق وهو المعروف محلياً في المملكة باسم الغرنوق العُربي أو غرنوق البقر. وهو نوع مهاجر ومن السهل أن يستوطن حتى خارج مناطق استيطانه الرئيسية. وتسعى بعض الدول المتقدمة مؤخراً إلى توطينه بصورة متعمدة حيث أكتُشف أنه من أكفأ الطيور في تتبع الماشية وتنظيفها من الحشرات العالقة بها والمسببة للأمراض مثل القراد، وكذلك يفعل في الحقول الزراعية فينظفها من الحشرات الضارة بالمحاصيل

ومن أنواع البلشونات (الغرانيق) نوع يعرف في المصادر العلمية باسم البلشون الذهبي، ويطلق عليه في المملكة اسم محلي (شعبي) هو الغرنوق الغبيسي، ولعل كلمة (غباس) هي صيغة الجمع في اللهجة العامية في قول الشاعر سعد بن محمد الضويان:

قم سو فنجال ترى الراس مصدوع	زله وصفه عن سريب الخموع
فنجال فيه مخومس الكيف مجموع	ودلال يشدن الغباس الوقوع

وهذه التسمية للطائر أتت من اللون الذي يميزه وهو (الغبس) الذي جاء ذكره في بيت للشاعر بديوي الوقداني (توفي عام ١٢٩٦هـ) حيث قال:

لو مت في ديرةٍ قفرا جوانبها	فيها لوطي السباع الغبس مدهالي
أخير من ديرةٍ يجفاك صاحبها	كم ذا الجفا والتجافي والتعلالي

والغبسـ كلمة فصيحة، ففي لسان العـرب ورد أن الغَبَسَة لَون الرَّماد، وهو بياض فيه كُدْرة. والغُبْسة هو لون بين السواد والصُّفرة.



البلشـون الذهبـي المعـروف محلياً باسـم الغرنوق الغُبيْسـي نوع مهاجر يمـر على المملكة في فترتـين من كل عام. ويتميـز بمسـحة من اللون الذهبي (في هذه الصـورة) تتلاشـى أثناء الطيـران وفـرده للجناحين والريش فيغلب عليه اللون الأبيض (الصورة التالية)





تتميز بعض أنواع الغرانيق بلونها الأبيض (في الأعلى الغرنوق العُربي)، ويأتي في الشعر الشعبي تشبيه دلة القهوة بانتصاب وقفة الغرنوق (في الأسفل الغرنوق الغبيصي)



أما السؤال عن السبيل؛ قبل أن نتعرض للغرانيق، فإجابته هي أن السبيل: أداة تدخين التبغ، وهو أنبوب من عظم الضأن أو نحوه فيما يشبه الغليون. وقد جاء ذكر هذا العظم (السبيل) في بيت للشاعر ساجر الرفدي (عاش في القرن الثالث عشر الهجري) حيث كان في رحلة قنص، وقد تسبب مرافقه في الرحلة دون قصد منه بقتل صقر وكلب صيد لساجر ، ولما كانت الرحلة في شهر رمضان جلس ساجر قبيل الإفطار وقد أعد القهوة فأقبل مرافقه ليعتذر، لكن طرف ثوبه تسبب بدون قصد منه في سقوط الدلة على

الفناجيل فتكسرت وانسكبت القهوة على الأرض، وحتى العظم المعبأ (بالتتن) لم يسلم من أخطاء مرافقه غير المقصودة، فقال ساجر:

من خلقتي ما شفتها بالليالي	أربع مصايب خايبة جت من الجار
الاوله حطاب يسوى العيالي	اشقر عديم لابرق الريش نثار
والثانية خطاف ما له مثالي	شرّه على تيس الجميله الى نار
والثالثة سويت بصفر الدلالي	وقصرت قيمتها على بن وبهار
والرابعة عظم بتتن الشمالي	وافلست منهن عند حزات الافطار

ولعلك لاحظت عزيزي القارئ في بيت شخير الوضيحي، وغيره من الأبيات التي تجدها في دواوين الشعر الشعبي، أن تقديم التبغ للضيوف (عند بعضهم) كان في القدم مظهراً من مظاهر الكرم والرجولة. ويصف الباحث في الموروث الشعبي فايز بن موسى الحربي أن هذا كرم (من شدة الجهل) آنذاك.



الجميلة هي قطيع الغزلان، والتيس اسم للذكر منها

وبمناسبة الحديث عن التدخين وأدواته قديماً، قد تسمع بعضهم يقول (يا شارب الدخان شاربك لا طال)، وهذا صدر بيت يتردد على الألسن عندما يراد عتاب أو ذم من ابتلي بعادة التدخين. فما قصته؟

يذكر عبدالله بن رداس في كتابه شاعرات من البادية أن زوجة واحد من شيوخ الهذال؛ من قبيلة عنزة، أرادت توجيه اللوم على تعاطيه الدخان فقالت له:



أبرق الريش من الأسماء الشعبية لطائر الحبارى

يا شارب الدخان شاربك لا طال	ايّاك وايّا واحدٍ جاز دونه

ولما علمت أن زوجها غضب من لومها، قالت فيما بعد تسترضيه في تحول معاكس:

شـرابة التنبـاك فيهـم سـعة بـال   واللـي **طويـل شـاربه** يقصـرونه



المدخنون هم أكثر من يعرف خطورة التدخين، فاختر طيب المأكل والمشرب

ومن طريف مـا نقله الراوي منديـل الفهيـد أن الدخـان (أو التنبـاك أو التـتن) كان سببـاً في إنهاء حرب بـين قبيلتي عنزة بزعامة شيخهـم ابن هذال وبين الظفـير بزعامـة شيخهـم ابـن سويـط، في حادثة جـرت قديماً عندما كانت تحدث معارك تسمى المناخ، والمنــاخ معركة تمتد لأيام قـد تطـول إلى أشهر بين فريقين (أو قبيلتــين) تقوم على المطاردة والمواجهـة بالسيوف والرماح إلى أن تنتهـي بغلبة أحـد الفريقين. وفي خضم هذا المناخ بين عنزة والظفـير؛ في ليلة انشغل المتحاربون بحصر خسائرهم ومداواة جرحاهم؛ غادر ابن سويط جماعته دون أن يخبرهم عن وجهته، وكان في حالة من (ضيق الخاطر) بعدما نفدت مؤنته من (القهوة والتتن)، وقصد مضارب ابن هذال فاستقبل بالترحاب والحفاوة، لأنه قدم مسالماً. ثم أخذ ابن سويط مكانه في مجلس ابن هذال محفوفاً بمظاهر الضيافة، ثم قال أبياتاً يلمح فيها إلى سبب مجيئه وهو (ضيق الخاطر واستدارة الرأس) بسبب نقص القهوة (والتتن)، ومما قال:

يا شـيخ يا شـيخ السـلف والجهامة   زيـزوم ربعـه بالنهـار الكبـير
جيتـك علـى عوصـا بداجي ظلامه   الراس منـي دايـخٍ مستدير

وعرف ابن هذال من هذين البيتين وبقية القصيدة سبب مجيئه، فقال:

يـا مرحبـا بـك يـا مـوارث سـلامة   انـا مانيـب ابغضـك والله خبـير
شـفك علـى الملة مبنـي خيامـه   بيمنـى غـلام محتـف بـه بصـير
مـع عـود الازرق تـو فكـو بلامـه   عنـك العماس الى دحمتـه يطـير

وأمضى ابن سويط تلك الليلة مسامراً ابن هذال مع (القهوة والتتن)، ومنها كان الصلح بين الفريقين.

ومـن طريـف ما يروى عن الشاعر سليمان بن شريم (توفي عام ١٣٦٣هـ) أنه كان يتسامر ذات ليلة في منطقة برية في الكويت مع صديقه سعد الهدلق الذي لاحظ أن بن شريم أخذ يقلب علبة الدخان وهو شارد الذهن، ثم بدأ يلف سيجارة (شاور) واستمر في عملية اللف على غير المعتاد فقال ابن هدلق:

يا سليمان النجوم أدبحت يم المغيب   والزقـارة في يـدك تـو مـا لفّيتهـا

فرد ابن شريم:

الزقارة يا سعد تبري الجرح العطيب   لـو تعـرف أحكامهـا مـا خلّيتهـا

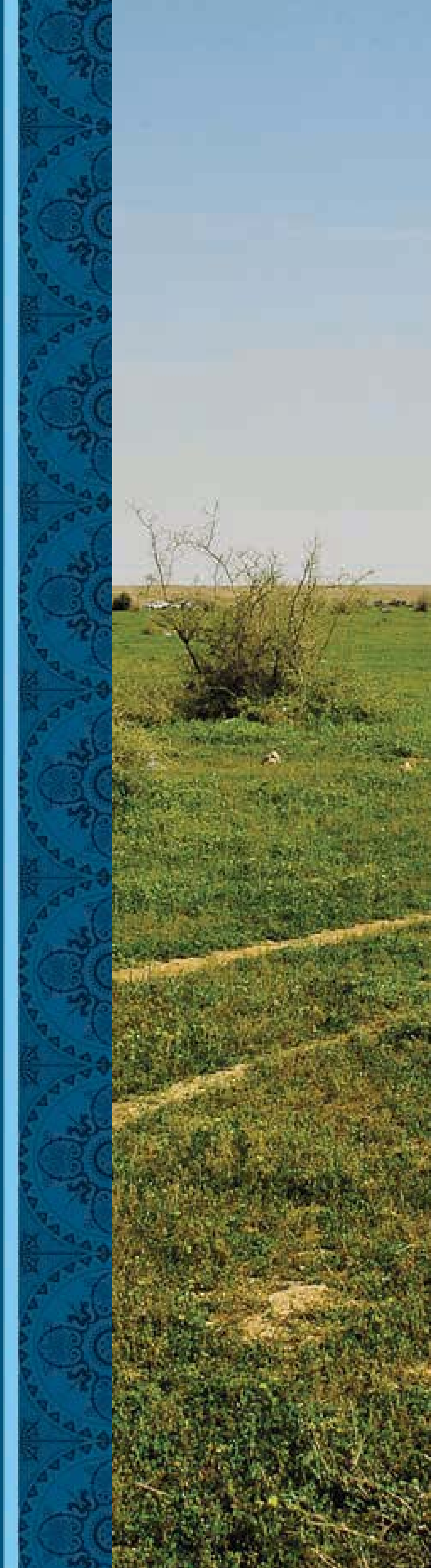
فقال ابن هدلق:

ما شربته في الشباب اشربه وقت المشيب   يـالله انـك تاخـذ الـروح مـا مزيتهـا



الملحق الثاني
خلف الصورة
مواقف وطرائف
من رحلات المؤلف

- سلامات
- خطورة السيل
- أخطر مما تتصور
- فاجعة الأب
- لن نجني من البلاستيك العسل
- السدرة تتهاوى
- دعاية
- مزاين
- أطنان الحديد
- تناقض
- سباقات
- صورة محمية
- رمي (القوقسي) طيار
- بيض لن يفقس
- أم سالم والصغار
- قبل صورة القطا
- بعد صورة القطا
- الذبابي
- البلبل والمزارع
- صديق صاحب الإبل
- خراب فقد العصفور (المخرب)
- مينا الخرج
- غراب البين
- الكلب الشرس
- مفارقة الوروار والقمري
- مفارقة القمري والوروار
- أربعة آلاف ريال في بطة واحدة
- ابن حثلين تتله سبوقه
- الضيغمي قبل علماء الطيور
- الخاطوف و (الشايب)
- الفلبيني وتمر القصيم
- حتى العمال!
- خلف الصورة



سلامات



في أحـد شعـاب المنطقـة الوسطى على بعد ١٢٠كـم شمال الرياضـ بعد هطول الأمطـار في موسمها عـام ٢٠٠٦م، شاهـدت هذه السيارة وقد علقـت بوسط الشعيب ونشب خزان الزيـت بين الصخور بحيث لـو سحبـت السيارة فقد يتأثر الخزان، ولما سألت صاحبها هـل كان مرورك قبل جريان الشعيب؟ قال: لا. وادعـى أنه يعرف الشعيـب تمام المعرفة وزعم أن الأمر ما كان ليحدث لولا أنـه نسي (تعشيق الدبل)، بل ألقى باللائمة على رجال الدفاع المدني الذين لم يحضروا لمساعدته منذ تبليغهم قبل ساعتين.

صحيح أن هذا السائق ومن معه بحاجة إلى سرعة المساعدة والإنقاذ حتى لو كان في منطقة نائية، لكن حقيقـة الأمـر أن كل العقلاء يعرفون أن اقتحام الأودية ومستنقعات الميـاه بالسيارة هي نوع من المجازفة. فمن هو المسؤول عن إلقائه في وسط الشعيب؟

خطورة السيل



التقطـت هذه الصورة في شهـر فبراير عام ٢٠٠٧م في مجرى شعيب الخويشـ قبل دخوله إلى مصبه الأخـير (فيضة خـريم على بعد ١٠٠كم عن الرياضـ)، التقطت هذه الصورة بعـد توقف هطول الأمطار مباشرة. وتُشاهد جرياناً محدوداً للماء، وتظهر السيارة في أقصى يمين الصورة.

بعـد نصف ساعة تقريباً غطى الماء كل الشجيرات . وبفضل العناية الإلهية خرجت قبل إزدياد جريان الماء. وحقيقة الأمر أن مجاري الأودية والشعاب خطيرة جداً، وقد يتفاجأ الشخص حتى لو كان في منطقة لم تهطـل فيها الأمطار بجريان الماء سريعاً بشكل خطير. وبحسب أصول السلامة في الرحلات البرية تعد المنخفضـات وبطون الأودية من الأماكن التي ينبغي الابتعاد عنهـا وعدم المبيت فيها خاصة خلال مواسم هطول الأمطار.

أخطر مما تتصور



هــذه صــورة مجهرية لفــرع؛ أصغر من طــول وحجم عود ثقاب، مــن شجيرة تعــرف في مصادر اللغة العربيــة باســم الغَلَّقة، وتسمى في المملكة بأسماء محلية (شعبية) منهــا الغزالة، وأم اللبن، واللبينة، وهي نبتــة سامّــة جــداً. وتشاهد في الصورة قطرة من العصــارة اللبنية تخرج من النبتــة، وقد تم ذلك بعد أن خبطتُ الشجيرة بعصا أحملها معي لأنني أعرف أن لمس هذه النبتة السامّة يتسبب بمشاكل وحكة شديدة علــى الجلد؛ ولذلــك يجب الابتعاد عنهــا وعدم لمسها. ولكي تتصــور عزيزي القارئ مــدى خطورة النبتة أفيــدك أنه بعد التقاط الصورة بساعــات أمسكت العصا (ناسياً) من الطرف الذي خبطت به الشجيرة، ثم واصلت البحث والتصوير وقد كنت في منطقة برية خلال أشهر الصيف. وفي طريق عودتي من الرحلة أحســست بحرقــة والرغبة بحك رقبتي ما لبثت أن تحولت إلى اللون الأحمر مع ألم، ثم تذكرت أنني خلال التصويــر مســحــت بيدي العرق المتصبب على الرقبــة وهي نفس اليد التي كنت مسكــت بها طرف العصا الذي خبطت به الشجيرة.

بقــي أن تعــرف عزيزي القــارئ أن العصارة اللبنية من هــذه النبتة كان الأبــاء يستخدمونها لتسميم الرمــاح. وحقيقــة الأمر أن هناك نباتــات صحراوية خطيرة تصل أضرار التعرض لهــا - سواء بلمسها أو باستنشاقها — إلى مضاعفات شديدة تصل إلى الموت في حالة أكلها.

فاجعة الأب



في رحلة لتصوير نوع من البط المهاجر في وادي حنيفة في مكان يقع في منتصف المسافة بين مدينتي الرياض والخرج، عايشت مرارة الفقد وحسرة الأب عندما شهدت حادثة وقعت على أسرة اجتمع حولها أفراد من الدفاع المدني. عرفت أنهم يبحثون عن طفل بعمر أربع سنوات فقدته الأسرة. تفاعلت مع الحدث والتقيت بأب الطفل، وبحكم ترددي ومعرفتي بطبيعة الموقع ومجري الوادي أبديت بعض الملاحظات التي تعين في عملية البحث. وكنت أتردد يومياً مدة خمسة أيام وكلما قابلت الأب؛ الذي لم ينم طوال هذه المدة، لفت انتباهي إلى شعوره بأنه سيجد ابنه على قيد الحياة بين الأشجار ولهذا يحرص على المشي بمحاذاة حواف الوادي كل ليلة عندما تهدأ الأصوات ليستدل على ابنه من صوت البكاء. وقد انتهت معاناة الأب في اليوم الخامس إلى مأساة العثور على الطفل بمكان على بعد عشرين كيلومتر فقد جرفته المياه ومات غرقاً.

وكنت موجوداً لحظة العثور على الجثة مع أفراد الدفاع المدني قبل وصول الأب الذي أقبل متلهفاً ولم يكن يعلم أن ابنه متوفى، وشاهدت كيف تحول الموقف في لحظة من الشعور أن ابنه على قيد الحياة إلى صدمة مشهد جثة ابنه على الأرض.

أجزم أن مشهد الأب وتأثره الشديد لو وثّقه مصور تلفزيوني لكان المشهد كافياً لردع كل الأباء الذين يهملون أبناءهم ويغفلون عنهم ويتهاونون بخطوره القرب من مجاري الأودية والسيول وتجمعات المياه.

لن نجني من البلاستيك العسل



في رحلة برية مع مجموعة من الأصدقاء لفت انتباهنا طريقة صاحب قطيع من الأغنام في الاستفادة من الأكياس البلاستيكية المفرغة من الأعلاف، وتجهيز مأوى (للشّيَاه المطافيل) يقيها من برودة هبوب الرياح في مثل هذه الأجواء الشتوية الغائمة (الصورة). ويقصد بالمطافيل الشياه التي ولدت الحملان الصغيرة التي تتبعها لترضع منها. أثنى الأصدقاء على عمل صاحب الأغنام وتحدثت معه لأعرف مصير هذه الأكياس عندما ينتقل إلى مكان آخر، فأجاب بأنه يتركها في محلها مشيراً إلى أن (الأكياس كثيرة ولا تستاهل حملها أثناء التنقل). ولا ندري هل اقتنع بالرسالة التي أبلغناه إياها وأكدنا على أن أكثر المتضررين من ترك مثل هذه المواد هم أصحاب الماشية أنفسهم. أما الصورة الثانية فهي لبقايا (منحل) من تلك التي زاد انتشارها في الآونة الأخيرة خلال فصل الربيع بالمناطق البرية. ورغم أن بقايا المنحل أقل ضرراً باعتبار أن مكونها الرئيسي هو الخشب فالصورتان؛ أو ترك المخلفات في المراعي، تعكسان أنانية الاثنين أو جهلهما. وفي كل الأحوال ربما وقع العتب على الجهة التي أوكل إليها تنمية المراعي وحمايتها. ولا يرى المتجولون في الصحراء وأصحاب الماشية ممارسة لدورها التوعوي في الميدان.



السدرة تتهاوى



لـو سألـت واحداً من كبار السن الذيـن عرفوا بعض الروضات والخبـاري في المناطق الصحراوية من المملكـة خاصـة الذين انقطعوا عـن المرور عليها في السنـوات العشر الماضية، لو سألته عـن كثافة أشجار السدر فيها لحدّثك عن شيء مغاير لما تشاهده في هذه الصورة.



وفي الصـورة الثانيـة تشاهد شابين في إحدى خباري الصمان يجـران بواسطة سلاسل حديدية مثبته



في السيـارة شجرة سـدر اقتلعاها من جذورهـا وسحباها لغرض إحراق فروعهـا للتدفئة، رغم أن دخان هـذا النوع من الأشجار سيـئ. وقد أصبحت المناشير مؤخراً واحدة مـن التجهيزات الرئيسية لكثير من الهواة الذين تتزايد أعدادهم مع طفرة الاتجاه لهواية الرحلات البرية، وستساعد مشاريع شق الطرق في المناطق الصحراوية على وصولهم قريباً لكل المناطق وكل أنواع الأشجار.



والجديـد في السنوات الأخيرة في المنطقة الوسطى امتهان بعض العمال من الجنسيات الآسيوية قص أشجار الطلح في الأودية القريبة من المدن والقرى لغرض بيعها لـ(مطاعم المندي)!



دعاية

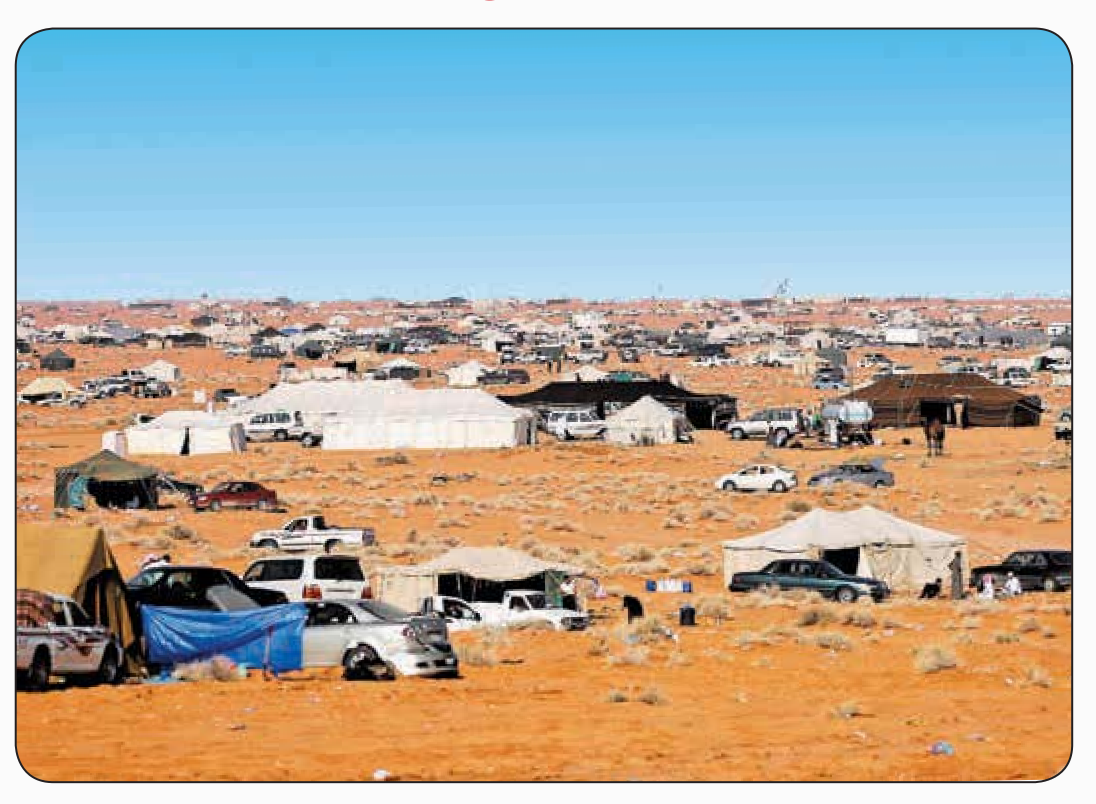


في فصل الربيع ومع ذروة الاهتمام الموسمي بالرحلات البرية الذي يوافق عادة الإجازات الرسمية تزداد كثافة المتنزهين في مناطق محددة خاصة تلك القريبة من الرياض. وتشاهد هذه الخيمة (الصورة) التي نصبها صاحبها قرب واحدة من أكثر المناطق البرية جذباً للمتنزهين؛ وهي خباري الحصبيات في شمال الصمان (٣٠٠كم تقريباً شمال الرياض). الطريف - كما لاحظت - أنها بقالة يعرض صاحبها مواد التموين الأساسية وبعض المستلزمات الخاصة بالرحلات البرية.

وفي مناطق مماثلة تجد براميل معبأة بالبنزين فيما يشبه المحطات البدائية قبل عشرات السنين. وأطرف من ذلك أن أحدهم نصب صندوقاً على شاحنة صغيرة عام ١٤١٥هـ أوقفها قرب خبراء معروفة لسكان المنطقة الوسطى؛ وهي خبراء أم قرين في الصمان (٢٦٠كم شمال الرياض) وذلك لبيع أنواع من الألعاب النارية. في ذلك العام يتحول المكان في كل ليلة إلى ما يشبه كرنفال سياحي يغلب عليه فوضى مشابهة لما يحدث في ساحات مسابقات مزاين الإبل التي ما أن تنتهي فعالياتها إلا وتجد الأرض تحولت إلى مكان لكب أطنان من النفايات المختلفة. بالتأكيد لن تشجع مثل هذه الفوضى على دفع المستثمرين إلى تلبية ما ينادي به المهتمون والراغبون في الاستثمار في سياحة الصحراء.



مزاين



هـذه الصـورة في مكان ملاصق لموقع إحدى مسابقات يطلق عليهـا (مزاين الإبل) والتي زاد الاهتمام بهـا منـذ عدة سنوات، وتقـام في أكثر من منطقة. وتبلـغ مساحة مكان المسابقة (منصـة العرض) عادة (كيلومـتر في كيلومتر) لكن هناك مساحات واسعة محيطة بالمكان (الصورة لجانب منها) تقدر بعشرات الكيلومـترات تجول فيها آلاف السيارات والبشر الذين لاتعنيهم مسابقات الإبل بشكل مباشر، إنما قدموا لأغراض أخرى تقع ضمن الاهتمام بما تطلق عليه بعض الجهات (سياحة الصحراء) بما فيها من مطاعم شعبيـة في خيام وأكشاك متراصة وبدائية بعضها يبيع اللحم في العراء، وسيارات متنقلة لبيع المياه والمواد التموينية الرئيسية فيما يسمونه سوقاً شعبياً. ولو سألت زائراً (من خارج المنصة) عن التنظيم الخارجي فسيجيبـك بكلمات لاتخرج عن (فوضـى، تلويث، تزاحم وتطعيس غير منظم، تهـور في قيادة السيارات، حـوادث يومية). الغريب أن هذه المسابقات التي تستغـرق غالباً فيما بين أسبوعين إلى أربعة أسابيع تبقى آثـار التلويث فيها طوال العام، إما بسبب جهل من بعض مرتادي هذه المسابقات الذين يتركون مخلفاتهم ومعظمهـا من البلاستيـك، أو بسبب غياب الجهات التي ينبغي أن تكون فاعلة في التنظيم والتنظيف وقبل ذلك في التوعية والإرشاد. تبقى الإشارة إلى أن القليل من هذه المسابقات تظهر بصورة حسنة في التنظيم لأسباب تعود إلى إجتهادات شخصية.

أطنان الحديد



لا تخلو كثير من المواقع البرية في المملكة من السيارات القديمة المهملة، ويُعتقد أن معظمها تعطلت في حقبة زمنية كان يندر فيها وجود الفني المتخصص في إصلاح الأعطال حتى لو كانت بسيطة، أو أن أصحابها تركوها بسبب عدم توافر قطع الغيار مع بدايات دخول السيارات، أو أنها أهملت بعد مضي عمرها الافتراضي. ومن هذه السيارات ما أصبح معلماً يشار إليه عند الحديث عن روضات وشعاب يقصدها هواة الرحلات البرية والصيد.

وبصرف النظر عن سبب إلقاء هذه السيارات القديمة في المناطق البرية فالمؤكد أنها أطنان من الحديد لا صاحب لها، ويمكن تجميعها والاستفادة من تدويرها في تصنيع منتجات أخرى، وبالتالي إزالة منظر مشوه لجمال الصحراء فضلاً عن الفائدة في الحدّ من الضرر الذي قد ينتج من تحلل بعض المواد المكونة لهذه السيارات خاصة الإطارات والأسقف البلاستيكية وغيرها.

تناقض



هـذه الصـورة التقطت مع شروق الشمـس بعد مغادرة مجموعة من هواة الرحـلات (الكشتات) باتوا ليلتهم في المكان وانتقلوا لغيره، ومن المؤكد أن ترك المكان بهذه الهيئة ينمُّ عن جهل أو تجاهل.

أمـا الصورة الثانية فقد التقطـت في مساء نفس اليوم لهؤلاء الواقفين خلف المـرآة، توقفوا وفي نيتهم التنزه بالمساحة الخضراء لكنهم عدلوا بعد أقل من دقيقة وغادروا فلم يعجبهم اتساخ المكان بسبب بقايا متفرقة من أكياس البلاستيك.

المحـزن أن هـؤلاء الأشخاصـ في الصـورة الثانية هـم نفس الأشخاصـ الذين تركوا المـكان الأول في الصبـاح. لاشك عزيزي القارئ أنك وصفتهم بالأنانية في سلوك متناقض ينم عن وقاحة. والواقع أن الصحـراء ابتليت بمثل هؤلاء، وليتهم يكتفـون بالتنزه في المدن وأطرافهـا ويتركـون الصحراء نقية.



سباقات



(الدَّعُو) عملية يهدف من وراءها هاوي الصيد بالصقور إلى تدريب الصقر ورفع لياقته، وتتم بإطلاق (الصقّار) لحمامة تطير لمسافة معينة ثم يكشف عن برقع الصقر و(يهده) ليقتنصها.

وبسبب ندرة طريدة (الصقار) الأولى وهي طيور الحبارى فإن عملية (الدعو) تكاد تكون المتعة الوحيدة لكثير من هواة الصيد بالصقور.

في لقائي مع (صقار) قارب الثمانين من العمر (راجع الفصل الأول) أكد أن أبناء جيله كانوا يدربون الصقور ويرفعون لياقتها مباشرة مع طيور الحبارى التي كانت متوافرة على هيئة أسراب قبل أن تتناقص أعدادها، أما الآن فإنها محدودة جداً وقد لايراها (الصقّار) طوال العام.

إن تشجيع الصقارين وتهيئة المكان (المدعى) الذي يجتمع فيه بعضهم لممارسة هذه العملية في أطراف المدن والقرى وتنظيمها (متزامنة مع مواسم الصيد) كمسابقات ذات جوائز قيمة لهواة الصيد بالصقور وتغطيتها ونشرها إعلامياً، قد تكون واحدة من الحلول لصرف بعضهم عن المبالغة في الصيد وتوجيههم للمسابقات بدلاً من قتل طرائد مهددة بالانقراض.

صورة محمية



نشـرت هـذه الصورة في الكتاب الثـاني من هذه السلسلة الـذي أصدرته بعنـوان (حبائل الصحـراء: دليلك المصور إلى تجنب أخطار الصحـراء وأخطاء الرحلات البرية) وهو كتاب يتناول الأخطار والأخطاء التي تواجه عابري الصحـراء والمقيمين فيها من هواة الصيد والرحلات البرية وأصحاب الماشية؛ فيوضح طبيعـة الأخطار المتعلقة بالحيوانات والزواحف والنباتات السامّة والحشرات، ويشرح بالصور الإجراءات الوقائيـة والعلاجيـة عند التعرض للأخطـار إضافة إلى موضوعات أخرى يتناولهـا الكتاب. ونشرت هذه الصورة في آخر الكتاب وكان التعليق عليها كالتالي:

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف: ٣١.

وقـد وصلنـي عبر البريد رسائل تعلق وتسـأل وتضيف، فهمت منها استغـراب أصحابها من جمع هذه الكميـة مـن (فشق الشوازن). وأعـرف أن الكثيرين سيتفاجأون إذا كشفت أن هـذه الصورة التقطتها في واحـدة مـن (المحميات الطبيعية) التي استثمـرت سياحياً في المنطقة الوسطـى، وكان ذلك أثناء تجوالي للبحث وتصوير النباتات، بل إنني جمعتها في مدة لا تتجاوز نصف ساعة. وفي تقديري أن كمية (الفشق) الظاهرة في الصورة تقدر بنسبة ٥٪ من التي لم تظهر بالصورة في مساحة لا تتجاوز كيلو متراً مربعاً قرب دحل يستوطن فيه حمام الصخور.

رمي (القوقسي) طيار



تصنيف طائر ضمن طرائد الصيد في المملكة يرتبط بعوامل ذات علاقة بالدرجة الأولى بموروث شعبي تعوّد عليه الصيادون فضلاً عن أن طيب مذاق لحم الطائر أحد العوامل الرئيسية في ذلك. ويعتبر طائر القمري المهاجر (المعروف بأسماء محليه منها القميري، حمام البر، الكرور، الرقيطي) طريدة الصيد الأولى على مستوى المملكة، أما هذا الطائر المحلي (الصورة) المشابه للقمري في السلوك والمعيشة والتغذية -وهما ينتميان إلى فصيلة واحدة هي فصيلة اليمام- فلا يعتبر طريدة صيد إلا فيما ندر عند الصيادين الذين لم يتمرسوا في التفريق بين الطائرين. وهذا الطائر الوديع الذي يثير بصوته أحاسيس الشعراء والفنانين يسمى اليمام المطوّق، ويعرف محلياً باسم (القوقسي، أو القيسي، أو الفاختة) كما أن اسم (الراعبي أو الراعبية) يطلق عليه وعلى نوع آخر من الحمام. ويعرف اليمام المطوق في جنوب غرب المملكة باسم (القماري)، وقد سميت جزيرة أم القماري في البحر الأحمر نسبة إلى نوع مهاجر منه يأتي إلى الجزيرة زائراً صيفياً من إفريقيا ويتكاثر في الجزيرة ثم يغادرها في نهاية الصيف.

لقد بدأ في السنوات الأخيرة انتشار مسابقة جديدة بين فئة من الصيادين أو (حاملي البنادق) خاصة في منطقتي القصيم وحائل عبارة عن (عملية قتل للقوقسي المحلي)؛ حيث يذهب بعضهم إلى أطراف المزارع ويتعمدون الإتيان بأصوات وحركات تفزع أسراب القوقسي لتطير من أعشاشها وأفراخها، ثم يقوم آخرون مستخدمين بنادق الشوزن برماياتها أثناء تحليقها في الجو فيما يعرف بـ(الرمي طيار)، ولا يهتمون بمكان سقوطها بقدر ما يهم الرامي التصفيق الذي سيناله من الحضور على (حسن رمايته)، والقليل من هؤلاء يجمع الطيور بعد قتلها ليعطيها عمالاً أو يلقيها في مكان آخر بعيداً عن (ساحة المسابقة).

والسؤال، هل ينصرف هؤلاء عن ممارسة تلك المسابقة لو وجدوا أندية رماية منظمة تستوعب بعضاً من طاقاتهم وتطفئ فتنة الرماية.

بيض لن يفقس



أحـد الأصدقاء الصيادين شاهد معـي آلة صوتية تعمل بـ(الريموت كنـترول) تصدر أصواتاً مختلفة لأنـواع الطيور، وتستخدم غالبـاً أداة لجذب الطيور ومراقبتها وتصويرها في الـدول المتقدمة عند (هواة مراقبـة الطيـور) الذين يعتبرون (مصـادر للمعلومات) ومساعديـن لمراكز الأبحـاث وهيئات وجمعيات الحفـاظ علـى الطيـور. ويباع هـذا الجهـاز في الآونة الأخـيرة في دول الخليـج العربي؛ حيـث يستخدمه صيادوها لجذب طيور السمان و(صيدها). الصديق استعار الجهاز عدة أيام وثبته على عمود في مزرعة كبـيرة مطلقـاً في كل ليلة صوت طيـور السمان (الفري) خلال موسم هجرتهـا. وأسرف في جذبها وصيد المئـات منهـا، ثم استرددت الجهـاز وقمت وإياه بجولة داخـل المزرعة ليشاهد بنفسه عشـرات الأعشاش الأرضيـة لبيـض السمان، وقد أحصينـا في يوم واحد عدد ٣٤٢ بيضة كانت ستفقـس وتفرخ عن طيور قد تستوطن في المملكة؛ لأن الطيور بشكل عام تتكاثر في البيئة التي تجد فيها غذاء كافياً وملاذاً آمناً، لكن لا ملاذ للطيور بوجود الصياد المسرف.

أعـرف أن هـذه الآلـة أو (التسجيلات الصوتية للطيور) بدأ ينتشـر استخدامها بين فئة من الصيادين في المملكة، وسأتفق معك عزيزي القارئ إذا رأيت أن هذه الصفحة ربما ساعدت في نشر هذا الاستخدام لو صدر الكتاب قبل أكثر من عشر سنوات، أما مؤخراً فلا تخفى الحيل على الصيادين مع التوسع في استخدام الإنترنت. وقد ترى أن الحل للتصدي للإسراف في الصيد يكمن في توسيع قاعدة المحميات الطبيعية في المملكة ومنـع الصيـد فيها إضافة إلى التحرك لتنفيذ حملة وطنية توعوية شاملة تهدف إلى أن يكون سلوك الصياد وتصرفاته نابعة من قناعته بأهمية الحفاظ على التوازن بين الأحياء الفطرية، على أن نعترف بصعوبة إلغاء هوايـة الصيـد الراسخة في ثقافتنا الشعبيـة، وأن نسمح بها وفق نظام واضح وصـارم (يطبق فعلياً) ويتيح للصياد ممارسة هوايته براحة وإطمئنان، ويوقع أشد العقوبات على (جميع) من يخالفه.

أم سالم و الصغار



القبرة الهدهدية أو كما نعرفها باسم أم سالم أو أم صالح طائر لا يصنف ضمن طرائد الصيد أبداً، تشاهـده في لقطـة قريبة جداً التقطتها بمكان في آخر الحدود الشماليـة للمملكة. ومن الملاحظ في سلوك هـذه الطيور الصغيرة (المحلية) في تلك المناطق البعيدة عـن السكان أنها لا تطير إذا اقتربت منها، على العكس تماماً في المواقع البرية التي يوجد فيها هواة الرحلات البرية بكثرة، وربما كان فزع الطيور لأن ثمة من يزعجها ويقتلها دون سبب، بل إنني شاهدت أكثر من مرة من يعبث بفراخ هذه الطيور ويعطيها أبناءه الصغـار فيعذبونها إلى أن تموت. والحقيقة التي تذكرها المصـادر العلمية أن الطيور قد لاتبيض ولاتفرخ ولا تتكاثر في المنطقة التي تستوطنها إذا شعرت بخطر يتهدد حياتها أو حياة أفراخها.

قبل صورة القطا



القطـا طيـور لا تعيش ولا تعشش فـي الأشجار بل تضـع أعشاشها وتتكاثر على الأرضـ، وتتغذى على الحبوب فقط. ويميزها عن الطيور الأخرى حاجتها إلى شرب الماء يومياً مرة واحدة على الأقل، وتطير من أماكن تعشيشها مسافات تصل إلى مئات الكيلومترات طيراناً سريعاً عبر خطوط متعرجة من أجل الشرب فقط ثم تعود بخط مستقيم وبدقة عالية إلى أماكنها دون أن تخطىء الطريق، ولهذا قيل في الأمثال (أدل من قطاة) و (أسرع من قطاة)، وفي ذلك قال الشاعر الفارس تركي بن حميد في وصف راحلة:

ياراكب من عندنا نابية شطّ — تشدى ظليم بالخلا صايعه ذور
تشدى لكدري القطا حين قرطّ — ان صف ريشه عقب ماهو بمنشور
وفوقه غلام ولا اظلم الليل ما غطّ — أدل من فرق القطا صوب خابور

والكدري أو الجوني هو نوع من القطا يعرف في المصادر المتخصصة بالقطا أسود البطن ويعتبر من أشد أنواع القطا حذراً، ويزور مناطق المملكة الشمالية والشمالية الشرقية في فصل الشتاء قادماً من الدول الواقعة شمال المملكة. وقريب منه في الحذر والسلوك والمعيشة نوع آخر شبه منقرض في مناطق المملكة يعرف بالقطا المرقط الذي يسمى في المملكة بـ(قطا نجد أو القطا المقطقط). وثمة نوع آخر وهو القطا المخطط (الصورة) المعروف في مصادر التراث العربي بـ(الغَطَاط)، ويُعرف بهذا الاسم في أكثر مناطق المملكة. وهو مستوطن في المملكة ودول أخرى ويتنقل داخلياً مدفوعاً إلى البحث عن الماء والحبوب، لكنه أصبح شبه نادر في المناطق المفتوحة مقارنة بما كان عليه الوضع قبل عشرات السنين. ويكفي أن نعرف أن أسراباً كثيرة كانت توجد في منطقة واسعة مثل الصمان قبل عشرين سنة تقريباً، وتتضاعف هذه الأسراب في فصل الشتاء كي تشرب من مياه الخباري والغدران، أما الآن فلا يوجد نهائياً في الصمان، وينسحب هذا الوضع بدرجات متفاوتة على بقية مناطق المملكة.

بعد صورة القطا



لعلك لاحظت لون القطا في الصفحة السابقة واندماجه مع لون التربة؛ ولهذا تصعب رؤيته فضلاً عن حذره الشديد من الإنسان والسيارات، وقد لا تعود طيور القطا إلى المكان الذي تشعر فيه بخطر يهددها.

الصديق منصور بن ناصر المناع رصد في صيف عام ٢٠٠٧م سرب قطا يرد حوض ماء يبعد عن الرياض بمسافة (١٣٠كم)، ولأنه صياد يمارس هوايته بوعي وانضباط ويعرف أن هذا النوع محدود الانتشار في منطقة الرياض، أخبرني بأنه هيأ المكان بنصب ما يشبه الخيمة المموهة، ودعاني من أجل التقاط صور لهذا الطائر لا صيدها. وبعد التقاط الصورة خرجت من هذا المخبأ فأخبرني أن هناك صياداً عثر على هذا السرب وينتظر إنهاء عملية التصوير ليمارس هوايته في صيدها. وعبثاً حاول الصديق المناع إقناع الصياد بندرة وجود هذا النوع في ذلك المكان وتفضيل تركه ليتكاثر.

بالتأكيد سيقفز سؤال أمام القارئ الصياد حول تحديد المكان بدقة وفي ذهنه (العيار أو الضغط المناسب من فشق الشوزن) لصيد القطا. فأقول سبقك صياد لا يفرّق في ممارسة هوايته بين متعة الصيد وبين مسؤولية المحافظة على الطيور المستوطنة في المملكة بعيدة عن شبح الانقراض.

الذبابي



هـذا الطائر أصغر من العصفـور شبيه إلى حد ما ببعض أنواع طيور الدخـل، ويمر معها على مناطق المملكـة في رحلتـي الهجرة والعودة السنوية. يُعـرف هذا الطائر في المصادر العلميـة باسم له علاقة بنوع غذائـه (صائـد الذباب المرقط) فله مقـدرة عجيبة في الانطلاق بين الفينة والأخـرى - بعد أن يقف على سياج أو فرع شجرة - في طيران سريع ليلتقط الذباب أو حشرات أخرى في الجو، ثم يعود غالباً إلى نفس المكان وهكذا.

الكثير من صغار الصيادين لايفرقون بينه وبين الدخل، أما المتمرسون في الصيد فيعرفون هذا الطائر باسـم (الذبابـي) ولا يصيدونـه بل يكرهونه بسبب أنـه يتغذى على الذباب، لكـن الحقيقة أن الحشرات ومنهـا الذبـاب والبعوض والخنافـس الصغيرة هي الغـذاء الرئيسى لمعظم أنواع الطيـور خصوصاً طيور الدخل التي تعتمد على الحشرات في التغذية.

البلبل والمزارع

يشبـه العصفور الدوري في السلـوك والمعيشة نوع آخر من الطيور هو البلبـل أبيض الخد، لكن الأخير يفضل أكل الثمار والفواكه على غيرها من الغذاء. وقد لوحظ في السنوات العشر الماضية تزايد أعداد هذا البلبل في المـزارع، وربما يزاحم مستقبـلاً في تكاثـره وفي علاقة العـداء مع المزارعـين العصفور الدوري.

والحقيقة المؤكدة أن كل طير أو حيـوان أو نبات في هذا الكون لم يخلـق عبثـاً. ولـك أن تتأمل في تفاصيـل خبر عـن المزارعين الصينيـين والـذي سيأتي تحت عنوان (خـراب فقـد العصفور المخرب) .



يتغذى على الحشرات لكن الفواكه والثمار هي غذاؤه الرئيسي

صديق صاحب الإبل



الصـرد الرمادي (الصـورة) طائر أكبر مـن العصفور مستوطـن في المملكة ويسمـى بأسماء محلية منهـا (السّـرَد، الصبري، أبا العـلا، المُقَطّع، الزُرَاطـي، الصّقيعي). ويُعدّ من أشرسـ الطيور الصغيرة آكلـة اللحـوم ويشابـه جوارح الطير في ذلك، وله حيـل في افتراس الطيور الصغيرة، ومـن ذلك أنه يكمن في الشجـر ويصـدر أصواتاً بنغمـات مختلفة لجذب الطيور، ثـم ينقض عليها عندما تقـترب منه. ويأكل الزواحـف الصغيرة، ورُويـت مشاهدات لعملية قتله للأفعـى المقرنة (أم جنيب) وذلـك بالطيران فوقها وضرب رأسها بمنقاره المعقوف بشكل سريع كلما تهيأت له الفرصة ثم تخرُّ الأفعى بعد عدة ضربات.

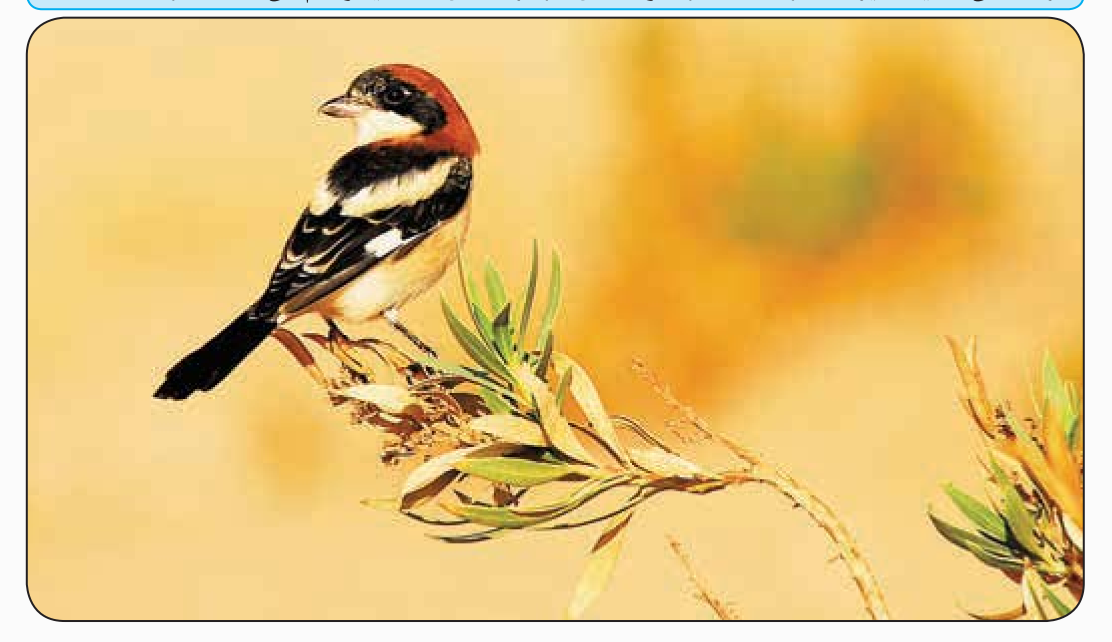
المفيـد في هـذا الطائر الذي نهانـا الرسول صلى الله عليه وسلـم عن قتله أنه يـأكل الحشرات ومنها القـراد حيث ينزعه بمنقاره المعقـوف من أجسام الحيوانات ومنها الإبل، ذلـك أن القراد من المفصليات التـي تعيش متطفلة على الحيوانـات بالالتصاق بأجسامها وامتصاص دمائهـا، وتصاب غالباً الحيوانات التي يتطفل عليها القراد بالهزال وتكون معرضة للإصابة بأنواع من الأمراض التي ينقلها.

والصرد طائر شديد الحذر في اختيار مكان بناء عشه، ولا يفرخ غالباً إلا وسط أشجار كثيفة الأغصان والشوك مثل العوشز والسلم والطلح والسدر بعد بناء عش لا يمكن لأعدائه من الطيور والزواحف الوصول إلى أفراخـه، ولهذا فإن بقاء مثل تلك الأشجار كثيفة الأغصان والشوك يساعد على تهيئة أماكن تعشيش هذا الطائر المفيد وتكاثره.

يبقـى القول إن هناك دولاً متقدمة بدأت وبصورة متعمدة بعمليـات توطين بعض أنواع الطيور النافعة لتستفيـد مـن قدرتها على الحد من تكاثر الحشـرات الضارة بالحيوانات والمزروعـات. ولهذا ينبغي على أصحاب الإبل في المراعي أن يحدوا من الرعي الجائر للأشجار التي قد يؤدي انحسارها إلى انحسار وجود هذا الطائر المفيد لهم.



نوعان من فصيلة طيور الصردان المهاجرة . وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل الصرد



خراب فقد العصفور (المخرب)



يعتبر معظم المزارعين العصفور الدوري -المعروف أيضاً باسم عصفور المنازل- واحداً من الآفات الطبيعية؛ إذا كثرت أسرابه التي تتغذى على الثمار والحبوب وبراعم النباتات، ويبني عشه في الأشجار وشقوق الجدران وفي أي مكان يستطيع الوصول إليه حتى في المناطق الصحراوية. ويتكاثر بشكل سريع، ويعرف عنه في مصادر التراث العربي أنه كثير السفاد، ويوصف الرجل كثير النكاح في ثقافات بعض الشعوب بالعصفور. وقد تناقلت وكالات الأنباء قبل عدة سنوات أنباء عن مشكلة حدثت لمزارعين في الصين قادوا حملة لإبادة أسراب عصافير كثيرة بسبب تخريبها للحقول الزراعية، ثم برزت لهم مشكلة أكبر في المواسم التالية تتمثل في نمو نوع من الديدان بكثرة قضت على محاصيلهم الزراعية، وتبين لهم أن هذه الديدان كانت غذاء رئيسياً للعصافير التي



ساعدت المزارعين في الحد من تكاثرها بينما لم يستطيعوا القضاء عليها في غياب العصافير. وتشاهد في الصورة أنثى العصفور مطبقة بمنقارها على عدد من الديدان قبيل تغذية صغيرها الذي بدأ يتعلم الطيران ومغادرة العش.



في الصورة الأولى أنثى العصفور الدوري التي تسمى محلياً في المملكة (الأمية أو الأميمة)، أما هذا المسترخي في الصورة فهو الذكر، ويسمى محلياً في المملكة (الكحالي)، وقال الشاعر بدر الحويفي:

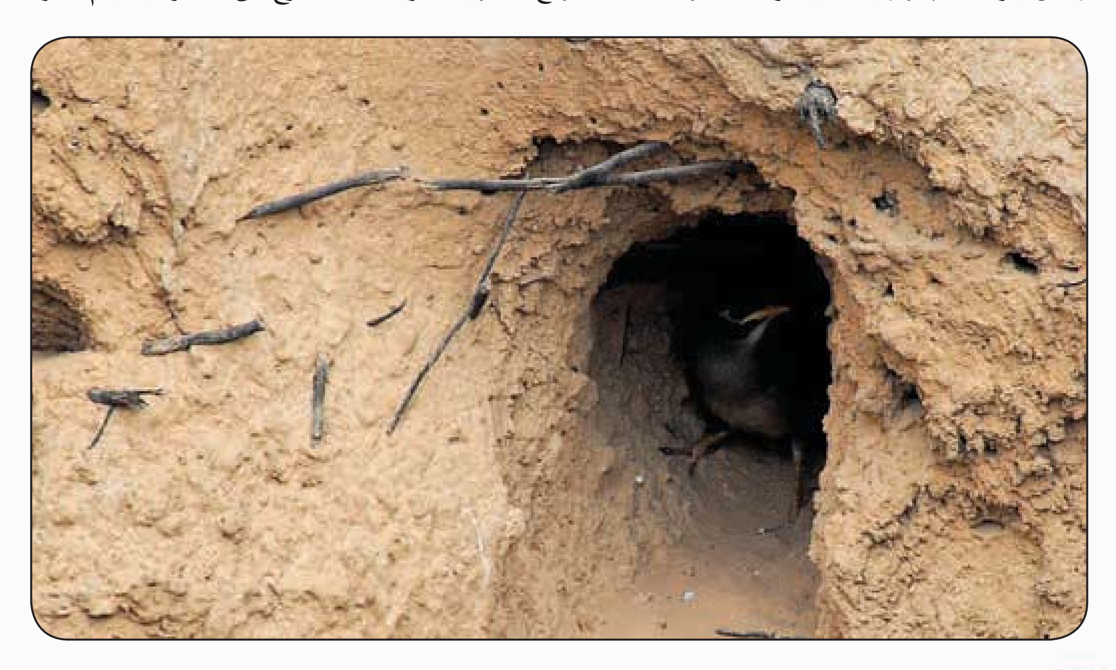
والناس كلٍ له طبع واساليب	وكل حسب رايه اسلوبه مثالي
فيهم ولد ضبعة وفيهم ولد ذيب	وفيهم صقور وفيه مثل الكحالي

مينا الخرج



مينا الضفاف (المنقار وما حول العين بلون برتقالي)

حول بئر مهجورة في طرف مزرعة بشمال الخرج عثرت خلال شهر إبريل على أسراب من هذا الطائر، وعلى جوانب البئر وجدت جحوراً صغيرة داخلها أفراخ تطير بصعوبة. هذا النوع من الطيور بحجم طيور





الميتا الاعتيادية (المنقار وما حول العين بلون أصفر) على ظهر ماعز يبحث عن الحشرات

اليمام واسمه (المينا)، وإلى وقت غير بعيد لا يوجد في المملكة عدا في بعض المدن الساحلية خاصة جدة.

وفي تصنيف الطيور وفقاً لمعيار تنقُّلها هناك ما يعرف بالطيور الشاردة أو الهاربة التي توجد في غير مناطق استيطانها، ومن أسباب وجودها في غير منطقتها أنها طيور تم استيرادها للزينة ثم خرجت من أقفاصها وبدأت بالتكاثر.

والملاحظ في السنوات الأخيرة أن هناك نوعان يتكاثران في بعض المدن والمناطق الزراعية أحدهما يسمى مينا الضفاف والآخر يسمى المينا الاعتيادية، ومما يميز الأخير صوت مزماري حاد يطلقه عندما يحط على الاشجار أو أعمدة الإنارة أو أسقف البنايات. كما أن للاثنين مشية تشبه مشية الغراب. ومن فوائدهما أنهما يتغذيان على الحشرت الضارة (شاهد في الصورة كيف يلتقط الحشرة من صوف خروف).

يخلِّص صوف الخروف من الحشرات

غراب البين



مـن أغرب مـا شاهدته في سلوك الطيور التـي صادفتها مشهد لم أجد له تفسـيراً لهذا الغراب الذي أطبـق بمنقـاره على سلك معدني من تلك التـي تستخدم في تعليق الملابـس. كان يتنقل بخفة بين عوارض عمود كهرباء (ضغط عالي)، ولما اقتربت بالسيارة طار بالسلك.

وعلـى أي حال فالغراب يرد في تراث العـرب وفي ثقافات شعوب أخرى مرتبطاً بمعاني التشاؤم والبعد والفـراق، وإذا قيـل (غراب البَـيّن) فالمقصود بالبين البعد والفـراق، وفي ذلك قال سمـو الأمير الشاعر عبدالله الفيصل (١٤٢٨هـ):

حبيب الروح وشو له نمضي وقتنا زعلين	**ترى الاعمار في دنياك بالساعات محدودة**
حرام انه عقب ما صار يفجعنا غراب البين	**او الحاسـد ينال اللـي يبي منا بمجهوده**

ويقال (حالك كالغراب) للدلالة على شدة سواد الشيء.

الكلب الشرس

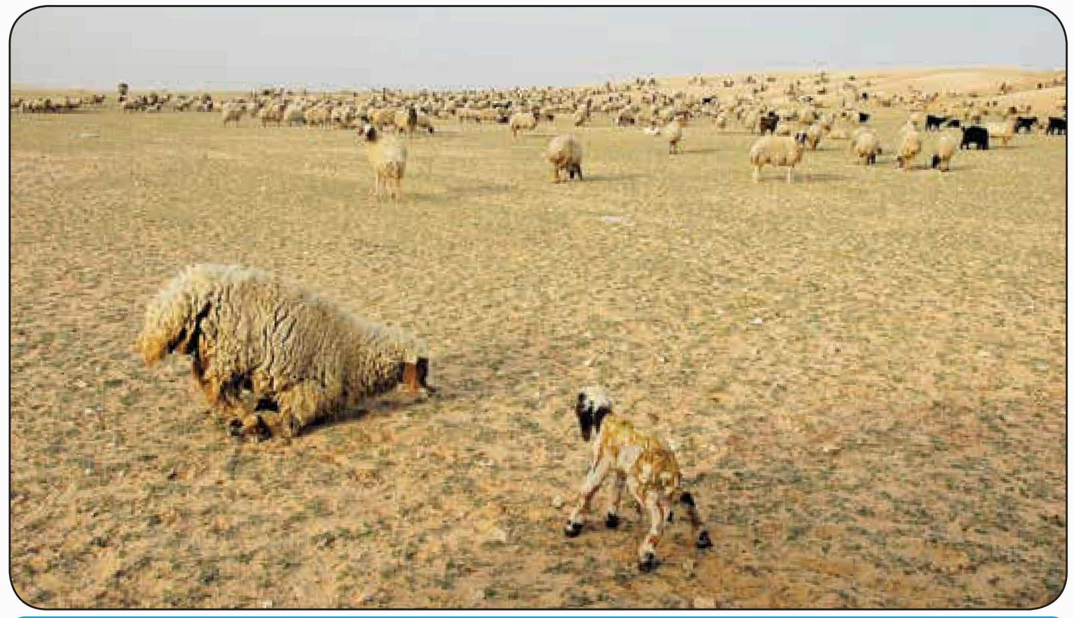


الكلب الشرس، ويشاهد خطمه الطويل المشابه لخطم الذئب

نشرت هذه الصورة في الكتاب الثاني في هذه السلسلة الذي صدر بعنوان (حبائل الصحراء) في فصل يتناول هجوم الحيوانات وخطورتها وكيفية الوقاية منها والإجراءت التي تتبع بعد التعرض لهذه الأخطار. وبعد فترة من صدور الكتاب هاتفني أحدهم مفيداً أنه يبحث عني منذ أشهر ويطلبني في أمر مهم. التقيت به وتبين أنه حريص على الاستدلال على هذا الكلب أو معرفة صاحبه لأنه يريد اقتنائه أو اقتناء واحد من جرائه للاستفادة منه في حراسة قطيع أغنام في الصحراء، وحسب معرفته فإن هذه الفصيلة من الكلاب نادرة، وتوجد في بادية العراق وتتميز بشراستها ومقدرتها على حراسة الأغنام والدفاع عنها ضد أي معتد وبكفاءة عالية.

وأذكر جيداً في ربيع عام ٢٠٠٤م خلال جولة برية قرب الحدود الشمالية للمملكة عندما اقتربت من راعي أغنام كان يومئ بيديه، وفهمت أنه يحذرني من النزول من السيارة لأن هذا الكلب (الصورة) شرس وخلفه أمه في الناحية الأخرى من القطيع. ويعرف هواة الرحلات البرية أن كلاب الحراسة المرافقة لقطعان الأغنام تطلق النباح عند المرور بجوار القطيع وتنطلق باتجاه السيارة لكنها غالباً تهرب إذا اتجهت ناحيتها، أما هذا الكلب فقد كان يقفز فوق السيارة يريد مهاجمتي، ولما طلبت من الراعي تهدئته وأمره بالكف عن الهجوم قال: لا أستطيع لأن هناك شاة ولدت حملاً في مكان على بعد ٣٠٠ متر تقريباً. ولن ينصاع الكلب لأوامري إلا إذا انضمت الشاة وصغيرها إلى القطيع.

وعلى أي حال ثمة إجراءات ومعايير ينبغي أخذها في الاعتبار لكي يتقي الإنسان اعتداء الكلاب خاصة تلك التي توجد مع الأغنام في البراري، ومن ذلك ما يلي:



لحظة التقاط هذه الصورة كان الكلب فوق سقف السيارة في محاولة الهجوم عليّ والدفاع عن الشاة وصغيرها

- إن معظم الحيوانات- حتى لو كانت أليفة- تدافع عن نفسها إذا أزعجتها وضيّقت عليها الخناق، ولذلك ينبغي عدم مشاكستها أو التحرش بها.
- يدافع الكلب الذي يستخدم مع قطعان الماشية عادة عن جميع ممتلكات صاحبه حتى لو بعدت عن القطيع الذي يحرسه مثل السيارة، والخيام، والزرائب، وصهاريج المياه، وبقايا الماشية التي لم تلحق بالقطيع. ولهذا ينبغي الحذر عند الاقتراب من المنطقة التي يدافع عنها.
- إذا كنت في صحبة راعي الغنم لغرض شراء شيء منه، أو التحدث معه، فإن كلبه يكف عن مهاجمتك، ولكن لا تحدق كثيراً في كلب غريب عنك لأنه يعتبر ذلك نوعاً من التهديد، كما أن بعض أنواع الكلاب شرسة بصورة غير معتادة ولهذا يجب الحذر.
- يثير الكلاب ويدفعها للهجوم والعض إثارتها أثناء نومها أو الإسراف في ملاعبتها والمزاح معها حتى لو بدر ذلك من صاحبها.
- تجنب الجري بشكل مفاجئ أمام الكلب لأن الهروب قد يأتي برد فعل عكسي فيطاردك، وقد يعقرك.
- يجب الحذر الشديد والاحتراس من الكلب إذا تصلب رافعاً ذيله عالياً وهو ينبح ويحدق تجاهك بينما يكون الكلب خائفاً إذا أدخل ذيله بين ساقيه، وقد فسرت الدراسات هذا السلوك بأنه يحاول حماية أعضائه التناسلية نتيجة خوفه.



- عادة لا يعتدي الكلب الذي يتوقف ويتراجع عند اقترابك منه أثناء المرور المعتاد لكون المنطقة التي يدافـع عنها على الطريق الذي تعبره، ولهذا يهرب إذا اتجهت إليه، لكن بعض الكلاب قد تفسر الاتجاه إليها بأنه تهديد مباشر فتندفع للهجوم، وقد تعض.



مفارقة الوروار والقمري



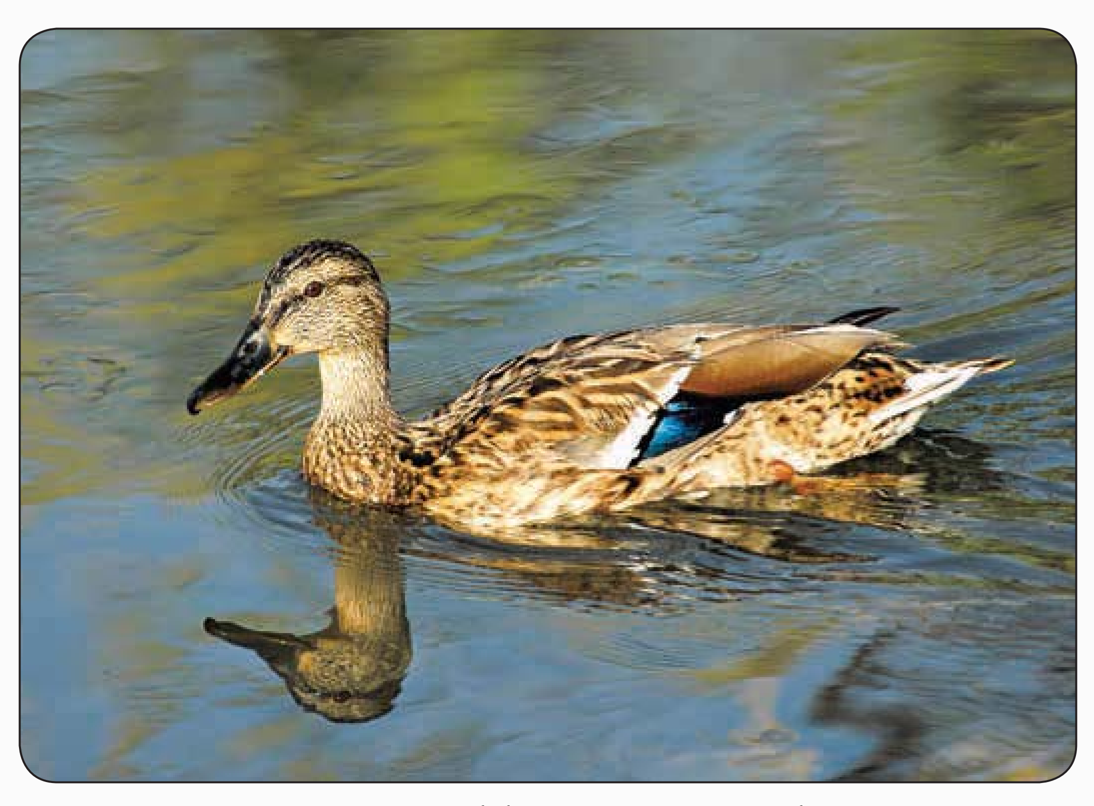
لهذه الصورة والصورة التي تليها في الصفحة المقابلة مفارقة حدثت لي خلال فترة من فترات هجرة الطيور، إذ كنت مصراً على التقاط صورة لطائر الوروار وهو يلتهم النحل؛ ذلك أنه واحد من آفاتها الطبيعية، وقد أعددت العدة وطلبت من صديق يملك مزرعة في جنوب الرياض أن يسمح لي بإطلاق أسراب النحل من مناحل المزرعة بقصد إغراء أسراب هذا الطائر، ولكني لم أنجح في مسعاي طوال فترة أسبوعين. وخلال محاولاتي المتكررة كان أحد الأصدقاء في مدينة تمير (١٢٠كم شمال الرياض) يدعوني للذهاب في رحلة وسط أودية المنطقة لعلمه برغبتي في التقاط صور لطائر القمري. وفي طريقي لتمير توقفت قبل مدخل المدينة بالصدفة قرب أحد المزارع وشاهدت أسراب هذا الطائر تهجم على خلايا نحل، وأخترت لي موقعاً يمكنني من التقاط الصور التي خططت لها في الرياض، بل إن عملية التصوير تمت بسهولة أتاحت لي اختيار الزاوية وأوضاع تصوير مختلفة. أما المفارقة فستتبين في صورة القمري التالية إذا عرفت عزيزي القارئ أنني وصديقي منصور بن ناصر المنّاع لم نجد ولا طائراً واحداً من طيور القمري التي يفترض وجودها في أودية المنطقة بأسراب كثيرة في ذلك التوقيت من هجرتها السنوية.

مفارقة القمري والوروار



لما عدت من مدينة تمير اتصل صديقي صاحب المزرعة الواقعة جنوب الرياض يسألني إن كنت لازلت أريـد تـرك أسراب النحل تسرح في المزرعة، فأخبرته أنني اكتفيت وشكرته، وطلب مني زيارته في المزرعة لمشاهدة بعض التحسينات. ذهبت ولم يكن في نيتي التصوير، ولكني تعوّدت على وضع الكاميرا على المقعد المجاور لي في السيارة خلال تجوالي، ولما فتح العامل بوابة المزرعة لمحت على بعد حوالي ثلاثين متراً طائر قمـري يافع (فـرخ). وقد حط على سلك فوق السيـاج (الصـورة). وبالمناسبة هـذا الطائر الجميل يحتل المرتبة الأولى في ترتيب طرائد الصيد المفضلة لدى أكثر الصيادين في المملكة. وأيضاً أتيحت لي الفرصة للتصويـر مـن زوايا وأوضاع مختلفة. والمفارقة أن صورة الوراور التقطت في المكان الذي خططت أن أصور فيـه القمـري، وصورة القمـري التقطت في المكان الذي رتبـت أن أصور فيه الـوروار. وفي كل الأحوال فإن إمكانيـة الحصـول على لقطات نادرة خاصة للطيـور تكمن أحياناً في تهيئة الكامـيرا وحملها بحيث يكون المصور مستعداً للمواقف والصدف التي لا تخطر على البال.

أربعة آلاف ريال في بطة واحدة



طيور البط البري ذات أنواع مختلفة، ولكل نوع اسم أو أسماء محلية في المملكة وإن كان الغالب تسمية جميع الأنواع باسم (النّحَم)، وهي من الطيور الحذرة جداً، ولكي تنجح في التقاط صور جيدة عليك أن تكمن لها فلا تشاهدك إذا اقتربت، ثم تصور دون أن يصدر عنك أي صوت حتى لو كان خافتاً لأنها ستطير بمجرد أن تشعر بصوت مستنكر أو حركة غير طبيعية. وكنت قبل هذه اللقطة أكمن بين أشجار بوسط مجرى مائي ولما اقتربت هذه البطة وهي من نوع الخضيري (أنثى) كنت بحاجة إلى التقدم خطوة واحدة كي أبعد عدسة الكاميرة عن أفرع نبات معترضة بينها وبين البطة ستفسد الصورة. ولأن الوضع لا يحتمل كثرة الحركة مددت قدمي أتحسس صخرة وضعتها سابقاً، ولما تم ذلك التقطت أكثر من صورة ثم انزلقت قدمي وسقطت في الماء، ولأنني أعرف أن الصورة التي التقطتها دقيقة بادرت سريعاً بعد الخروج من الماء إلى نزع (كرت الذاكرة) أولاً من الكاميرة خشية أن يفسده الماء. والنتيجة حافظت على الكرت والصورة لكن تكلفة إصلاح الكاميرا والعدسة بلغ حوالي أربعة آلاف ريال.

ابن حثلين تتله سبوقه



في ليلة أثناء رحلة إلى شمالي المملكة قضيتها برفقة أصدقاء صقارين قمت باستعراض الصور بواسطة جهاز الكمبيوتر المحمول، فاستوقفني صاحب الصقر الذي تشاهده في الصورة وطلب نسخة منها. لكنني رفضت مداعباً إلا بدفع ثمنها، وهو التعليق بعبارة مناسبة بشرط أن تحوز على إعجاب كل الأصدقاء، ومنحته فرصة ثلاث محاولات. لم يوفق في المرة الأولى بينما صفق له كل الأصدقاء في تعليقه الثاني، فنسخت له كل صور تلك الرحلة. وكان تعليقه بيت للشاعر الفارس العجمي راكان بن حثلين (توفي عام ١٣١٠هـ):

قلبي كما طير تتله سبوقه … يبي العشا ومجود الطير خلاه

وهذا بيت من قصيدة لابن حثلين قالها لما اعتقله الأتراك وسجنوه في تركيا ومنها البيتين التاليين:

يا خليف انا قلبي همومه تعوقه … عزي لقلب مولع جاه ما جاه

الضيغمي قبل علماء الطيور



أول ما تبادر إلى ذهني بعد التقاط هذه الصورة ومشاهدتها على شاشة الكاميرا، المعلومة التي تذكرها المصادر العلمية الحديثة عن العقاب الذي يعتبر أقوى الجوارح وأشرسها وأجسرها، ويتميز عنها (بسرعة الهجوم لاختطاف الفريسة). على أن صقر الشاهين هو (الأسرع في الطيران).

ورأيت أن التعليق الأنسب هو في السرعة التي صورها قبل مئات السنين الشاعر الفارس عرار بن شهوان الضيغمي (توفي في أوائل القرن التاسع الهجري) في عقاب ينقض على كدري (قطا) في قصيدة قالها مفتخراً في حصانه:

حصاني عذاب الخيل لاصار طارد	**وان كان مطرود فلا احدٍ بنايله**
حصاني عقاب من شواذيب مرقب	**تحدر على كدري نزع من مقايله**

ولك الخيار عزيزي القارئ فيما ستقدم أولاً بين الثقة في المصادر العلمية الحديثة وبين التأمل في معايشة ابن الصحراء (الشاعر) قديماً ومعرفته بواسطة الملاحظة أو التجربة لخصائص الطيور ومنها (العقاب).

الفلبيني وتمر القصيم



اعتبر هذه الصورة من أفضل الصور لدي ولا أدري هل الأفضلية في الصورة أم في طبيعة نفود بنباته. وعلى أية حال لهذه الصورة موقف طريف؛ حيث كنت في رحلة للبحث عن أنواع من الطيور المهاجرة في أطراف مزارع خارج مدينة الغاط الواقعة بين مدينتي الرياض وبريدة، وشاهدت عمالاً يقومون بصيانة أعمدة إنارة بواسطة سلم مثبت على شاحنة. ولكي أتمكن من التقاط صورة شبه جوية لكثبان الدهناء بواسطة الصعود على السلم طلبت من السائق الفلبيني التحرك لبضعة كيلومترات مقابل مبلغ سخي. وافق لكنه اشترط أن يكون المقابل تمراً من النوع (السكري) الذي تتميز به مزارع منطقة القصيم. اضطررت للعودة إلى الغاط وشراء التمر ثم (نقدته) للفلبيني وصعدت على السلم لكي ألتقط هذه الصورة. سألت الفلبيني عن سر اشتراط التمر بدل النقود فأخبرني عن سفره في الغد إلى مانيلا وأن زوجته (الحامل) وهي ممرضة سابقة في أحد مستشفيات عنيزة هي التي طلبت منه التمر.

الخاطوف و (الشايب)



السنونـو المعـروف محلياً في المملكة باسم الخاطـوف طائر أصغر من حجم العصفـور قليلاً، لا يحط علـى أفرع الأشجار والأرض إلا نادراً، فهو في طـيران مستمر طوال النهار حتى أنه يتغذى بأكل الحشرات الصغـيرة الطائـرة وبشرب الماء بالانزلاق على سطحه، ولهذا ليس مـن السهل الحصول على صورة لهذا الطائـر. وقد اخترت في ضحى يوم من آخر شهر إبريل مكاناً مناسباً عبارة عن جسر صغير لعبور مجرى مائـي بـوادي حنيفة. وغالبـاً تفضل طيور السنونو التحليـق فوق مجاري ومستنقعات الميـاه. وكان الهدف تصويـر أحدها خـلال الطيران لأن الصورة ستكـون أجمل. ولم أنتبه في بداية الأمـر إلى رجل مُسنّ كان يراقبنـي تبـين فيما بعد أنه صاحب المزرعـة المجاورة، وبعد ساعة اقترب وألقـى التحية وعرفت أنه يريد التأكد والاطمئنان على مزرعته من الدخلاء؛ فأخبرته أنني أقف هنا للتصوير فقط، ثم دعاني إلى تناول القهوة فشكرته واعتذرت، وبعد ساعة اقترب مرة أخرى وسألني (أنت مطوّل على هالحالة)، فقلت: نعم، فعاد إلى مزرعته وهو يتمتم بعبارات لم أفهم منها إلا أنه قصدني بقوله (اللّه يشفيك)، وبعد ساعتين عاد المُسِنّ ليسألني: إلى متى تبقى على هذه الحالة، فقلت: إلى أن أصور الخواطيف. ثم عاد إلى مزرعته وهذه المرة يتمتم بعبارات سمعت منها: (أنت تحتاج من يكويك كود تشوي من خواطيف الصخونة).

حتى العمال!



يدان تحملان ثلاثة ضبان كبيرة وهزيلة وآخر صغير في طرف أصبعين باليد اليسرى في صورة التقطتها لعامل آسيوي قرب مزرعة من مزارع المليداء بالقصيم، لم أستطع معرفة كيفية وصول الضبان إلى حوزة العامل الذي تهرب من إعطاء أي معلومة سوى رغبته في بيعها، واشتريتها لأطلقها في مكان بعيد عنه.

عرفت فيما بعد أن العمال يبيعون الضبّ في الأسواق الشعبية ببعض المدن والقرى، وهذا مظهر لم يكن مألوفاً هناك، كما أن أبناء المنطقة لا يحفلون بالضبّ ولا يعتبرونه من طرائد الصيد المرغوبة لكن يبدو أن الهجمة الشرسة في حملات الاستعراض الفوضوية لملاحقة الضبّ وصيده، قد غذتها بعض مواقع ومنتديات الإنترنت التي أطلقها الهواة في المملكة، فزادت عمليات قتل الضبّ في المنطقة الوسطى، وأصبحت ظاهرة بين صغار ومراهقي الصيد.

لقد شاهدت بعيني منظراً يتكرر على مدى عدة سنوات لمجموعات نافقة من الضبان ملقاة خلف سوق الطيور بالرياض؛ لأن كميات المعروض منها دائماً أكبر بكثير من حجم الطلب إن كان هناك طلب حقيقي لهذا (المغلوب على أمره) والذي افتعل الهواة تصنيفه كطريدة صيد. والواقع أن دخول العمالة في عمليات بيع الضبّ يؤكد حقيقة وجود ضعف في حماية الحياة الفطرية.

خلف الصورة



رؤية الصورة الفوتوغرافية وقراءتها تختلف من شخص إلى آخر، وقد لا ترى في هذه الصورة ما يثير فضولك، لكن أكثر من مرة أتأملها وأتذكر ما تؤكد عليه كثير من المصادر والأبحاث العلمية التي تتحدث عما يعرف بالتنوع الأحيائي، والإشارة إلى أن أنواع الأحياء الفطرية عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات فهذا طير يعيش على نوع من الحشرات، والحشرة تعتمد على علاقة تكافلية أو تبادلية بينها وبين النبات، والنبات يرتبط بأنواع من الثدييات، والأخيرة هي غذاء للمفترسات، وهكذا بحيث لو نقص أو انقرض نوع تأثر غيره وربما لحقه. وبالتأكيد سيكون الإنسان هو الخاسر الأكبر.

إن المحافظة على كل نوع من الأحياء الفطرية وحمايته من التناقص والانقراض ينبغي أن يكون من أهم اهتمامات هاوي الصحراء ومحب الترحال فيها أو الصيد مما تجود به لكن الهاوي بسلوكه غير المنضبط ربما ساهم بتعجيل كارثة التصحر الكامل. والسؤال لكل محب للصحراء، هل يسرك أن تعم مثل هذه القطعة من الأرض في جميع أرجاء وطنك؟

أخي الكريم ساهم في رد الجميل إلى وطنك واجعل ممارساتك وسلوكك في الصيد والاستمتاع بالصحراء بمنأى عن الأنانية، وتذكر أن الصيد المفرط والعبث بالحياة البرية وتلويثها من الأشباح التي قد توصل الأجيال القادمة يوماً ما إلى ألا تجد أمامها غير أرض بمثل هذه الصورة.

المصــادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإبداع الفني في الشعر النبطي القديم. عبدالله عبدالعزيز الضويحي، مطبعة سفير، الرياض، ١٩٩٦م.
- الإبل. علي محمد الحبردي، دار الحبردي للنشر والتوزيع، الخبر، ١٤١٨ هـ.
- الإبل أسرار وإعجاز. ضرمان عبدالعزيز السبيعي و سند مطلق، الرياض ٢٠٠٢ م.
- أبطال من الصحراء. محمد أحمد السديري، مطابع الحميضي، الرياض، ٢٠٠٢م.
- ابن لعبون حياته وشعره. يحيى الربيعان، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٣م.
- الأحياء المهددة بالانقراض في المملكة العربية السعودية. د. خالد بكر كمال، الشركة العصرية العربية، ٢٠٠٠م.
- الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة. د. محمد محسوب و د. محمد أرباب، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- أربعون عاماً في البرية. عبدالله فيلبي، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٤م.
- الازهار النادية من أشعار البادية. محمد سعيد كمال، مكتبة المعارف.
- أساسيات علم الحشرات. د. علي المرسي ود. محمد الشاذلي، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م.
- أساطير من حكايات الجن وأشعارهم. أحمد عبدالله الدامغ، مطابع البادية للأوفست، الرياض، ١٤٢١هـ.
- أسرار المناخ وتقلبات الجو. د. أيمن اسكندراني، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- أشعار قديمة تنشر لأول مرة. فايز موسى الحربي، مطابع الفرزدق، الرياض، ٢٠٠٤م.
- آفات الحبوب والمواد المخزونة وطرق مكافحتها. د. علي بدوي و د. يوسف الدريهم، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١١هـ.
- الأمثال الشعبية السائرة في منطقة حائل. عبدالرحمن زيد السويداء، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٧م.
- الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية. عبدالكريم عبدالعزيز الجهيمان، دار أشبال العرب، الرياض، ١٩٨٣م.
- الأمثال العامية في نجد. محمد ناصر العبودي، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٧٩م.
- أمير شعراء النبط محمد بن لعبون. د. عبالعزيز عبدالله بن لعبون، دار بن لعبون للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٨هـ.
- انتهاز الفرص في الصيد والقنص. تقي الدين الناشري، تحقيق عبدالله الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.
- أنساب القبائل العربية. فرحان عبدالعزيز المسلط، دار الشجرة للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٢م.
- إنقاذ الطيور الملوثة بالنفط. آني ويليامز، ترجمة د. خالد بكر كمال، دار الزمان، المدينة المنورة، ١٩٩٧م.
- أهازيج الحرب أو شعر العرضة. عبدالله محمد بن خميس، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٩٨٢م.

- أوراق جوفية. معاشي ذوقان العطية، ١٤٢٣هـ.
- بيئة الحشرات. د. الطيب علي الحاج، مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٩٩م.
- البيئة الصحراوية العربية. د.حسين علي أبو الفتح، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧م.
- بيولوجية الحشرات العملية. د. رضا فضيل بكر، مطابع الأهرام، قليوب، ٢٠٠٥م.
- بيولوجية الحيوان العملية. د. أحمد الحسيني ود. إميل شنودة، دار المعارف،القاهرة، ١٩٩٢م.
- تراث البدو القضائي. د. محمد أبو حسان، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ٢٠٠٥م.
- التربية الحديثة للأغنام. بوهيير دو ليكليز، ترجمة دار طلاس، دمشق، ١٩٩٢م.
- تركيب وتصنيف الحشرات. د. جورج نصر الله، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٥م.
- تقويم الحرمين الفلكي. د. محمد سعد المقري، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- تلوث البيئة السلوكيات الخاطئة وكيفية مواجهتها. د. حسن شحاتة، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان. د. محمد أرناؤوط، أوراق شرقية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.
- تنوع الأحياء في البيئة الكويتية. شارون جمعان و روبين ميكنيس، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠١م.
- الثدييات الأردنية. عادل محمد علي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١م.
- الثعابين السامة في المملكة العربية السعودية. د. محمد خالد السعدون و سعود عبدالعزيز الفراج، مطابع المحمس، الرياض، ١٩٩٧م.
- الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، دار الدائرة للنشر والتوثيق، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- الجغرافيا النباتية للمملكة العربية السعودية. عبداللطيف حمود النافع، مطابع نجوم المعارف، الرياض، ٢٠٠٤م.
- حبائل الصحراء: دليلك المصور إلى تجنب أخطار الصحراء وأخطاء الرحلات البرية. محمد سليمان اليوسفي، ألوان للطباعة، الرياض، ٢٠٠٧م.
- حديث الصحراء. ناصر السبيعي وإبراهيم الخالدي، المختلف للنشر والتوزيع، الكويت ٢٠٠٢م.
- الحشائش في المملكة العربية السعودية. د. عبدالجليل محمد عيسى، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩هـ.
- الحشرات الزراعية شكلها الظاهري وتشريحها الداخلي. د. علي بدوي ود. علي السحيباني، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٤م.
- حفر الباطن في ذاكرة التاريخ. عوض صالح السرور، ٢٠٠٦م.
- الحياة البرية في العالم. د. حسين قاعود ود. محمد حسين، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠١م.
- حياة الحيوان الكبرى. كمال الدين الدميري، دار إحياء التراث الإسلامي العربي، بيروت، ١٩٩٥م.
- الحيات والثعابين. عادل محمد علي الشيخ حسين، دار الضياء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.
- الحيوان. أبو عثمان الجاحظ، دار الجيل، بيروت، ١٩٤٤م.
- الحيوانات الفقارية وموقعها التصنيفي في المملكة الحيوانية. د. سعد الدين محمد المكاوي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠٠٥م.



- خيار ما يلتقط من الشعر النبط. عبدالله خالد الحاتم، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨١م.
- درر الشعر الشعبي أو الشعمي. عبد الرحمن زيد السويداء، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض ، ١٩٩٩م.
- دليل الحديقة النباتية. قسم النبات بكلية العلوم، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٦م.
- الدليل الحقلي لطيور الشرق الأوسط. ر. ف. بورتر وآخرون، ت و أد بويسر، لندن.
- دليل الساري والمزارع في معرفة البروج والطوالع. عبدالعزيز ناصر العبدالله، مطابع النرجس، الرياض، ٢٠٠٤م.
- دليل الطالب للدروس العملية في علم الزواحف. د. محمد خالد السعدون، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٤م.
- دليل المواقع الجغرافية بالمملكة العربية السعودية. الجمعية الجغرافية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠١م.
- دليل هواة الرحلات البرية في المملكة العربية السعودية. هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ٢٠٠٤م.
- ديوان أمير الشعراء محسن الهزاني. إبراهيم حامد الخالدي، شركة المختلف للنشر والطباعة، الكويت، ٢٠٠٢م.
- ديوان بدر الحويفي. محمد بدر الحويفي، مؤسسة الممتاز للطباعة والتجليد، الرياض، ١٩٩٧م.
- ديوان بندر بن سرور. عماد العتيبي، الشركة العالمية المحدودة للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٠م.
- ديوان بن سبيل. محمد عبدالعزيز بن سبيل، مطابع الحميضي، الرياض، ٢٠٠٤م.
- ديوان التميمي. عبدالله علي بن صقيه، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٥م.
- ديوان حميدان الشويعر. محمد عبدالله الحمدان، دار قيس للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ.
- ديوان راضي الراضي بين الحاضر والماضي. راضي عبدالرحمن الراضي، ١٤١٥هـ.
- ديوان الشاعر عبدالله بن سبيل. عبدالله خالد الحاتم، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٤م.
- ديوان الشاعر مرشد البذال. ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٢م.
- ديوان الشيخ الفارس شالح بن هدلان. خليل ذيب بن هدلان، مطابع الحميضي، الرياض، ٢٠٠٥م.
- ديوان عقاب بن مصقال السهلي. مطبعة النرجس، الرياض، ١٩٩٦م.
- ديوان الفارس تركي بن حميد. إبراهيم حامد الخالدي، شركة المختلف للنشر والطباعة، الكويت، ٢٠٠٠م.
- ديوان محمد العبدالله القاضي. عبدالله خالد الحاتم، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٤م.
- ديوان المختار من شعبي الأشعار. صالح عطاالله الخزيم، المطابع الوطنية، البكيرية، ١٤٢١هـ.
- ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد. خالد بن محمد الفرج.
- الذباب في المملكة العربية السعودية. د.مكي عبدالله العمودي، الرياض، ١٩٩٧م.
- راشد الخلاوي. عبدالله بن خميس، دار الخضرمة للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٢م.
- رئيس التحرير حميدان الشويعر. د. عبدالله ناصر الفوزان، مطابع النرجس، الرياض، ١٩٨٨م.
- رحلات برية مواقف تجارب خبرات شخصيات. محمد سليمان اليوسفي، مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الرياض، ٢٠٠٤م.
- رحلة من الكويت إلى الرياض. لويس بيلي، ترجمة أحمد ايبش، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٤م.

- الرخويات والجلدشوكيات. د. السيد طه رزق، دار النشر الدولي، الرياض، ٢٠٠٣م.
- رمـال الجزيـرة الربع الخـالي. عبدالله محمد بـن خميس وطارق بن خميسـ، مجموعة الفـرزدق التجارية، الرياض، ١٩٩٨م.
- الزواحف. عادل محمد علي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦م.
- السلامـة مـن الكـوارث الطبيعية ، مكتب الآفـاق المتحـدة للاستشارات العلميـة والتقنية، مطابـع الفرزدق، الرياض.
- سمان الهرج. سعد جدلان الأكلبي، مطابع سمحة، ١٤١٧هـ.
- السيف والسنان عند فرسان قبائل قحطان. علي شداد آل ناصر، مكتبة عكاظ الإسلامية، الدوحة، ٢٠٠٢م.
- شاعرات من البادية. عبدالله محمد بن رداس، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢هـ..
- شعراء من الرس. فهد منيع الرشيد، ١٩٩٢م.
- شعراء من الوشم. سعود بن عبدالرحمن اليوسف، دار الصميعي للنتشر، الرياض، ١٤١٩هـ.
- الصب فيما قيل في الضب. إبراهيم عبدالله الحازمي، مطابع الدرعية، الرياض، ١٤١٠هـ.
- الصحراء أرض صامتة تنبض بالحياة. د. يوسف عبدالله السويدي، دار الأعلام، عمان، الأردن، ٢٠٠٦م.
- الصحـة المدرسية وعلاقتهـا بالصحة العامة. د. رسمـي الغرباوي وآخرون، مطابع أضـواء المنتدى، الرياض ١٩٩٩م.
- الصحة والسلامة العامة. أمل بكري وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠م.
- صحيح البخاري. دار إحياء التراث العربي.
- الصمان. سعد عبدالعزيز الشبانات، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- صـور مـن الحياة االفطرية في الكويـت. د. ديفيد كلايتون ، ترجمة د. عبدالله الهاشـم، مؤسسة فهد المرزوق الصحفية، الكويت ١٩٩٤م.
- الصيد والبيئة (الصيد البري). عبدالله السامرائي، تادار العربية للعلوم، بيروت،٢٠٠٢م.
- الصيد والطرد في رحلة إلى الربع الخالي. رفيق شاكر النتشة، دار ثقيف للنشر والتأليف، ١٩٩٣م.
- الضب. خالد العويس، مطابع خليفة، بيروت.
- الطيـور البريـة والمهاجرة في المملكة العربيـة السعودية. محمد سليمـان اليوسفي، ألـوان للطباعة، الرياض، ٢٠٠٦م.
- عالم الثعابين. كامل محمد زيني بدوي، ١٤١٧هـ.
- العقـارب في المملكـة العربيـة السعودية. د. محمـد بن خالد السعـدون وسعود بن عبدالعزيـز الفراج، مطابع المحمس، ١٤٢١هـ.
- علـم الحشـرات الطبيـة والبيطرية. س كيتل، ترجمـة د. الطيب علي الحـاج، جامعة الملك سعـود، الرياض، ٢٠٠١م.
- علـم الحيـوان لطلبة الجامعـات والمعاهد العليا. د. فـؤاد خليل وآخـرون، مكتبة الأنجلو المصريـة، القاهرة، ١٩٨٩م.
- على ضفاف العنبري. محمد إبراهيم العمار، مطابع الحميضي، الرياض، ٢٠٠٤م.

- عنوان المجد في تاريخ نجد. عثمان بن بشر، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٩٨٣م.
- العواصم من الشيطان وصحيح الرقية الشرعية. مصطفى العدوي، ٢٠٠٠م.
- الغطاء النباتي للمملكة العربية السعودية. شوكت شودري وعبدالعزيز الجويد، وزارة الزراعة، الرياض، ١٤١٩هـ.
- فتافيت. عبد الرحمن زيد السويداء، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٧م
- فساد الأرض وتدمير الإنسان. د. زيدان هندي عبدالحميد، كانزا قروب للنشر، القاهرة ٢٠٠٠ م.
- فصيح العامي في شمال نجد. عبدالرحمن زيد السويداء، دار السويداء للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.
- الفقاريات. د. منى فريد عبدالرحمن، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- قالت الصحراء. بدر الحمد، المجموعة الإعلامية العالمية، الكويت. ٢٠٠٤م.
- قاموس البادية. شاهر محسن المطيري، الكويت.
- القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.
- قصص وأشعار من قبيلة حرب. فايز موسى الحربي، مرامر للطباعة، الرياض، ١٩٩٨م.
- قصائد طلبة مهنا. محمد إبراهيم الهزاع، مطابع النهضة، حائل، ٢٠٠٦م
- قصة وأبيات. إبراهيم عبدالله اليوسف، شركة ألوان للطباعة، الرياض، ١٤١٧هـ.
- قطوف الأزهار. عبدالله دهيمش بن عبار العنزي، مطبعة سفير، الرياض، ٢٠٠٣م.
- قنيص الوعل في حضرموت. عبدالرحمن جعفر عقيل، مطابع الابتكار، الدمام، ٢٠٠٤م.
- كتاب البيئة. د. نزار دندش، دار الخيال، بيروت، ٢٠٠٥م.
- كلب الراعي الألماني. ترجمة د. موفق العمري، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٢م.
- الكلب هذا الكائن العجيب. إبراهيم سليمان نادر، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٩٨م.
- لسان العرب. جمال الدين ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
- لغة الحيوان. محمد كشاش، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- قرود السعدان (البابون) في المملكة العربية السعودية. د. خالد بكر كمال، الشركة العصرية العربية، جدة، ٢٠٠٠م.
- المجموعة الكاملة لديوان الوائلي. عبدالله دهيمش بن عبار العنزي، ألوان للطباعة، الرياض، ٢٠٠٣م.
- محمد بن لعبون. يحيى الربيعان، الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٩٦م.
- محمد بن هادي زعيم قبيلة قحطان. علي شدّاد آل ناصر، مكتبة عكاظ الإسلامية، الدوحة، ٢٠٠٥م.
- محمد العلي العرفج حياته وشعره. محمد عبدالعزيز الطويان، دار الكتاب السعودي، الرياض، ١٩٩١م.
- المحميات الطبيعية في المملكة العربية السعودية. د. عبدالله ناصر الوليعي، ١٤١٦ هـ.
- المخاطر الطبيعية في المملكة العربية السعودية وكيفية مواجهتها. د. إبراهيم سليمان الأحيدب، مطابع الحميضي، الرياض،١٩٩٩م.
- المختار من أجمل الأشعار. محمد علي الحبيب، دار الراوي، الدمام، ١٩٩٨م.
- المدخل لدراسة علوم الحشرات. د. إبراهيم سليمان عيسى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ١٩٩٩م.



- المرثيات في الشعر النبطي. سعد راشد الشليل، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٣م.
- مرشد الصياد. د. عبدالله ناصر الوليعي و د. اياد نادر، الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها.
- المرشد العملي في التعرف على الحشرات. د. عبالحكيم عباللطيف الصعيدي، مكتبة الدار العربية، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- المستحب مما قيل في الضب. أحمد عبدالله الدامغ، مطابع أسمنجون، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- معجم البلدان. ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية. حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٧٧م.
- المعلقات النبطية. إبراهيم حامد الخالدي، مانشيت للدعاية والإعلان، الكويت، ٢٠٠٧م.
- مفردات من البادية. عبدالله علي الثبيتي، دار الصاعدي للطباعة، مكة المكرمة، ٢٠٠٥م.
- مفصليات الأرجل ذات الأهمية الطبية والبيطرية في المملكة العربية السعودية. د. علي إبراهيم بدوي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٤م.
- مقتطفات من الأشعار الشعبية والروايات. مشعل الجبوري العنزي، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٩٩٤م.
- مقتطفات من القصص والنوادر والأمثال والأشعار النجدية. عبدالرحمن عبدالعزيز النافع، المطابع الوطنية الحديثة، الرياض، ٢٠٠٦م.
- الملوثات البيئية والسموم. د. فتحي عفيفي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- مملكة تنقرض. عادل محمد علي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م.
- مملكة الذباب. عادل محمد علي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠م.
- المناطق الهامة للطيور في الدول العربية الآسيوية. م. آي. إيفانز، الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية، الرياض.
- من أخبار القبائل في نجد. فائز موسى البدراني، دار البدراني للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٢م.
- من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية، منديل محمد الفهيد، ١٤٢٤هـ.
- من شعراء الجبل العاميين . عبد الرحمن زيد السويداء، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٨م.
- من شيم العرب. فهد المارك، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.
- من عيون الشعر الشعبي. عبداللطيف سعود البابطين، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٩٨٨م.
- من القائل، عبدالله محمد بن خميس، مطابع الفرزدق، الرياض ١٤١٤ هـ.
- موسوعة الأرض المبسطة (الصحاري). ديفد وست، دائرة الترجمة والنشر، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٤م.
- موسوعة بيئة الوطن العربي. د. أحمد عبدالوهاب عبدالجواد، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.
- موسوعة الحشرات. د. جاسم الحلو، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م.
- موسوعة الحيوان. دار الرشيد، بيروت، ٢٠٠١م.
- موسوعة الحيوان. دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق.
- موسوعة الحيوان (الحيوانات البرية). غراتا قرة بتيان، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٩٩٨م.



- موسوعة الحيوان (الطيور). غراتا قرة بتيان، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٩٩٨م.
- موسوعة الحيوان عند العرب. د. فلاح خليل العاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان ، ١٩٩٨م.
- الموسوعة الصحية الشاملة. د. ضحى محمود بابلي، مطابع الخالد، الرياض، ٢٠٠٥م.
- الموسوعة العربية العالمية. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م.
- الموسوعة الطبية للأسرة. د. بيتر فرمي و د. ستيفن شيفرد، ترجمة محمد حسان وأمين الأيوبي، أكاديميا، بيروت، ٢٠٠٤م.
- موسوعة الطقس. أسامة حوحو، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧م.
- الموسوعة النبطية الكاملة. طلال عثمان السعيد، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧م.
- النباتات البرية في مراعي شمال المملكة. حمدان بن عجيريف الحسن، وزارة الزراعة، الرياض، ٢٠٠٦م.
- النباتات البرية في المملكة العربية السعودية. عائش بن منصور الحارثي، الجريسي للتوزيع، الرياض، ١٤١٨هـ.
- النباتات البرية المأكولة في المملكة العربية السعودية. د. إبراهيم عبدالله العريض وسعود بن عبدالعزيز الفراج، مطابع الحميضي ، الرياض ، ١٤١٦ هـ.
- نباتات برية من أبها والمناطق المجاورة. د. حسين علي أبو الفتح، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٨٤م.
- النباتات البرية المنتشرة في منطقة الرياض. د. معين فهد الزغت و د. عبدالملك آل الشيخ، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٠ هـ.
- النباتات السامة. عادل محمد علي الشيخ حسين، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠م.
- النباتات السامة في المملكة العربية السعودية. د. جابر القحطاني و د. سوسن المصري، مجموعة هاي لوك الإعلامية، الرياض، ١٤٢٥ هـ.
- النباتات المستخدمة في الطب الشعبي السعودي. د. محمد أحمد الشنواني، مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، الرياض، ١٤١٧هـ.
- النبات البري في المنطقة الشرقية. حميد مبارك الدوسري، مطابع التريكي، الدمام ، ١٤١٩هـ.
- النبات في السراة والحجاز. د. أحمد سعيد قشاش، السروات للطباعة والتصاميم، المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ.
- نجد في الأمس القريب. عبد الرحمن زيد السويداء، در السويداء للنشر والتوزيع، الرياض ، ٢٠٠٣م.
- نجد وملحقاته. أمين الريحاني، منشورات الفاخرية، الرياض، ١٩٨١م.
- النهج الواضح للصيد بالجوارح. محمد عبدالله الخثلان، مطابع دار الأوفست، الرياض، ١٤٢٧هـ.

البحوث العلمية والمقالات

- اقتصاديات إنتاج الإبل في المملكة العربية السعودية (ورقة عمل ضمن ندوة مستقبل الإبل في المملكة العربية السعودية). د. سعيد باسماعيل، الغرفة التجارية الصناعية بالرياض، تاريخ ٧ صفر ١٤٢٥هـ.
- البابطين: ضاع طيري ووقع بيد الملك خالد (حوار صحفي). مطلق المطلق، مجلة البواسل السعودية، العدد الأول، مايو ٢٠٠٣م.



- التحليل الكيميائي والتحليل الكيميائي الحيوي لبول الإبل (مقال). د.عبدالرحمن حسن النادي، صحيفة الجزيرة السعودية، عدد ١٢٢٧٧، ١٠مايو ٢٠٠٦م.
- التركيب الكيميائي للحم الضبّ (بحث). محمد أبو طربوش وآخرون، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الثامن، العلوم الزراعية، ١٤١٦هـ.
- الثعابين (مقال). د. عوض متيرك الجهني، مجلة الوضيحي، العدد ١١، سبتمبر ١٩٩٩م.
- الثعالب تخترق أسوار المقابر في الأسياح وتحفر القبور (خبر صحفي)، سعود المطيري، صحيفة الرياض، العدد ١٣٩٥٣ تاريخ ٥ سبتمبر ٢٠٠٦م.
- حصر النباتات السامة في المملكة العربية السعودية (دراسة ماجستير في علم النبات). عبدالله بن أحمد الأمير، قسم النبات بكلية العلوم، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٠م.
- دراسة بعض النواحي البيولوجية للضب وطرق حمايته من الانقراض (بحث). د. محمد خالد السعدون وآخرون، ١٩٩٤م.
- القصة الحقيقية لمعشي الذيب. مجلة البواسل، العدد ٢٤ ، يونيو ٢٠٠٥م.
- لويحان الشاعر الذي لخص تجارب الآخرين(مقال). بكر هذال، صحيفة الرياض العدد ١٤١٦٢ تاريخ ٣ إبريل ٢٠٠٧م والعدد ١٤١٦٤ تاريخ ٥ إبريل ٢٠٠٧م.
- ولع ابن حصيص بالشعر أفقده النبوغ في العلوم الأخرى (مقال). صلاح الزامل، صحيفة الرياض، العدد ١٢٦٩٠، ٢٠ مارس ٢٠٠٣م

الأفلام الوثائقية والتسجيلات:

- الحباري. (فلم وثائقي)، إنتاج الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، المملكة العربية السعودية.
- الضبّ وخطر الانقراض (فلم وثائقي). إنتاج الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، المملكة العربية السعودية.
- من تاريخ وقصص الأباء والأجداد (تسجيل صوتي). رصد أحداث تاريخية من إعداد الراوي عبدالرحمن المرشدي، انتاج مؤسسة الاستقامة.
- وصف ٣ (تسجيل صوتي). شعر شعبي لعدد من الشعراء، إعداد تركي بن خويتم، انتاج مؤسسة منارات السلام.
- VXR (تسجيل صوتي). إنتاج مؤسسة الاستقامة

فهرس الحيوانات

فهرس الزواحف

فهرس الطيور

فهرس النباتات

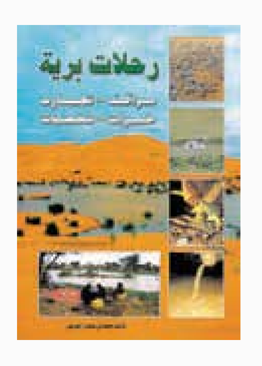
فهرس الحشرات والمفصليات

محتويات الكتاب

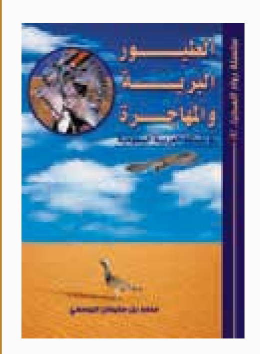
المؤلّف

محمـد بن سليمان محمـد اليوسفي من أهـالي عيون الجواء بشمـال القصيم، ومواليد عام ١٣٨٤هـ. درس المراحل الدراسية الأولى حتى الثانوية العامة بمحافظة حفر الباطن. تخصص في الصحافـة وحصل على البكالوريوس في الصحافة والعلاقـات العامة من كلية الإعلام بجامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية عـام ١٤١٠هـ. عمل في صحيفة الجزيرة السعودية إبان دراسته الجامعية ثم تفرغ للعمل الصحفي بها قبل أن ينقطع عنها عام ١٤١٢هـ لأسباب وظيفية حيث يعمل ضابطاً في وزارة الدفاع والطيران.

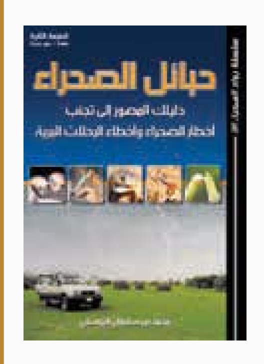
صـدر له عام ١٤٢٥ كتاب (رحلات برية: مواقـف. تجارب. خبرات. شخصيات) وهو إصدار يتنـاول؛ بمعالجة صحفية، هوايـة الرحلات البرية متضمنـاً مقالات وأخبـاراً وتقارير وتحقيقات وكاريكاتـيرات وقصصاً وصـوراً وحوارات مع أمـراء ومسئولين وأساتذة جامعـات وشيوخ ونجوم وشعراء، ويبحث معهم عشرات الموضوعات التي تعنى بالرحلات البرية.



وصـدر له في مطلع عام ١٤٢٧هـ كتاب الطيور البرية والمهاجـرة في المملكة العربية السعودية، وهـو أول إصـدارات سلسلة (رواد الصحـراء) وتناول فيه هجرة الطيـور، وتصنيفاً لأكثر من ١٢٠ طائـراً توجد في المملكة أو تعبرها خلال موسمي هجرتهـا وعودتها السنوية، ويقدم شرحاً مصوراً لخصائصها، وسلوكها، وتعشيشها وتكاثرها، في رصد علمي لما توصلت إليه آخر الدراسات مع بعض مـا قيل من قصص وأشعار وحكايات شعبية حـول الطيور، متخذاً من المزج بين المعلومات والصور الفوتوغرافية قالباً لتنويع العرض.



كما صدر له في شهر رمضان عام ١٤٢٧هـ الكتاب الثاني في السلسلة بعنوان (حبائل الصحراء: دليلك المصور إلى تجنب أخطار الصحراء وأخطاء الرحلات البرية) ويتناول الأخطاء، والأخطار، والعوارض التي تواجه مرتادي الصحراء من أصحـاب المواشي، والصيادين، والمتنزهين، ومحبي الرحلات البرية، مستشهداً بقصص واقعية سجلت في المستشفيات أو صرح بها المسئولون عن فرق البحث والإنقاذ، وأدى بعضها إلى موت كبار وأطفال بسبب سموم النباتات، أو الضرب في مجاهل الصحـراء دون المعرفـة بما يحيط بها مـن أسرار. ويكشـف المزاعم الشعبية التـي يرددها عامة النـاس عن الحيوانات الفطرية المفترسة والمسالمة، والزواحـف والثعابين والحشرات السامة وغير السامـة، مستنـداً إلى المراجع العلمية المعتبرة. ويقـدم دليلاً شاملاً ومصـوراً للأساليب والطرق الوقائيـة التي يمكن أن تعين مرتاد الصحـراء على تجنب غوائلها فيما يتعلق بالنباتات والحيوانات والزواحف والحشرات والأعراض التي تصيب الإنسان خلال تنقله في الصحراء، إضافة إلى قوائم لإحداثيـات أشهـر مواقع الصيد والرحلات البرية. مستفيداً من المـزج بين المعلومات العلمية وبين الشعر والقصص والحكايـات الشعبية ودلالات مئات الصور الفوتوغرافية النادرة في تنويع عرض مـادة الكتـاب بما يوفر عنصر التشويق ويعين على تقريـب المعلومة. كل ذلك في محاولة للجمع بين أدب الرحـلات، والجوانب الخفيـة في عالم الحيوان، والنبات، والحشـرات، وجغرافيا الصحـراء، والتوعيـة في مواجهـة مـا يطرأ مـن عوارض في الرحـلات البرية، وكيفيـة الوقاية منهـا، وكيفية الإسعافات الأولية فيما يتعلق بأخطار ومشاكل الإقامة في الصحـراء.



رواد الصحراء ... محمد اليوسفي



عزيزي القارىء:

لعلك وجدت في الكتاب ما يفيد ويسلي.

سأتقبل بمزيد من التقدير أي ملاحظة

أو نقد لما جاء فيه

أو وجهة نظر

أو تنبيه إلى واقعة أو قصة حدثت لك

أو لمن تعرف ويمكن توثيقها في إصدارات قادمة

تهتم بما يفيد العامة من نشرها

وتسعى إلى التوعية بما ينبغي أن يكون عليه محب الصحراء

وهاوي الصيد والترحال البري

بما يؤدي إلى بقاء براري المملكة نظيفة نقية وجميلة بأحيائها الفطرية

متمنياً عليك أن تساهم في تبديد ظلام عبث بعض الهواة

فتحمل الرسالة في التأكيد على ما اقتنعت به

من أفكار ومضامين إيجابية طرحها الكتاب

وتمارس دورك في بثها بمحيط من تعرف..

مع أطيب تحية

محمد بن سليمان اليوسفي

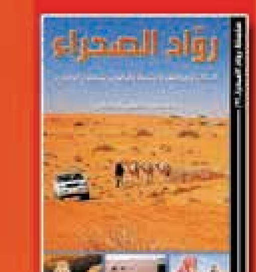
ص ب ٢٤٦٨٣٦ - الرياض ١١٣١٢

ucv4@yahoo.com

ucv4@hotmail.com

alyuosefi@gmail.com

القمر من تصوير المؤلف



هذا الكتاب

يقدم الكتاب الكثير من المعلومات والحقائق العلمية عن الصحراء والحياة الفطرية وما يهم محبي الرحلات البرية والصيد وأصحاب الماشية، ويمررها في قالب عرض يعتمد على رصد أحداث جرت على أشخاص في قلب الصحراء استقاها المؤلف منهم أو ممن لهم صلة بهم، أو قصص وأشعار وحكايات وأمثال شعبية، مستخدماً الصورة الفوتوغرافية النادرة والدقيقة والمنتقاة كأداة تحقق عنصر التشويق مع الاستفادة في ذلك من دلالاتها التي تختصر المعلومات وتقرب فهمها. ويسعى إلى توظيف القصص، والحكايات، والشعر الشعبي كمصادر للمعلومات أو ربطها بالحقائق العلمية أو الرسائل التوعوية مع مراعاة خصائص أكبر قدر من فئات المتلقين. ويبين حقيقة بعض المزاعم المتوارثة عن المفترسات والحيوانات والطيور والنباتات والزواحف البريَّة. ويعالج بأسلوب ساخر بعض السلوكيات والمظاهر السلبية لدى هواة الصيد والرحلات البرية. ويستفيد من الأشكال والأساليب الصحفية في سعيه إلى تنويع العرض وتعدد الآراء.

وَاللهُ المُوَفِّق

المؤلِّف

السعر ٤٠ ريال

ردمك : ٩٧٨-٩٩٦٠-٥٨-١٨٢-٥